

قصة الحوار الهادئ

حوار ومكاتبات مع الدكتور الوهابي أحمد بن سعد حمدان الغامدي

(الأستاذ بجامعة أم القوي بمكة المكرمة للواسات العليا)

تأليف:

أ. د. محمد الحسيني القزويني



محتويات الكتاب

مقدمة

الفصل الأول

لقاءات ومناظرات

تمهيد

آداب المناظرة

أهم الأسس الأخلاقية

أهم الأسس المنهجية

تجريبي في الحوار والمناظرة

أولاً: في إوان

لقاء مع أحد علماء أهل السنة في خواسان

مع طلبة من المذهب الشافعي

ثانياً: في المدينة المنورة

لقاء مع الشيخ عبد العزيز (وكيل الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي)

الالتهام بالشرك في المسجد النبوي

لقاء مع أحد خريجي الجامعة الإسلامية

روايات الشيعة في كتب أهل السنة

تهمة سب الصحابة

اعتواضي على ما ينشر ويوزع من كتب ضد الشيعة

ثالثاً: في مكة المكرمة

هل تعتقد الشيعة بأن جوائل خان الوحي؟

اللقاء بالشيخ محمد بن جميل بن زينو

توسل الصحابة بقبر النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)

اشتراك بعض الصحابة في محاولة اغتيال رسول الله (صلى الله عليه وآله)

نقد كتاب (الله ثم للتاريخ)

ابن تيمية يفقوي على الشيعة

هل أن إضافة "حي على خير العمل" في الأذان بدعة؟

مرافقة بعض الطلبة الجامعيين إلى محل سكنهم

الفصل الثاني

حوار مع الدكتور أحمد الغامدي

تمهيد

حوار مع الدكتور أحمد الغامدي

تهجم الدكتور على الشيعة

اعتواضي على الدكتور أحمد الغامدي

عجز الدكتور عن الإجابة عن آية التبليغ

التقية شعار الشيعة

الشبهة في ولادة المهدي (عليهم السلام)

لماذا بايع الإمام علي (عليه السلام) بعد ستة أشهر

تهمة تكفير المسلمين

مشركة الخلفاء في اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) على رأي ابن حزم

إصدار الدكتور على التواصل

نص الرسالة

رسالة الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي

حديث البخاري في دخول عدّة من الأصحاب النار

أ. من القوان الكريم

ب . ومن السنّة:

وهنا عدة وقفات:

حديث فاطمة: إنّما فاطمة بضعة منّي يربيني مارابها ويؤذيني ما آذاها

وهنا وقفات

وهنا عدة وقفات منها

حديثاً ابن عباس

نظرات في اتجاهات أهل السنة والشيعة ومناهجهم

نصوص من كتب الخميني

نص الرسالة التي أرسلتها إلى الدكتور أحمد بن سعد حمدان والتي ضمننتها رويداً لشبهاته التي أثارها في رسالته السابقة

أولاً: الإنصاف في الكلام حين يتكلّم عن الخلاف

ثانياً: غواية الموضوع بحاجة إلى دليل ساطع

ثالثاً: الصحبة ونفي البعد الإعجزي

القوان يمدح صنفاً من الأصحاب كما يذم الآخر منهم

الآيات الولدة في المنافقين

هنا عدة وقفات، وأسئلة!!

الآيات النزلة في مرضى القلوب ونوي الإثارة للفتنة

الذين يؤنون النبيّ (صلى الله عليه وآله)

الذين يظنون بالله الظنون الكاذبة

رابعاً: مقام الصحابة لم يكن أكثر امتيلاً من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) و لا رُفِع من مقامهن

خامساً: أقوال علماء أهل السنة في عدالة الصحابة

في الصحابة العدول وغير العدول

المشاجرات التي بلغت حد الظلم والفسق

الصحابة يلعن بعضهم بعضاً

القول بأفضلية بعض التابعين من الصحابة

الصحابة أبصر بحالهم من غورهم

عدالة جميع الصحابة أبعد من قول الشيعة بعصمة أئمتهم

الالتهام بالزندقة لمن ينتقص أحداً من الصحابة

سادساً: آراء الشيعة الإمامية في الصحابة

أمير المؤمنين وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله):

علي بن الحسين (عليهما السلام) والأصحاب:

قول والد الشيخ البهائي المتوفى سنة 984 هـ:

قول السيد علي خان الشيرازي المتوفى 1130 هـ:

قول السيد محسن الأمين المتوفى 1371 هـ:

قول محمد حسين آل كاشف الغطاء 1373 هـ:

قول السيد شرف الدين العاملي المتوفى 1377 هـ:

قول السيد الشهيد محمد باقر الصدر الذي استشهد سنة 1402 هـ:

قول سماحة الشيخ السبحاني (المعاصر)

نظرة مجردة إلى روايات الحوض

أحاديث الحوض على ما نقله الشيخان

1 - ما يدلّ على إحداث الصحابة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)

2 - ما يدلّ على ارتدادهم بعد مفارقة النبي (صلى الله عليه وآله)

3 - ما يدلّ على إبعادهم عن الحوض

4 - ما يدلّ على دخولهم النار

5 - ما يدلّ على أنّه لا يخلص منهم إلاّ القليل

6 - ما يدلّ على دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله) عليهم

ما هو البراد من الأصحاب في حديث الحوض؟

ما يدل على أنّ الصحابة هم الذين صحبوا النبي (صلى الله عليه وآله) ورؤوه

اعتراف الواء بن عزب

اعتراف أبي سعيد الخوري

اعتراف عائشة أم المؤمنين

تذييل: هل المراد من المرتدين هم أصحاب الودعة؟

تذويب: لماذا لم يغير رسول الله الجدر وباب الكعبة؟

الآيات التي تنثي على طوائف من الصحابة

الآية الأولى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}...

اختلاف المفسرين في المراد من السابقين الأولين والتابعين لهم

الآية الثانية: آية {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} لا تدل على فضل جميع الصحابة

الآية الثالثة: آية {وَهَاجَرُوا وَجَاهَتُوا} تدل على الثناء على قسم من الصحابة

الآية الرابعة: {لَا يَسْؤَىٰ مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ}...

وعد الله سبحانه بالحسنى مشروط بحسن خواتيم العمل

الآية الخامسة: آية {لِلْفُؤَاءِ الْمُهَاجِرِينَ} لا تنثي على عامة الصحابة، بل على فريق منهم

الشيعة والسنة صنوان على أصل واحد:

كلمة حادة:

الاستدلال بالسنة

نظرات في اتجاهات أهل السنة والشيعة ومناهجهم

حديث الوصاية تثبت منهج الإمامية

حديث الوصاية في كلمات الأصحاب والتابعين

هناك وقفات وأسئلة؟

1 . كيف يوثق من سبّ علياً (عليه السلام)؟

2 . كيف أفتي بقتل من سبّ أبا بكر ووثق من سبّ علياً (عليه السلام)؟

3 . هل خرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الصحابة؟

4 . كيف صار قاتل عثمان ملعوناً ولكن قاتل علي (عليه السلام) مجتهد متأول؟

علي بن أبي طالب (عليه السلام) مدينة باب علم النبي (صلى الله عليه وآله) وأعلم الصحابة

رجوع الأصحاب إلى علي (عليه السلام) وعدم رجوعه إليهم

لم تكن خلافة أبي بكر شورى بين المسلمين وإجماعاً عندهم

لماذا لم تفوض خلافة عمر بن الخطاب إلى الأمة؟

أمّ المؤمنين ترفض الشورى في الإمامة

السنة تنفي الشورى في الإمامة

ما يدل على وصاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)

حديث الدار يثبت خلافة علي (عليه السلام)

تصحيح سند حديث الدار

حديث الولاية وخلافة علي (عليه السلام)

حديث الثقلين والإتقاد عن الضلالة

حديث "علي مع الحق والحق مع علي"

مقارنة منهج أهل السنة في قبول الروايات مع منهج الشيعة

لقاء آخر مع الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي

حوار حول التوسل

أقوال فقهاء أهل السنة في التوسل

القول الأول: جمهور فقهاء المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية والحنابلة

ادلة القائلين بالتوسل

القول الثاني: في التوسل بالنبي بعد وفاته

الفصل الثالث

تعقيب على كتاب الحوار الهادئ

تمهيد:

أولاً: لم يكن الحوار هادئاً

ثانياً: عدم رعاية الأمانة العلمية

ثالثاً: تناقضات الكتاب

رابعاً: عبارات التتقيص للإمام علي (عليه السلام) في الكتاب

التعقيب على كتاب (حوار هادئ)

* موقف الشيعة تجاه الصحابة

* الموقف الوهابي من كتب الشيعة

* كتاب (لله ثم للتريخ) ليس كتاباً شيعياً

* أهل السنة داخل إيران

* مكانة الشيعة في العالم الإسلامي

* المنهج الخاطيء في الحوار والاحتجاج

* الاتهام بتوك الصحاح واعتماد مصادر التريخ

* الاتهام بالاعتماد على الروايات الضعيفة

* الاتهام باعتماد أسلوب الانتقاء في الروايات

* الاتهام بالانتقائية في أحاديث الفضائل

* الآيات الدامة لجملة من الصحابة وبعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله)

أولاً: الآيات الدامة لبعض الصحابة

ثانياً: الآيات الدامة لبعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله)

ثالثاً: العتاب المتضمن للذم والتوبيخ

* آيات عتاب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)

أولاً: التباين بين عتاب النبي (صلى الله عليه وآله) وعتاب غيره

ثانياً: لا يوجد عتاب للنبي (صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم

1- آيات العتاب على الأعمى

2 - آيات العتاب على الأسرى

3 - آيات العتاب في طلاق زيد لزوجته

4 - آيات العتاب في تحريم الأرواح

* المنهج الخاطيء في فهم العقائد الشيعية

أولاً: ترك المصادر الشيعية

ثانياً: الاستنتاجات الشاذة في الفكر الوهابي عن المذهب الشيعي

* الاعتماد على الروايات الضعيفة في فهم العقائد الشيعية

* مقارنة موجزة بين الكافي وصحيح البخاري

الشخصية العلمية للكليني والبخاري

مقارنة موجزة: 1- الشخصية العلمية للكليني

2 - الشخصية العلمية للبخاري

أ- الطعن في عقيدته

ب - وَهْنُهُ فِي الْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ

أولاً: تدليس البخري

ثانياً: ضعفه في الرجال

ثالثاً: نقله الحديث بالمعنى

رابعاً: ضعفه في الفقه وقتلوا العجيبة

ثبوت الحرمة بالرضاع من لبن البهائم

عدم وجوب الغسل بالجماع

* المقارنة بين كتابي الكافي والبخري

1. وقفة مع كتاب الكافي

أ- اهتمام الكتاب بمسائل العقيدة

ب- متانة أسناد الكافي

ج- الغزوة العلمية في أحاديث الكافي

د- تعقيب الأحاديث بالأراء والاجتهادات

هـ أبواب الفروع وقوة الفقاهة

2. وقفة مع كتاب البخري

* مؤاخذات على كتاب البخري

أولاً: الجامع الصحيح لم يكتمل في حياة البخري

ثانياً: العقائد الفاسدة في صحيح البخري

1. عقيدة التجسيم

2. الحط من مقام النوة

3 . الإسرائيليات في كتاب البخري

ومنها: خرافات اليهود

4 . مكورات البخري

5 . تجنبه الرواية عن أهل البيت (عليهم السلام)

6 . الروايات المنكرة والمخالفة للإجماع

7 . روايته عن الجهمية والخروج مع حكمه بكفهم

? تهم وافتراءات على المذهب الشيعي

أولاً: مسألة عدالة الصحابة

ثانياً: مسألة تحريف القرآن

* تمسك الشيعة بالسنة النبوية

* فقهيات شاذة في المذهب السنّي

أولاً: الفتوى الغريبة والشاذة عند أئمة المذاهب السنية

ثانياً: فتوى شاذة وعجيبة لجملة من الفقهاء

ثالثاً: فتوى جنسية شاذة

رابعاً: تحليل الأمة والاستمتاع بالصغرة

1- تحليل الأمة لغير المالك في كتب السنة:

2 - الاستمتاع بالصغرة في كتب السنة

? اتهام الشيعة بالكفر والخروج عن الإسلام

أولاً: الفهم السلفي الخاطئ للعقيدة الشيعية

ثانياً: الشيعة لا يكفرون مسلماً

ثالثاً: روايات التفسير والتأويل للقآن الكريم

رابعاً: تكفير منكر الخلافة

* التكفير المتبادل بين الجماعات السنية

1 - تكفير غير الأشاعرة من المسلمين

2- تكفير غير الحنابلة من المسلمين

3- تكفير الشافعية للحنابلة

4 - تكفير أبي حنيفة وأتباعه

* الصواع بين المذاهب السنية

1 - القتل الواقع بين الحنفية والشافعية

2 - ضرب الشافعي حتى يموت

3 - أخذ الجزية عن الشافعي

4 - أخذ الجزية عن الحنابلة

* اختلاف الحديث في كتب السنة

* عقيدتي التقية والبداء عند الشيعة

1- عقيدة التقية

التقية في الآيات القرآنية:

التقية في الأحاديث النبوية:

أقوال الصحابة والتابعين في التقية:

التقية في أقوال العلماء

التقية في سورة المسلمين

تقية علماء السنة في مسألة خلق القرآن

تقية كثير من العلماء في بعض الأحكام الشرعية

تقية علماء السنة من الشيعة

2- عقيدة البداء

مفهوم البداء عند الشيعة

البداء في روايات أهل البيت (عليهم السلام)

البداء في أقوال علماء الشيعة

البداء في الكتب السنية

آثار البداء على العقيدة

* الدخول في الإسلام لا يسوي إثبات العدالة

* اتهام الشيعة بتكفير الصحابة

* إنكار العدالة لا يسيء للمجتمع الإسلامي في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)

* طول الصحبة لا يثبت العدالة

* النفاق والمنافقون

النفاق في مكة

أولاً: الآيات القوانية

ثانياً: الطبيعة البشرية

أسباب وواعي النفاق في مكة

النبي (صلى الله عليه وآله) ومعرفة المنافقين

الملحق

ملحق حوار جديد مع الدكتور الغامدي

دعوى اعتقاد الشيعة بنجاسة أهل السنة

دعوى أن كتاب الكافي مليء بالموضوعات

دعوى أن الإمام الصادق قد لعن زرارة

دعوى أن الأئمة (عليهم السلام) عند الشيعة فوق الأنبياء

كون علي أول من أسلم لا دليل عليه

خلافة أبي بكر وبيعة الصحابة له

الذين تخلفوا عن أبي بكر

نقد كتاب الدكتور الغامدي (حوار هادئ)

تساؤل عن وجود مساجد للسنة في طهران

الدكتور يقدم اعتذاره في الطبعة الثانية من كتابه <حوار هادئ>

بغض أهل البيت يعتبر نفاقاً

أهل البيت يتولون حساب الناس يوم القيامة

علي قسيم الجنة والنار

القول بضعف السند أولى من القول بأنه خرافات

ابن تيمية وإحياء الموتى من غير الأنبياء

رجل من النخع أحيى حملة

صلة بن أشيم أحيى فوسهه

قول ابن تيمية بأن الصحابة يعلمون الغيب

الكهان يعلمون الغيب بإخبار الشياطين

المدعون للنوّة يطلعون على المغيبات

اطلاع ابن تيمية على المغيبات

اطلاع ابن تيمية على اللوح المحفوظ

ابن تيمية يعرف بواطن أصحابه

أخبار ابن تيمية بأمر باطنة عن ابن القيم

آخر الحوار مع الدكتور الغامدي

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي فطر الخلائق وروا النسما، وأقام على وجوده الواهين والدلالات، وكان من لطفه أنه لم يترك الخلق حائرين، بل أرسل إليهم مبشرين و منفرين، ليستألوهم ميثاق فطوته ويذكروهم منسي نعمته، وأيدهم بالمعجزات والآيات البينات.

وصلى الله على خوة خلقه محمد الذي ختم الله به الرسالات والنو، وعلى آله المصطفين والحجج المنتجبين. لقد كانت واسة العلوم الدينية بالإضافة إلى واستي الأكاديمية حلاً طالما لودني، ورغبة تجيش في أعماق نفسي، فكان من منة سبحانه وإحسانه لي أن حقق لي تلك الرغبة، فالتحقت بواصة العلوم الدينية في مدينة قروين، وبعد ذلك انتقلت إلى مدينة قم المقدسة، مدينة العلم والعلماء ولأواصل مسيرتي العلمية بكل مثارة وجد.

وفي أثناء ما كنت أتلقى العلوم والمعرف الإسلامية كان يورقني كثراً تسأل واستفهام عن الفرق بيني كمسلم شيعي وبين أتباع الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية، فكانت أسأل نفسي دائماً: هل أن اعتناقي للدين الإسلامي ناجم عن القناعة بالدليل والوهان أم أنني ورثت ذلك عن آبائي بحكم البيئة التي أعيشها كما هو الحال في أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، فلذا كنت - إلى جانب واستي للفقهاء والأصول والتفسير وعلوم العوبية وغوها - مهتماً بواصة الأديان والمذاهب، فبحثت عن كل كتاب ومقال وواصة في هذا المضمار، وأخذت أطلعها وأتأملها بدقة، وأون أغلب ملاحظاتي واستنتاجاتي وتسؤلاتي.

ومن الكتب التي طالعتها وتأثرت بها كتاب الرحلة المرسية، وكتاب الهدى إلى دين المصطفى للشيخ البلاغي، حتى أنني قأت الكتاب المقدس الذي يشمل العهدين القديم والجديد، وكنتم أحمل كلما يتحصّل عندي من تسؤلات واستفهامات لأطرحها على أصحاب الفضيلة من العلماء وأساتذة الحرة، الذين كثراً ما كانوا يبنرون لي طريقي ويفعون عن عيني غشوة الحرة والجهل.

وبعد البحث والتنقيب ثبت لي أحقية الدين الإسلامي وأنه الدين الموضي عند الله سبحانه. وبعد ذلك بدأت رحلتي المضية في التحقيق والتمحيص عن المذهب والفرقة المحقة بين فرق الدين الإسلامي ومذاهبه، وكلما تتلبد أفكري بغيوم الحرة والتساؤل كنت أجد ضالتي المنشودة عند أصحاب السماحة والفضيلة آية الله النوري الهمداني، وآية الله جعفر السبحاني، والعلامة محمد جواد مغنية، والسيد جعفر مرتضى العاملي وغوهم، فأبدأ بطرح تسؤلاتي وإشكالاتي عليهم، وما يعرض لدي أثناء البحث والتحقيق بين ثنايا الكتب وركام الأقوال، فلم يهدأ لي بال أو يقر لي قار حتى استطعت أن أصل إلى قناعة راسخة ويقين ثابت في كون الشيعة الإمامية الاثني عشرية هم الفرقة المحقة والناحية من بين فرق المسلمين وطوائفهم؛ لأنهم من تمسك بأهل البيت وسار على المنهج الذي اختطه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

من هذا المنطلق وبعد وقوفي على تلك الأرضية الصلبة شعرت أنه

الصفحة 7

من واجبي أن أدافع عن مذهب أهل البيت بالحكمة والموعظة الحسنة وأن أجادل بالتي هي أحسن لعل الله يهدي بي إلى

الحق من فتح الله قلبه وبصيرته للهدى وألقى السمع وهو شهيد؟

الصفحة 8

الصفحة 9

الفصل الأول

لقاءات ومناظرات

● آداب المناظرة

● تجربي في الحوار والمناظرة

● أولاً: في إوان

● ثانياً: في المدينة المنورة

● ثالثاً: في مكة المكرمة

الصفحة 10

الصفحة 11

الصفحة 7

تمهيد:

إننا وفي ضوء التعاليم الإسلامية المستقاة من الكتاب والسنة، وبحكم مملستنا العملية في مجال الحوار والمناظرة، نجد أنّ من الضروري الإشارة بنحو الإيجاز إلى الآداب العامة للمناظرة.

آداب المناظرة

لا شك بأن الحوار العلمي والاحتجاجات والمناظرات القائمة على الأسس المنطقية والأخلاقية من أفضل الوسائل للوصول

إلى الحقائق والكشف عنها، وقد حث القرآن الكريم على هذه الطريقة من البحث العلمي، إذ قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾⁽¹⁾.

ومن السباقين في هذا المضمار هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فالكتب الروائية مملوءة بالاحتجاجات والمناظرات التي دلت بينهم وبين أصحاب المذاهب الفكرية الأخرى من المسلمين وغيرهم، في جانبي المعرف الاعتقادية والأحكام الشرعية. وانطلاقاً من قوله تعالى: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** (2)، فلا بدّ للمناظرين أن يكونا مطلعين على آداب المناظرة وفنونها لكي تكون المناظرة ناجحة، ويجب أن يتبعاً آداب المناظرة لكي يخرج الطرفان منها بنتيجة مثمرة؛ لأنه ربما يكون الرجل من أعلم أهل زمانه ولكنه غير مطلع على فنون المناظرة، فلا يكون ناجحاً فيها، وكذا لو لم يتبع الآداب، فإن النتيجة العرجة ستكون غير مثمرة.

(1) الزمر: 18.

(2) النحل: 125.

الصفحة 12

فينبغي للمناظر مراعاة أسس وشروط نجاح المناظرة، وهذه الأسس تلة تكون أخلاقية، وأخرى تكون علمية ترتبط بمنهج المناظرة، وسنشير إجمالاً إلى بعض هذه الأسس.

أهم الأسس الأخلاقية

1. ينبغي أن يكون قصد المناظر لله والوصول إلى الحق والهداية إليه، لأن "من كان لله، كان الله له" (1)، فلا ينبغي أن يكون المقصود من المناظرة هو بيان عورة علمه مثلاً، وصحة نظره، فإن ذلك هراء، وقد ورد النهي الشديد عنه.
2. ينبغي له أيضاً أن يتوكّل على الله **{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}**. ويُوضّأ أمره إليه متيقناً بأن من فرض أمره إلى الله فإن الله سيقيه **{سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا}**، ويتوسّل إلى محمد وآله الأطهار؛ انطلاقاً من قوله تعالى: **{وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}**؛ لأنّ التوكّل والتوسّل روح الأمر في المناظرة وباطنه، كما أنّ العلم والفن جسد المناظرة وظاهرها.
3. وانطلاقاً من قوله تعالى: **{قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا}** يجب أن يختار كلّ من الطرفين ألفاظاً وعبارة بعيدة عن إثارة المشاعر عند الطرف الآخر، بحيث يبتعد عما من شأنه أن يسبب الحقد والشحناء، و يفسد الغرض من المجادلة التي يجب أن تكون بالتي هي أحسن.

(1) بحار الأنوار: ج82 ص319؛ ابن الأبار، درر السمط في خبر السبط: ص75؛ شوح الأسماء الحسنى: ج1 ص69.

الصفحة 13

أهم الأسس المنهجية

1. لا بدّ للمناظر . مهما أمكن . أن يسند كلامه إلى كتاب الله المتفق عليه عند الشيعة والسنة مستفيداً من كلام المفسرين المعتمدين عند المناظر المخالف له في الرأي.

2 . ويجب أيضاً أن يستفيد من الكتب المعتوة عند الطوف المقابل ولا يتعب نفسه بالنقل عن الكتب التي لاقية لها عنده، كما يجب على المناظر أن يستدلّ بالروايات الواردة في السنة المتفق عليها بين الطرفين، أو يحتجّ من السنة بما هو حجة عند المخالف. وإن لم يكن حجة عنده. كالاستدلال بالأحاديث التي صوّح علماء الجرح والتعديل عندهم بوثاقة روايتها أو حكم علماءهم وفقهائهم بصحتها لكي يلتزم بتلك الروايات.

وقد أشار إلى هذا الأساس ابن حزم في قوله: ((لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدقونها، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به))⁽¹⁾.

ولا يخفى إنّ المخالف الذي لا يقبل برواية قد فوض صحتها على ضوء كلمات علماء الجرح والتعديل من أئمة مذاهبه، فلا مجال للتكلم مع هذا الشخص أبداً، فلا بد من تركه؛ لأنّ الجدل معه عقيم ولغو، ونحن منهيون عن اللغو فيترك. فإنّ لا معنى لاستدلال المناظر الشيعي على السنّي بكتاب الكافي والتهديب وأمثالهما، كما أنّه لا معنى لاحتجاج السنّي على الشيعي بصحيح البخاري ومسلم وأشباههما.

(1) الفصل في الأهواء والملل والنحل: ج 4 ص 159.

الصفحة 14

3 . يجب أن لا يقاطع أحدهما كلام خصمه في المناظرات الكلامية المباشرة؛ لأنّ ذلك يوجب عدم وصول كل من الطرفين إلى ما قصد من كلامه، ويشوش الفكر ويخرج البحث عن المجرّ الصحيح، فلا يكون ناجحاً. هذا، وسيتجلّى للنّاظر في هذا الحوار والمكاتبات التّامنا بهذه الآداب والقواعد المقرّرة للبحث والمناظرة آملين أن يلتزم الطرف الآخر بذلك أيضاً، وسائلين الله عزّ وجلّ أن يوفّق الجميع لمعرفة الحقّ واتباعه والوصول لما فيه الخير والصلاح للدنيا والآخرة؛ إنّه سميع مجيب.

تجريبي في الحوار والمناظرة

لقد كانت رحلتي حافلة بالمحطات والقصص والمفصلات والمناقشات والمناظرات في سبيل الدعوة إلى الحق، والتي امتدت زهاء عقود من الزمن ومع مختلف العلماء وأساتذة الجامعات والحوزات في داخل إوان وخرجها، ولو أردت أن أكون تفاصيلها لمأّت منها المجلدات الكثيرة، بيد أنني ولأجل ذات الغاية والهدف وهي الدعوة إلى الله سبحانه وإضاءة جانب من وجه الحقيقة أشير إلى بعض القصص والمواقف والحوارات مع علماء وأتباع مذاهب أهل السنة، وما جرى فيها من مناقشات ومطلحات وحوارات هامة ومفيدة، وعلى نحو الإيجاز والاختصار لأضع القارئ الكريم في صورة ما جرى ويجري من خلافات واختلافات بين المسلمين وليشخص بنفسه طريق الصواب ويتحسس معالمه، وكذلك لتكون مفردات تلك المواقف وأحداثها عظة وعبرة تنفع المؤمنين، فإليك . عزوي القارئ . شذوات من بعض تلك القصص والمواقف:

أولاً: في إيران

لقاء مع أحد علماء أهل السنة في خواسان

كنت حريصاً على الحوار واللقاء والانفتاح على علماء أهل السنة في داخل إيران لأنهم . مهما كان . تربطنا بهم بالإضافة إلى أخوة الدين رابطة الانتماء لهذا الوطن الكريم، فكانت لي لقاءات وعلاقات وحولات كثرة عبر إقامة المؤتمرات والندوات مع العديد من هؤلاء العلماء، فكانت كثيراً ما أزرهم في مناطق سكناهم وأماكن وراستهم وتريسهم وأتحدث إليهم وأحاورهم بكل ود واحترام، وهم أيضاً يبادلونني مثل ذلك، فكانت تسود تلك اللقاءات أجواء الأخوة والمحبة والصفاء.

وفي يوم من الأيام وفي إحدى لقاءاتي معهم، جمعتني الصدفة مع أحد علماء أهل السنة الكبار من أهالي خواسان، وكان أستاذاً فاضلاً يدرس في أحد المدارس الدينية لأهل السنة، فدار بيني وبينه بحث ونقاش حول الصحابة والشيخين (رض)، فبادر إلى القول بأن الشيعة لا يحترمون الصحابة ويتطاولون على مقامهم، فقلت له: بأن في صحاحكم روايات لا تتسجم مع ما تعتقدون في الصحابة، مفادها: بأن علياً (عليه السلام) والعباس يعتقدان بأن عمر آثم غادر، وهذا موجود في صحيح مسلم، فقال: إن هذا كذب وافتراء على مسلم، وتجاوز علي بكلام ناب وبعبيرات حادة، فما كان بأسرع من أن أتيت بكتاب صحيح مسلم وأطلعته على مكان الرواية، فلما قأها دهش وخجل جداً ولم ينبس ببنت شفة، ولما عرفت ذلك منه وصوناً لكرامته غيرت دفة الحديث، ولم أعقب على الموضوع، فشر بذلك وعلم أنني لم رد إهانتة أو التنسفي به ما أوجب محبة لي في قلبه فأكبر موقفي وقوره، فكان هذا باعثاً لاستمرار البحث والتواصل فيما بيننا.

وبعد مضي شهرين اتصل بي هاتفياً ليقول لي: يا فلان، إن عقيدتي بدأت تتزلزل واني وجدت كثيراً مما يقوله الشيعة موجوداً في كتبنا، فقلت له: اتق الله يا شيخ! ولا تجعل الوسوس تتطوق إلى قلبك وواصل البحث والتحقيق حتى يزول ذلك الشك من نفسك، ولكنه وبعد مدة اتصل بي أيضاً، وقال لي: إنه بدأت تتكون لدي قناعات بأن الشيعة على حق، واني أخذت أميل إلى ما يقولون ويطوحون من أدلة، وكنت بهوري أحتة على البحث والتحقيق أكثر.

فاستمر ذلك بيننا ما يربو على السنتين حتى تولدت لديه قناعة قوية بأحقية مذهب أهل البيت، ف جاء إلى بيتنا في مدينة قم المقدسة، وهناك أعلن استبصاره وتشرفه باعتناق مذهب البيت (عليهم السلام)، وكان ذلك بمحضر جمع مبرك من العلماء الأعلام وهم آية الله الشبوي الونجاني وآية الله الشيخ السبحاني والشيخ آية الله القرعلي والشيخ المقتدائي وكان ذلك سنة 1362هـ. ش.

وبعد ذلك توطدت بيني وبين هذا العالم وأصر الصداقة والعلاقة، وهو الآن من أعز أصدقائي وتربطنا به علاقة طيبة

ومتينة والله الحمد والمنة.

مع طلبه من المذهب الشافعي

تمتاز بعض الجامعات والمعاهد بتنوع الدارسين فيها من كل الجنسيات والمذاهب الإسلامية، ففي إحدى الجامعات العالمية كنت أدرس مادتي الترخيص الإسلامي والفرق والمذاهب، وكان جميع طلبتي من المذهب الشافعي وغوه من المذاهب الأخرى الذين فنوا للواسة في هذه الجامعة، وكنت ألقى دروسي عليهم مبيناً كثراً من حقائق الترخيص ووقائعه المغيبة، وما فعلته الحكومات الجائرة من طمس وتشويه لمعالم الحقيقة الترخيفية، وكذلك كنت أتطرق إلى مناقش الخلاف وأسباب الفوق بين المسلمين مبتعداً في طرحي عن كل ما يثير المشاعر والأحاسيس الدينية، متخذاً الموضوعية والحيادية سبيلاً للوصول إلى الحقيقة، وبعد انتهاء الواسة في الجامعة تقدم إلي ثلاثة من الطلبة وأرادوا أن يعلنوا تشييعهم، فقلت لهم: إنكم مخطئون، حيث إنكم طيلة عشرين سنة تتلقون عقيدتكم وتسمعون علمائكم، فلا ينبغي أن تتخلوا عن ذلك لمجرد أنكم سمعتم مني ما أقول في مدة قصوة، وكيف عرفتم أني على حق وصادق فيما أقول وأولئك ليسوا كذلك؟

فلا بد أن تذهبوا إلى علمائكم وتسالوا وتحققوا وتبحثوا عن حقيقة ما ألقى عليكم من دروس ومعلومات، فإن اكتشفتم أني على خطأ، وكانت إجابات علمائكم مقنعة لكم، فاعلموا أن مذهبكم هو الحق وأثبتوا عليه، وكونوا كالجبل الراسخ في ذلك، وإن لم يجيبوا بما تقنع به أنفسكم، فارجو منكم أن تعنوا مذهب أهل البيت مذهباً إسلامياً إلى جانب المذاهب الإسلامية الأخرى، وحينما كنت أتكلم معهم بهذه الطريقة كانت عيونهم تترقق بالدوع تأزاً بما أقول، وودعتهم وأنا أحمل لهم كل حب وتقدير داعياً الله لهم بالتوفيق والهداية.

وبعد عدة سنوات من تلك القصة وفد عدد من هؤلاء الطلبة إلى مدينة قم المقدسة لرواسة العلوم الدينية في المدرسة الحجتية⁽¹⁾، وبعد اطلاعي على ملفاتهم واستمراات قبولهم رأيت أنهم كتبوا في حقل المذهب السابق في الاستمارة: المذهب الشافعي، وفي حقل المذهب الحالي كتبوا: المذهب الشيعي، فحمدت الله على ما أنعم علينا وعليهم بالهداية إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وهكذا بقيت مواظباً على الدرس والتدريس في الجامعات والحزرات العلمية مع مواصلة البحث والتحقيق والفرص في كتب الشيعة والسنة، فتحصل عندي خزين كبير من الأدلة والشواهد القوانية والروائية وأقوال علماء الفريقين وذلك في جل مسائل الخلاف بين الشيعة والسنة، وقد تبلور بعضها على شكل كتب ورواسات ومقالات ولم تتقطع سجلاتي ومحاوراتي مع أساتذة الحوزة والجامعة، ومن مختلف المذاهب والاتجاهات والاختصاصات، إلى أن قدر الله تعالى لي أن أشتوف بزيرة الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء فريضة الحج، وتوالت بعدها تلك الزيارات ليبدأ معها مشوري الطويل في الحوار والمناظرات والمناقشات. مع كبار علماء الوهابية والسلفية. والتي كانت غنية في أغلبها بالبحث العلمي والحوار

الموضوعي الجاد بحثاً عن الحق والحقيقة، وإليك بعض قصص تلك اللقاءات والحوارات:

1) وهي: إحدى المدرس العلمية في قم المقدسة، التي أسسها أحد العاراج الكبار وقد سميت باسمه، ولالنت تدرس العلوم الدينية حتى مرحلة الماجستير والدكتوراه، وقد تخرج منها الكثير من الطلبة.

الصفحة 19

ثانياً: في المدينة المنورة

لقاء مع الشيخ عبد العزيز (وكيل الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي)

في اليوم الأول من شهر رمضان المبارك سنة 1423 هـ ذهبت إلى المسجد النبوي كموفد عن بعثة الحجاج الإوانية، فشهدت أثناء تجوالي في المسجد المبارك سوء المعاملة التي يلقاها حجاج بيت الله الحرام وضيوف الرحمن من بعض أواد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين يتصرفون مع الحجاج بكل غلظة وجفاء، فساءني ذلك كثراً، فأبديت امتعاضي واعتراضي الشديد على ذلك، ولكنه لم يُجد نفعاً.

فقررت أن أوصل شكواي إلى أحد المسؤولين، فسألت عن الشخص المسؤول هناك، وبالقوب من باب البقيع أرشدني رجل كبير السن إلى أنه توجد خرج المسجد وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي، وهناك يجلس الشيخ عبد العزيز وهو المسؤول عن شؤون المسجد النبوي.

فعمت على الذهاب إليه وبعد وهمة التقيت به فوجدته إنساناً غاية في الأدب وطيب اللقاء، فشكوت له التعامل السيئ الذي يملسه أعضاء الهيئة مع الحجاج ومعني شخصياً، فأبدى أسفه واعتذر عن ذلك، ووعد باتخاذ الإجراء المناسب لعدم تكرار مثل هذه الأعمال، فشكوته على ذلك، وانصرفت.

الصفحة 20

الالتهام بالشرك في المسجد النبوي

في يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان المبارك، وبعد أداء صلاة العصر في المسجد النبوي المبارك قمت بتأدية بعض الأعمال والعبادات وأنا في رحاب تلك البقعة الطاهرة التي شهدت نزول الرحمة الإلهية، وإلى جوار قبر خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله) مستغلاً تلك الأجواء الإيمانية داعياً الله أن يتقبل منا ويغفر لنا ورحمنا، وأنا في هذه الحالة وإذا رجل عربي كان يجلس إلى يسري، يلتفت إلي، ويقول لي بلسان الناصح المشفق: من الخسلة أن تبطل أعمالك هذه بالشرك، وغداً يوم القيامة سوف تندم ولات حين مندم.

فقلت: أي عمل من أعمالك يدل على الشرك؟

قال: أنت إلى جانب قبر النبي وتتوسل به، والتوسل بالميت بأي شكل من الأشكال شرك.

فأجبتة: إِنَّ الْقَوَانَ الْكْرِيمَ يَحْكِي لَنَا قَوْلَ إِخْوَةِ يُوسُفَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِنَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَطَلِبَهُمْ مِنْهُ بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا}** ⁽¹⁾ أَكَانُوا مُشْرِكِينَ بِفَعْلِهِمْ هَذَا؟! فقال: هَذَا التَّوَسُّلُ مُخْتَصٌّ فِي حَالِ الْحَيَاةِ، أَمَا التَّوَسُّلُ بِالْمَيِّتِ فَهُوَ شُرْكَ. قلت: هَلْ أُنَّ مَقَامَ النَّبِيِّ أَفْضَلُ أَمْ مَقَامَ الشَّهَدَاءِ؟

(1) يوسف: 97.

الصفحة 21

قال: لا شك أَنَّ مَقَامَ النَّبِيِّ أَفْضَلُ.

فقلت: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ فِي حَقِّ الشَّهَدَاءِ: **{لَا تَحْسَبَنَّ الدِّينَ قَتْلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}** ⁽¹⁾.

فأجابني: إِنَّ هَذِهِ حَيَاةٌ بَرِّزَخِيَّةٌ وَالرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: إِذَا سَلَّمَ شَخْصٌ عَلَيَّ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَرُدُّ رُوحِي وَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ⁽²⁾

قلت له: مَاذَا تَقْصِدُ بِالْحَيَاةِ الْبَرِّزَخِيَّةِ، وَهَلْ هِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالشَّهَدَاءِ أَمْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ لَدَيْهِمْ هَذِهِ الْحَيَاةُ؟ فقال: هَذِهِ الْحَيَاةُ مُخْتَصَّةٌ بِالشَّهَدَاءِ.

فبأدبته بالقول: إِنَّ الْقَوَانَ الْكْرِيمَ يَقُولُ فِي قَضِيَّةِ آلِ فُوعُونَ إِنَّهُمْ يَعْضُونَ عَلَى الْعَذَابِ فِي الْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، قَالَ تَعَالَى: **{لَوْ حَاقَ بِآلِ فُوعُونَ سُوءَ الْعَذَابِ * النَّارِ يَعْضُونَ عَلَيْهَا عَنَّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}** ⁽³⁾ فَمَاذَا تَقُولُ؟!

فقال وهو غاضب مزعج: أَنْتَ مُشْرِكٌ، أَنْتَ مُشْرِكٌ!! وَخُجَّ مَنِ الْمَسْجِدِ.

وفي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مَسْنٍ يَسْمَعُ كَلَامَنَا، فَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا، وَقَالَ بِنُورَةِ تَعَلُّوْهَا الْإِهَانَةَ وَالتَّحْقِيرَ: هَلْ تَقْرَأُونَ الْقَوَانَ؟ وَهَلْ تَقْرَأُونَ تَفْسِيرَ الْقَوَانَ؟

قلت: مَاذَا تَقْصِدُ؟

قال: مَا هُوَ مَعْنَى الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ **{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}** ⁽⁴⁾.

(1) آل عمران: 169.

(2) أحمد بن حنبل، المسند: ج 2 ص 527.

(3) غافر: 46.

(4) النور: 26.

الصفحة 22

قلت: المقصود إنّ النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والنساء الطيبات للرجال الطيبين.

قال: إذن لماذا تكفرون عائشة؟

قلت: ومن قال إننا نكفر عائشة، إنّ هذا كذب وافتراف على الشيعة، فالشيعة لا تعتقد بكفر عائشة.

ولكن أجبني، ما هو فهمك لقوله تعالى: **{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ وَامْرَأَةٌ لَوْطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخلِينَ}** (1).

ألم يكن نبي الله فوح ولوط من الطيبين؟ ومع ذلك فإن زوجتيهما كافرتان داخلتان في جهنم.

وابن الجوزي من كبار علماء أهل السنة، يقول: ((قال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر به عائشة وحفصة

(2) ((

وقال الطوي بعد نقله للآية الشريفة: ((لم يغن صلاح هذين عن هاتين، وامرأة فوعن لم يظوها كفر فوعن)) (3).

ثم روى أيضاً عن بشر قوله: ((ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، قوله: **{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ وَامْرَأَةٌ**

لُوطٍ...} الآية، هاتان زوجتا نبيي الله، لما عصتا ربهما، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً)) (4) وقريب ما عن القوطي في تفسيره (5).

(1) التحريم: 9.

(2) ابن الجوزي، زاد المسير: ج 8 ص 59.

(3) جامع البيان: ج 28 ص 217.

(4) الطوي، جامع البيان: ج 28 ص 217.

(5) القوطي، تفسير القوطي: ج 18 ص 21.

الصفحة 23

يقول ابن القيم والذي يعد من تلامذة ابن تيمية: «ثم في هذه الأمثال من الأسوار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سبقت

في ذكر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) والتحذير من تظاهروهن عليه، وأنهن إنّ لم يطعن الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)

ويودن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله (صلى الله عليه وآله) كما لم ينفع امرأة فوح ولوط اتصالهما بهما (1).

والأجمل من هذا ما يقوله الشوكاني من أنّ هذه الآية وجهت لوماً وتوبيخاً لعائشة وحفصة مع سائر أزواج النبي بأن

زواجكن واقترانكن بأفضل خلق الله، وخاتم النبيين لا يجدي ولا يدفع عنكن عذاب الله.

حيث قال: ((فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرشد أتم إرشاد

ويوحد أبلغ تلويح إلى أنّ المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين، وبيان أنهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم

النبيين، فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئاً وقد عصمهما الله عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة

(2)

وعندما لم يكن لديه أي جواب غضب غضباً شديداً ووجه لي عبارات الإهانة والتحقير، وخرج من المسجد. فأسفت على ذلك التصرف الذي يبتعد عن روح الإسلام وأهدافه السامية وتعاليمه السمحاء، والتي من جملتها التحلي بالخلق الوفي والسجايا النبيلة، ثم التفت إلى بعض الشباب العرب ممن شهدوا الحوار الذي دار بيني وبينه، فقلت لهم: رأيت منطلق هؤلاء الناس؟ فهم حين يعجزون عن الإجابة يعمدون إلى إهانة الآخرين ويوجهون لهم كلاماً بذيئاً غير لائق.

(1) ابن القيم الجوزية، الأمثال في القآن: ص57.

(2) الشوكاني، فتح القدير: ج5 ص256.

الصفحة 24

وإذا طالعتم كتب الشيعة والسنة ستجدون أنّ علماء الوهابية أمثال ابن تيمية وأتباعه قد اعتادوا على إهانة الطرف المقابل والتفوه بالكلام بالذيء غير المناسب تجاهه، ولكن في المقابل ستجدون علماء الشيعة يتصرفون معهم بالحكمة والعقل ويترفعون عن ذلك، ويمكنكم أن تستشفوا ذلك من أسلوب العلامة الحلي . أحد كبار علماء الشيعة . في كتابه (منهاج الكرامة)، وفي مقابله لاحظوا كتاب (منهاج السنة) لابن تيمية الذي ألفه للرد على كتاب العلامة، وسوف ترون الفرق الشاسع بين الأسلوبين.

ولم يبد هؤلاء الشباب أي رد فعل على ما حصل، ولم يتخذوا أي موقف يذكر، فعند ذلك ودعتهم، وخرجت من المسجد.

لقاء مع أحد خريجي الجامعة الإسلامية

في يوم السبت المصادف الرابع من شهر رمضان كنت ذاهباً لرؤية المكتبة الموجودة في باب عمر بن الخطاب (رض) في المسجد النبوي، وهناك تعرفت على أحد الطلبة المتخرجين من الجامعة الإسلامية في قسم الحديث، وكان اسمه (منزلاً)، وقد علم أنني إواني الجنسية فكان الحوار بيننا ساخناً جداً، تناولنا فيه بعض المباحث، ومن جملة ما دار بيننا من حديث أنه سألتني قائلاً: هل الكتب الروائية الشيعية لا سند لها؟

الصفحة 25

قلت: إن سبب سؤالك هو أنّ مكنتات أهل السنة تكاد تخلو من كتب الشيعة بينما تضم مكنتاتنا العديد من كتب أهل السنة. فقال لي: إنكم تحتاجون إلى كتبتنا ونحن لسنا بحاجة إلى كتبتكم. فأجبت بالقول: إنّ الشيعة في مجال استنباط الأحكام، والمعرف الإسلامية لديهم ما يكفي من الكتب الروائية والتفسيرية وغوها، فلا يحتاجون إلى كتب أهل السنة. وإنما يقرؤونها لمجرد الاطلاع على آرائهم لا أكثر. قال: إنكم لا تملكون كتباً روائية أصلاً.

قلت: إنَّ كتبنا الروائية أكثر من كتبكم، وإذا كنتم تفتخرون بأن عندكم الصحاح الستة، فإن الشيعة أيضاً لديهم الكتب الأربعة (الكافي والتهذيب ومن لا يحضوه الفقيه والاستبصار)، وكتاب الكافي وحده يضم بين دفتيه روايات أكثر من صحاحكم الستة عدداً؛ لأن جميع روايات الصحاح الستة حينما تحذف المكرر منها تطابق ما موجود في جامع الأصول لابن الأثير، حيث يوجد فيه (9884) حديثاً بينما عدد روايات الكافي فقط (16199) حديثاً.

قال: رواياتكم كلها مقطوعة وغير مسندة.

قلت: إنَّ أغلب روايتنا هي من الروايات المسندة؛ لأن كل أسانيدنا تتصل بالأئمة المعصومين وهم (عليهم السلام) يسندون ما يروونه إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فالروايات المروية عن الإمام الصادق (عليه السلام) مثلاً مسندة، لأن الإمام الصادق يقول: ((حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل))⁽¹⁾.

(1) الكافي: ج 1 ص 53؛ الإرشاد: ج 2 ص 187.



وكذلك قال الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر: ((يا جابر، لو كنا نفتي الناس وأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكننا نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وأصول علم عندنا نقولها كابر عن كابر نكوهها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم))⁽¹⁾

وفي رواية جابر يقول: ((قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا حدثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدثني أبي، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله عز وجل. وكل ما أحدثك بهذا الإسناد))⁽²⁾

وقد ذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار حوالي (28) رواية في هذا المضمون تحت عنوان: ((أنهم عليهم السلام عندهم مواد العلم وأصوله ولا يقولون شيئاً برأي ولا قياس، بل ورثوا جميع العلوم عن النبي (صلى الله عليه وآله))⁽³⁾

وقد ذكر المرجع الكبير المحرم السيد البروجردي في جامع أحاديث الشيعة حدود (213) رواية تحت عنوان (باب حجية فتوى الأئمة المعصومين)⁽⁴⁾

وبالإضافة إلى ذلك فإن الروايات المقطوعة والموسلة ليست حجة عند علماء الشيعة، ولا يعملون بها، وفي هذه الأثناء أقيمت صلاة الظهر، وانتهى اللقاء.

(1) بصائر الوجدات: ص32.

(2) بحار الأنوار: ج2 ص178.

(3) بحار الأنوار: ج2 ص272.

(4) جامع أحاديث الشيعة: ج1 ص179.

روايات الشيعة في كتب أهل السنة

وفي يوم الاثنين السادس من شهر رمضان ذهبت إلى المكتبة فوجدت ذلك الطالب مع اثنين من أصدقائه اللذين يظهر أنهما أفضل منه في المستوى العلمي، وحينها تبادلنا الحوار، فقلت:

إنكم قلتم: إن أهل السنة ليسوا بحاجة إلى كتب ومرويات الشيعة، مع أن مثل الذهبي وهو من كبار علمائكم يصوح، ويقول: ((فلورد حديث هؤلاء [الشيعة] لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة))⁽¹⁾

فلا شك أنتم بحاجة إلى مرويات الشيعة، فكيف تنكر ذلك؟

تهمة سب الصحابة

ثم سألتني أحد رفيقي الطالب اللذين كانا معه، فقال: ما هو موقفكم من الصحابة؟ أنتم تسبون الصحابة.

وقال الآخر: قد ذكر في كتبكم سب الخلفاء.

قلت: في أي كتاب وفي أي مستند؟

قال: في كتاب نهج البلاغة قد ذكر السب والشتم، وكذلك في كتاب الكافي.

قلت: في أي خطبة من خطب نهج البلاغة ذكر ذلك؟ يا حبذا لو توّشدي إليّه.

(1) لاحظ: ميزان الاعتدال: ج 1 ص 6؛ سير أعلام النبلاء: ج 1 ص 59؛ لسان الميزان: ج 1 ص 9.

الصفحة 28

وفي هذا الوقت أذن المؤذن للصلاة.

واتفقنا أن نبحت مسألة السب والشتم في نهج البلاغة في لقاء آخر بعد الصلاة، وبعد أن أنهيت صلاة العصر ذهبت إلى

المكتبة، فلم أجد أحداً منهم هناك.

اعتراضي على ما ينشر ويوزع من كتب ضد الشيعة

وفي اليوم نفسه أي السادس من شهر رمضان المبارك ذهبت بعد أداء صلاة الظهر إلى وكالة الرئاسة العامة، لأن دائرة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانوا قد أعطوني كتابين: أحدهما كتاب (أهل البيت يدافعون عن أنفسهم)، والثاني كتاب

(حكم سب الصحابة)، فذهبت للشيخ عبد العزيز لأقدم اعتراضي على ما ورد في هذين الكتابين من افتراءات وأكاذيب.

فقلت للشيخ: قد ذكر في كتاب (حكم سب الصحابة) بعض المطالب عن الإمام الصادق، والإمام السجاد، ولكن لم يذكر

المصدر، وقد تتبعت مصارنا فلم أجد ما هو منقول فيه، ويبدو لي أنه لم راع الإنصاف والموضوعية في هذا الكتاب؛ لأنه

يخالف أسلوب التحقيق المتعارف في هذه الأيام، فحين تنقل النصوص والمطالب لا بد من ذكر اسم الكتاب الذي نقلت منه،

واسم مؤلفه، ودار النشر، وسنة الطبع.

والملاحظ أيضاً أن كتاب (أهل البيت يدافعون عن أنفسهم) قد ذكرت فيه روايات عديدة نسبت للشيعة، مع ذكر المصادر،

لكنه كذب محض، لعدم وجود تلك الروايات في المصادر المذكورة.

الصفحة 29

وذكرت له أيضاً أن كتاب (الله ثم للتاريخ) المنسوب لشخص اسمه سيد حسين الموسوي والذي لا وجود له أصلاً، بل هو

اسم مستعار، هذا الكتاب يوزع مجاناً في المدينة المنورة للشباب الإيرانيين، وهو مملوء بالمسائل الخلافية بين السنة والشيعة،

وكل ما ذكر فيه هو كذب وافتراء، وأطلعته على بعض نماذج هذا الكذب، حيث يقول المؤلف الوهمي: ((في زيارتي للهند

التفتت السيد دلدار علي، فأهداني نسخة من كتابه (أسس الأصول)...)).

ثم يذكر لقاءاته مع بعض علماء النجف كالسيد الخميني والسيد الخوئي والسيد السيستاني.... وغوهم.

ثم خاطبت الشيخ قائلاً: يا جناب الشيخ، إن أي شخص له أقل اطلاع على مضمون هذا الكلام يعلم أن ما ذكر هو كذب ولا

أساس له من الصحة؛ لأن السيد دلدار توفي سنة 1235 هـ، أي أنه توفي قبل مائتي عام، وعلى هذا فالمفترض أن يكون عمر المؤلف الآن 23 سنة، فهل يعقل هذا؟!

ثم إنه قد نسب إلى الإمام الخميني (رض) بعض الأمور غير الواقعية، من قبيل أنه شاهد حادثة زواج الإمام الخميني زواجاً منقطعاً (متعة) من فتاة عمرها ست سنوات، وكان هذا المؤلف موجوداً هناك حين تزوج الإمام بتلك الفتاة حتى أنه سمع صواخها!!!

وهذه المسألة لا يمكن أن يصدقها أي شخص يعرف أخلاق الإمام الخميني وما هي إلا قضية خيالية نسجها المؤلف من خياله العريض.

ولو كانت هذه القضية صحيحة لطبّل لها شاه إوان في تلك الفتوة، وكذلك لاستغلها صدام نريعة للطعن عليه؛ لأنها تعد نقطة ضعف في شخصية الإمام.

الصفحة 30

وأيضاً قد ذكر في هذا الكتاب: أنه إذا تدخل متول الشيعة، وتحل ضيفاً عليهم فإنهم يقدمون زوجاتهم ويجعلونها تحت اختيار الضيف؟!!

أيها الشيخ! ماذا تفعل لو أن أحداً أفترى عليك مثل هذا الافتراء؟

كما أنّ المؤلف يقول أيضاً في محل آخر: قال الصادق: إذا طال بك السفر فعليك بنكاح الذكر!!

أيها الشيخ! لو أنّ أحداً أفترى على الخلفاء، أو على أحد علمائكم مثل هذه الويبة، فماذا تفعل؟

وبعد أن ذكرت له هذه النماذج لاحظت أنّ الشيخ عبد العزيز قد تأثر كثيراً، وأظهر أسفه الشديد تجاه هذه المسألة، وقال: إنني لم أكن مطلعاً على تفاصيل هذه المسائل، والإفترى لم أكن لأسمح بتوزيعه في المسجد، واعتذر عن ذلك كثيراً، وطلب مني الحضور في يوم الثلاثاء بعد صلاة الظهر في نفس المكان.

وفي يوم الثلاثاء ذهبت إلى الشيخ ووجدته قد أحضر المسؤول الأول عن داوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب مني أن أنقل وأعرض عليه تلك المسائل، وذكرت له بعضها، وبعد أن سمع بذلك، قال: إنني لم أكن مطلعاً على هذه القضايا التي في الكتاب، وقد اطلعت يوم أمس فقط، لهذا أصرت أولاً بمنع نشر الكتاب وتداوله، ولا يحق لأي شخص توزيعه في المدينة المنورة، وسنقوم بجمع كل النسخ المتواجدة في المكتبات.

وفي الختام ودّعوني بكل احترام، وأنا بدوري شكوتهم على ذلك، وودعتهم.

وفي مساء ذلك اليوم كنت قد غادرت المدينة المنورة متجهاً إلى مكة المكرمة.

الصفحة 31

ثالثاً: في مكة المكرمة

هل تعتقد الشيعة بأن جوائيل خان الوحي؟

في ليلة الخميس في التاسع من شهر رمضان المبارك في الساعة التاسعة ليلاً خلف مقام إراهيم كنت منشغلاً بالعبادة، وبعد الواغ من بعض ما كنت فيه من العبادة تعرفت على أحد طلاب جامعة أم القوي الذي قدم نفسه على أن اسمه جحوني، أحد طلاب الجامعة في المرحلة الرابعة، قسم الشريعة الإسلامية.

ثم تكلمنا بعض الشيء، وعندها قال: بأنّ الإوانيين يعتقدون بخيانة جوائيل، حيث بلغ الوسالة لمحمد(صلى الله عليه وآله) بدلاً عن علي(عليه السلام)؛ ولذا فإنهم بعد صلاتهم يرفعون أيديهم ويقولونها ثلاث مرات ويقولون: خان الأمين.

قلت: هذا الشيء لا أساس له من الصحة، فلو أنك جئتني بكتاب من كتب الشيعة، أو رواية ولو كانت ضعيفة فيها ما يدل على دعواك، لتوكت التشيع وصوت سنياً.

والآن هنا آلاف الإوانيين في مكة المكرمة، اذهب واجلس إلى جنب أي منهم، واسمع ما يقولون بعد صلاتهم، عندما يرفعون أيديهم ويقولونها.

قال: أنا قمت بذلك، ولكنني لم أستطع أن أسمع ما يقولون.

وفي هذا الحال كان أحد الإوانيين يجلس في الصف الذي أمامنا، وآخر يجلس إلى جهة اليسار، فانتهزت الفوصة، وسألتهم، قائلاً: عفواً أخي! ما تقولون بعد إتمام صلاتكم عندما ترفعون أيديكم وتقولونها؟

الصفحة 32

أجابوني: بأنهم يقولون ثلاث مرات: الله أكبر.

لقد تركت هذه القضية أولاً عجبياً في نفسية هذا الطالب، فقال: أنا لا ينبغي لي أن أجادل في هذا المكان إلى جانب بيت الله الحرام.

فقلت: هذا ليس جدلاً، فإنك نقلت افتراء على الشيعة، وقمتُ بإبطاله عملاً، وإن قولك هذا كان موجوداً على امتداد تليخ الإسلام، فهو محض افتراء وكذب على أتباع أهل البيت(عليه السلام).

ثم قلت: أنا من أساتذة الحوزة العلمية والجامعة ولدي مجموعة من الأسئلة أود أن أطرحها وأريد أن أسمع الإجابة الصحيحة عنها.

فأجابني: إني على استعداد أن أكتب هذه الأسئلة، ثم أطلب من بعض الأساتذة الإجابة عنها، وكذلك أنا مستعد أن أتكلم مع أحد الأساتذة في جامعة أم القوي، فهو متضلع وخبير في المسائل الإسلامية، وبإمكانك أن تطرح عليه كل ما تريد من الأسئلة.

قلت: أنا جاهز، ولكن بشروط أن لا يتهمني بالشرك مسبقاً.

قال: ما هي نماذج هذه الأسئلة؟

قلت: إن عمدة ما يتهم به الشيعة من قبل أهل السنة، هي قضية أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأنا عمدة ما أطرحه عليه أيضاً مرتبط بهذه المسألة.

ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: **كبرد عليّ الحوض رجال من أصحابي فيحلّون عنه، فأقول: يارب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتنوا على أدبهم القهوي** (1)

(1) صحيح البخاري: ج 7 ص 28، كتاب الرقاق، باب الحوض.

الصفحة 33

وفي رواية أخرى: **فلا رآه يخلص منهم إلا مثل همل النعم** (1)، أي: إلا القليل.

وعن سهل بن سعد قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): **ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم... فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك!! فأقول: سحقاً لمن غير بعدي** (2).

فبادر إلى كتابة ما ذكرته له، وقال: أنا إلى الآن لم أر هذه الروايات، ولم أسمع بها.

قلت: الأهم من هذا أن ابن حزم في كتابه المحلى (3) نقل عن حذيفة عن الوليد بن جميع: أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص رأوا قتل النبي (صلى الله عليه وآله) والقائه من العقبة في تبوك.

فحاول أن يطعن بسند الرواية، حيث قال: هذه الرواية مجعولة بالوليد بن جميع، ولكن عند مراجعتي لكتب رجال أهل السنة، رأيت أن أغلب علمائهم يقولون بتوثيقه.

كما صوّح بوثاقته العجلي، وقال ابن سعد: كان ثقة وله أحاديث >، وأورده ابن حبان في الثقات، وقد نقل الذهبي (4) وابن حاتم، عن أبي عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: **قال أبي: ليس به بأس، وعن يحيى بن معين أنه قال: ثقة، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال الذهبي: وثقه أبو نعيم** (5).

(1) صحيح البخاري: ج 7 ص 28، كتاب الرقاق، باب الحوض.

(2) صحيح البخاري: ج 7 ص 28؛ صحيح مسلم: ج 7 ص 66.

(3) ابن حزم، المحلى: ج 11 ص 224.

(4) تزيخ الثقات: ص 465، رقم 1773؛ طبقات ابن سعد: ج 6 ص 354؛ كتاب الثقات: ج 5 ص 492.

(5) الروح والتعديل: ج 8 ص 9، رقم 34؛ تهذيب الكمال: ج 35 ص 31؛ تزيخ الإسلام: ج 9 ص 661.

الصفحة 34

وأعجب ما ورد في هذا الباب ما ذكره ابن كثير بأن عمر بن الخطاب (رض) قال لحذيفة: **أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ قال: لا، ولا أرى بعدك أحداً** (1).

فكتب هذه المطالب في ورقة وأخذها معه، ولاحظت أنه كتب هذه المطالب بدقة، وقال: أنا سوف أسأل عن ذلك أساتذة الجامعة، وأتيك غداً ليلاً في هذا المكان، ومعني الجواب، وأنا أعلم بأن عمر (رض) من أصحاب رسول الله الأوفياء، وعقلي

يحكم بكذب هذه القضية.

فقلت: إنها ليست مسألة حكم العقل أو عدمه، وإنما أريد أن أستفهم عما ذكوه ابن حزم حول هذه القضية وردّه لها من جهة السند، مع أنّ علماء السنة قد وثقوا من نقلها. فما هو جواب علماء أهل السنة في هذه المسألة؟ وفي أثناء الحديث، قلت له: إنّ المسألة الأخرى المهمة بالنسبة لي: هي أنّ بعض علماء السنة نقلوا جملة من القضايا ونسوها إلى الشيعة مع أنّها مزاعم كاذبة.

فعلى سبيل المثال: يقول ابن تيمية: الشيعة مثل اليهود، ويقولون بدل (السلام عليك) سام عليك، يعني: الموت لك. ويقول أيضاً إنّ الشيعة مثل اليهود، لأنهم يعتبرون التصوف في أموال الناس مباحاً.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية: ج 25 ص 5.

الصفحة 35

وكذلك يعتبرون خيانة الناس جاؤة، وأمثال هذه الأمور.

فقال: بما أنّ ابن تيمية رجل موثوق، فإنه إما أن يكون قد نقل له ذلك، أو أنه قد رآه في مكان ما.

قلت: بعض علماء السنة لا يعتبرون ابن تيمية ثقة، وذكروا في حقّه كثير من العبارات القاسية، مثل الحصني الدمشقي وهو من علماء السنة شافعي المذهب، حيث قال في حق ابن تيمية: حتى ظهر في آخر الزمان مبتدع من زنادقة حوّان، لبس على أشباه الرجال، ومن شابههم من سيئي الأذهان، وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان، فصدّهم بتمويهه عن سبيل أهل الإيمان، وأغواهم عن الصواب المستقيم إلى ثنيات الطريق ومرجة النوان، فهم برزيتة في ظلمة الخطأ يعمهون، وعلى أموال بدعته يهوعون (1).

فأجاب: بأنه لا يعد كلام الحصني الدمشقي دليلاً، لا بد أن نرى علماء الرجال ماذا يقولون فيه.

قلت: إنّ علماء أهل السنة، يشيدون بالحصني الدمشقي، كالشوكاني، حيث يقول فيه: كوحضر جنزته عالم لا يحصيهم إلا الله، مع بعد المسافة وعدم علم أكثر الناس بوفاته، ولذحموا على حمله للتّرك به، وختم عند قوه ختمات كثيرة، وصلّى عليه أمم ممن فاتته الصلاة على قوه، ورويت له منامات سالحة في حياته وبعد موته (2).

وقال عمر رضا كحالة: ((الحصني الدمشقي الشافعي، المعروف بالحصني (تقي الدين) فقيه، محدّث، ولد في الحصن، وتوفّي بدمشق في جمادى الآخرة)) (3).

(1) تقي الدين الحصني الدمشقي، دفع الشبه عن الرسول: ص 168.

(2) البدر الطالع: ج 1 ص 166.

(3) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: ج 3 ص 74.

الصفحة 36

وقال الزركلي: ((الإمام تقي الدين الحصني الدمشقي (ت 829 هـ): فقيه، ورع، من أهل دمشق، ووفاته بها ... وله تصانيف كثيرة، منها: كفاية الأخبار، شرح به الغاية في فقه الشافعية، ودفع شبهه من شبه وتمرد))⁽¹⁾.
وقد فح عندما سمع باسم الزركلي، وقال: كم جميل عندي بأن لك معرفة بكتاب الزركلي، وأتتك قد استفدت منه، فهو كتاب جيد.

قلت: هناك من دم ابن تيمية، وهم غير الحصني الدمشقي، من قبيل: ابن حجر، والذهبي.
وفي هذا الوقت كان قد اقترب وقت السحور، فودع بعضنا بعضاً، وذهبنا على أمل اللقاء بأحد علماء أهل السنة الكبار في مكة المكرمة.

وبعد ليلتين، التقيت بالأخ جحوني الخوي في جوار بيت الله الحرام، وقال: إني التقيت بالشيخ محمد بن جميل بن زينو _ وهو من كبار الأساتذة في مكة المكرمة يدرس في دار الحديث إلى جانب البيت الحرام. وقد تذاكرنا ما دار بيننا، فيما يتعلق بأسئلتكم وأخذت منه موعداً للالتقاء به لكي يجيب عن أسئلتكم.

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام: ج 2 ص 69 ؛ راجع: ترجمة: بهجة الناظرين: ج 1 ص 97، ج 2 ص 98 ؛ فهرس المؤلفين بالظاهرية؛ الشوكاني، البدر الطالع: ج 1 ص 166 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ج 7 ص 188. 198 ؛ حاجي خليفة، كشف الظنون: ص 23، 487، 491، 558، 113، 132، 1193، 1365، 1625، 1875، 1915، 239.

الصفحة 37

وذهبت معه إلى مكتب الاتصالات الكائن في باب عمر بن عبد العزيز، حيث تعرفنا على الشيخ محمد المتخوج من جامعة أم القوي وعضو في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بيت الله، وقد أهدى لي الكثير من كتب الشيخ محمد بن جميل بن زينو التي كان قد بعثها الشيخ، وقال: طالع هذه الكتب، وسوف نلتقي بكم في الليلة القادمة بعد الانتهاء من صلاة التراويح، لنذهب عند الشيخ محمد بن جميل بن زينو.

الصفحة 38

اللقاء بالشيخ محمد بن جميل بن زينو

ليلة الأربعاء المصادف الخامس عشر من شهر رمضان، وبعد الانتهاء من صلاة التراويح ذهبنا إلى مكتب الاتصالات ومنه انطلقنا مع الشيخ محمد وثلاثة من طلابه المتخرجين من جامعة أم القوي في سيرته إلى بيت الشيخ محمد بن جميل بن زينو الواقع في شارع الغزوية.
وبعد أن وصلنا وجدنا عنده عدداً من علماء اليمن، وهم يسألون الشيخ محمد بن جميل بن زينو عن مسائل عدة، وهو يجيب عن أسئلتهم، وهم يكتبون ما يجيب بدقة.

في البداية استقبلنا بكل حارة، وقد أهدى لي أحد تأليفاته، وقال: رأيت في يوم من الأيام في مكة أحد علماء إوان، وقد

جمع إلى جانبه عدّة من الأفراد وهو يتحدث إليهم.

وقد أعطاني بعض أشعره، وكانت أشعراً جميلة جداً وقد ذكرت هذه الأشعار في نهاية كتابي هذا الذي بين يديك.
فطلب مني الشيخ جميل بن محمد بن زينو أن أقرأ هذه الأشعار المذكورة في كتابه، وفعلاً قرأت جميع تلك الأبيات التي كانت بحدود صفحتين، وقد سألتني عن بعض الأبيات فقمت بتوضيحها له، فكان مسروراً بذلك.
ثم قال لي الشيخ محمد بن جميل بن زينو: لماذا يسموننا بالوهابية مع أنّ القاعدة تقتضي أن يسمونا محمديّة لأننا من أتباع محمد بن عبد الوهاب؟

قلت: لعله بلحاظ أنّ (وهاب) هو اسم من أسماء الله تعالى.

الصفحة 39

فسره ذلك، وربت على كتفي وقال: برك الله.

ثم سألتني: لماذا تقدم المفعول به على الفعل في جملة (إياك نعبد)؟

قلت: لأنّ تقديم المفعول به على الفعل من أساليب الحصر.

ورأيت أنه قد سر بالإجابة على ذلك أيضاً.

قلت: يا شيخ، اسمح لي بأن أطرح بعض الأسئلة عليك وأرجو ألاّ تتهمني بالشوك والزندقة بسبب ذلك.

فتبسم الشيخ وقال: لماذا نتهمك بالشوك؟!

قلت: لأنّي قد حلوت الكثير من إخواننا أهل السنة، فحينما يعجزون عن الإجابة يتهمون الشخص بالشوك والزندقة، أو

يوجهون له عيبرات مهينة، ومن الأمثلة على ذلك ما حصل ليّ في سوفي الأخير إلى المسجد النووي الشريف.

ثم شرعت بحكاية قصة الشخصين اللذين كان قد دار بيني وبينهما حوار ونقاش حول بعض المسائل الخلاقية في المسجد

النوي.

فقال لي: إنّ تصرفهما ليس صحيحاً وهو بعيد عن أخلاق المسلمين.

وبعدها قال: سل عما بدا لك فإنني سوف أجيبك عنه.

توسل الصحابة بقبر النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)

قلت: كان أحد كتبك التي أرسلتها إليّ مع أحد طلبتكم يتضمن بحثاً عن التوسل، وقد أثبت فيه عدم جواز التوسل اعتماداً

على رواية واحدة فقط، ولم تذكر الروايات الأخرى المرتبطة بالموضوع، وهذا ليس بحثاً موضوعياً، وبعيد عن المنهج

الصحيح للبحث.

الصفحة 40

فقال: أي رواية تقصد؟

قلت: رواية عمر بن الخطاب، التي نقلتها عن صحيح البخاري: عن أنس (رض) أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا

استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فنتسقين، وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا (1).

مع أنّ عبوة (كنا نتوسل بنبينا) مطلقة، شاملة لحياته وبعد مماته، ولا توجد قوينة تقيد ذلك الإطلاق بخصوص حياة النبي صلى الله عليه وآله.

بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن نفترض أنّ عملاً كان جاؤا في حياته، ولكنه غير جائز وشك بعد مماته (صلى الله عليه وآله).

قال الشيخ محمد بن جميل بن زينو: لم يثبت لدينا في مورد بأن الصحابة قد توسلوا بقبر النبي بعد رحلته صلى الله عليه وسلم.

قلت: كيف لا؟! وتوجد رواية قد وردت في الكثير من كتبكم تثبت بأن أحد الصحابة كان يتوسل بقبر النبي (صلى الله عليه وآله).

وهنا قال أحد الحاضرين معترضاً: إنّ القول (يارسول الله) شك.

قلت: وقد جاء في هذه الرواية، قول: يارسول الله، فوأتها لهم، فقلت: روى البيهقي وابن أبي شيبة بسنده إلى الأعمش، عن ابن صالح، قال: ((أصاب الناس قحط في زمن عمر (رض) فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله هلك الناس، استسقى لأمتك، فأناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، أتت عمر فأقواه مني السلام، وأخوه أنهم مسقون، وقل له: عليك الكيس! عليك الكيس! قال: فأتى الرجل عمر، فبكى عمر (رض)، وقال: يارب ما آلوا إلا عجزت عنه (((2).

(1) صحيح البخاري: ج 4 ص 29.

(2) ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ج 7 ص 482، البيهقي، دلائل النوبة: ج 7 ص 47.

الصفحة 41

قال الشيخ: هذه الرواية غير صحيحة.

قلت: لقد صح هذه الرواية ابن حجر في فتح البلي وابن كثير في البداية والنهاية.

قال ابن حجر: ((روى ابن أبي شيبة، بإسناد صحيح (1)، وقال ابن كثير عن رواية البيهقي: هذا إسناد صحيح (((2).

فأمر بجلب كتاب فتح البلي، والبداية والنهاية، ولكن للأسف لم يكن عنوان الصفحة التي ذكرتها متطابقاً مع الطبعة التي عنده؛ لاختلاف الطبعات.

فقلت له: إنّ طبعة هذين الكتابين تختلف عن الطبعة التي نقلت عنها المصدر، ولكن غداً مساءً سوف أثبت لكم ذلك، أو آتيكم بجهاز الحاسوب لترون بأمر أعينكم المطلب الذي ذكرته لكم.

قال الشيخ: حسناً نحن بانتظاركم في الجلسة القادمة.

اشتراك بعض الصحابة في محاولة اغتيال رسول الله (صلى الله عليه وآله)

قلت: يا شيخ! ينقل ابن حزم الأندلسي في كتابه المحلى: ((بأن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص رأوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وإلقاءه من العتبة في تبوك)) . ثم يقول: ((بأن هذا من موضوعات وليد بن جميع، وهو ضعيف وهالك)).

(1) فتح الباري: ج2 ص412 ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

(2) البداية والنهاية: ج7 ص15 ، في واقعة سنة ثمانى عشرة.

الصفحة 42

والحال أنّ كبار علماء الرجال قد وثقوه، من قبيل العجلي، وابن سعد.

كما وثقه ابن حبان، والذهبي نقلاً عن أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم وأبو زرعة، وأبو نعيم⁽¹⁾.

وأعجب ما ورد في هذا الباب هو ما ذكره ابن كثير: بأن عمر بن الخطاب، قال لحذيفة: أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ قال: لا، ولا أرى بعدك أحداً⁽²⁾.

فأجاب قائلاً: لقد الآن لم أر ولم أسمع مثل هذا المطلب، وأمر بجلب كتاب المحلى، ولكن بذلوا الجهد في البحث عن الكتاب فلم يعثروا عليه.

نقد كتاب (الله ثم للتاريخ)

ونحن في هذه الحال تناول الشيخ كتاباً بعنوان (الله ثم للتاريخ) وقواً منه قوة تتعلق بالإمام الخميني (قدس سوه).

فقلت: يا شيخ، إنني لأعجب منكم. وأنتم بهذه المكانة العلمية. كيف تستنون إلى كتاب مؤلفه موهوم، ولا يتضمن إلا أكاذيب وافزاعات محضة؟!

فقال: وكيف ذلك؟

قلت: أولاً: إنّ مؤلفه الذي يعرف بالسيد حسين الموسوي، لم يكن شخصية حقيقية واقعية، بل هو شخص مفتعل لا وجود له في الواقع، ولم يعرف علماء النجف طالباً أو عالماً شيعياً بهذا الاسم في النجف الأشرف أبداً.

(1) تزيخ الثقات: ص465، رقم 1773؛ الطبقات: ج6 ص354؛ كتاب الثقات: ج5 ص492؛ الحوح والتعديل: 8 ص9؛

تهذيب الكمال: ج35 ص31؛ تزيخ الإسلام: ج9 ص661.

(2) البداية والنهاية: ج5 ص25.

الصفحة 43

وثانياً: إنّ نفس هذا المؤلف الوهمي على فرض وجوده قد قال في الكتاب المنسوب إليه في صفحة (104): ((في زيرتي للهند، التفتيت السيد دلدار علي، فأهداني نسخة من كتابه أساس الأصول...)).
وقد ذكر في كتابه أنه التقى مرات عديدة بالإمام الخميني وغوه من كبار العلماء: كالسيد الخوئي، والسيد السيستاني، و... في النجف الأشرف.

ثم خاطبت الجالسين قائلاً: أيها الإخوة الأعزاء! إنني قد طالعت كتب المعاجم لعلماء الشيعة والسنة فوجدت أنهم ذكروا أنّ السيد دلدار النقوي توفي في سنة (235هـ) واليكم بعض النماذج:

قال المحقق الطهراوي: ((أساس الأصول في الود على الفوائد الاستوابادية، للعلامة دلدار علي بن محمد معين نقوي النصير آبادي الكنهوي المجاز من آية الله بحر العلوم المتوفى سنة (1235هـ)))⁽¹⁾ .
وقال السيد إجاز حسين: ((أساس الأصول في أصول الفقه، لمولانا السيد دلدار علي بن السيد محمد معين النصير آبادي أعلى الله ذكوه في أعلى عليين المتوفى سنة خمسة وثلاثين ومائتين بعد الألف، نقض فيه على صاحب الفوائد المدنيّة فيما أورده على الأصوليين))⁽²⁾ .

قال إسماعيل باشا البغدادي في هداية العرفين: ((النصر آبادي، السيد دلدار علي بن السيد معين الدين النصر آبادي الشيعي المجتهد في لکنهو توفي سنة (1235هـ)، خمس وثلاثين ومائتين بعد الألف، له أساس الأصول))⁽³⁾ .

(1) الزريعة: ج4 ص2.

(2) كشف الحجب والأستار: ص41.

(3) هداية العرفين: ج1 ص772.

الصفحة 44

قال خير الدين الزركلي في الأعلام: ((دلدار علي (1166 . 1235 هـ . 1753 . 182 م) دلدار علي بن محمد معين النقوي الهندي: مجتهد إمامي، من نسل جعفر التواب أخي الحسن العسكري.... من كتبه عماد الإسلام في علم الكلام، خمس مجلدات، وآخر لم يطبع، وأساس الأصول))⁽¹⁾ .

ثم قلت: أخبرني كيف يمكن لشخص قد التقى بالسيد دلدار قبل (210) سنة أن يلتقي بواجع النجف الأشرف قبل عشر سنوات!؟

ثالثاً: إنّ الكاتب قد أورد بعض الروايات ونسبها إلى الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، وهذه الروايات ليس أنها غير موجودة في هذا الكتاب فحسب، بل لا وجود لها في كتبنا الأربعة ولا في بحار الأنوار.

فقال بعض الحاضرين: كيف يمكن لنا أن نتصور أنّ المؤلف يذكر رواية من مصدر ثم لا يكون لها وجود فيه؟! فأجبت: إنّ كانت هذه الروايات التي استند إليها موجودة في كتاب (من لا يحضره الفقيه)، فأنا على استعداد أن أتوكّ التشيع

وأكون وهابياً.

فأوجد كلامي هذا لرباكاً وتلوماً في المجلس، بحيث اعترض بعض الطلبة على الشيخ قائلاً: نحن طلبنا منك أن لا تستشهد بهذه الكتب في الجلسة، فإنه يذهب بماء وجهنا، ويوقعنا في الخجل والإحراج.

(1) الأعلام: ج 2 ص 34.

الصفحة 45

ابن تيمية يفتري على الشيعة

قلت: ذكر ابن تيمية مطالب تتعلق بالشيعة كلها كذب محض، ولا توجد مثل هذه المطالب في كتب الشيعة ولم يعتقد بها أحد من علمائهم.

قال: ما هي تلك المطالب التي ذكروها؟

وفي هذه الأثناء كنت قد كتبت بعض تلك المطالب من كتاب منهاج السنة في ورقة صغيرة ورأيتة إياها، وكانت تلك

المطالب بالنحو التالي:

الرافضة لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، ويقول سيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في

سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي منادٍ من السماء.

واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم، واليهود تزول عن

القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في الصلاة وكذلك الرافضة.

واليهود تسدل أثوابها في الصلاة وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدّة وكذلك الرافضة.

واليهود حرّوا الثوراة، وكذلك الرافضة حرّوا القرآن.

واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون سام عليكم، والسام الموت، وكذلك الرافضة.

اليهود لا يأكلون الحوي والموماهي والذئاب، وكذلك الرافضة.

الصفحة 46

واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة، وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن إنهم (قالوا ليس علينا في

الأميين سبيل)، وكذلك الرافضة.

واليهود تسجد على قرونها في الصلاة وكذلك الرافضة.

واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مرراً شبه الركوع، وكذلك الرافضة.

واليهود تبغض جوبيل ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جوبيل بالوحي على محمد صلى الله

عليه وسلم.

وكذلك الرافضة وافقوا النصري في خصلة النصري: ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعاً، وكذلك الرافضة

يتزوجون بالمتعة ويستحلون المتعة⁽¹⁾.

ثم قلت: هل رأيتم أحداً من بين مئات الآلاف من الشيعة الإوانيين الحجاج قد انحرف عن الكعبة أثناء صلاته؟

أو أنهم قد قالوا في أثناء سلامهم: سام عليكم؟

وهل يستطيع أحد أن يثبت أنه وجد في كتاب من كتب الشيعة نفي العدة عن النساء أو أنّ عالماً من علماء الشيعة لا يعتقد

بعدة الطلاق.

قال الشيخ: في أي كتاب قد ورد ذكر هذه المطالب عند ابن تيمية؟

قلت: في كتاب منهاج السنة، المجلد الأول في صفحة (25 . 27).

وهنا أظهر تعجبه من ذلك.

فقلت له: وقال ابن تيمية أيضاً: ((لو كانت الشيعة من البهائم لكانت حُمراً ولو كانت من الطير لكانوا رخماً))⁽²⁾.

(1) ابن تيمية، منهاج السنة: ج 1 ص 25 . 27.

(2) المصدر السابق نفسه: ص 29

الصفحة 47

لو أنّ شخصاً قد نسب إليك مثل هذه الافتراءات فماذا يكون ردّ فعلك؟

واللطيف في الأمر إنّ هذه المطالب قد نقلها شخص اسمه (عبد الرحمن بن مالك مغول) الذي قد ضعفه علماء الرجال

بشدة:

قال أحمد بن حنبل: ((خرقنا حديثه من منذ دهر من الدهور))⁽¹⁾.

وجاء في كتاب (الروح والتعديل): ((كذاب وابنه أبو بهز أكذب منه))⁽²⁾، ونُقِلَ عن يحيى بن معين قوله: ((رأيت له ليس

بثقة، متروك الحديث))⁽³⁾.

وقال الخطيب البغدادي: ((من أكذب الناس))⁽⁴⁾.

وينقل عن محمد بن عمار الموصلي: ((كان عبد الرحمن بن مالك كذاباً أفاكاً، لا يشك فيه أحد))⁽⁵⁾.

قال الشيخ: أنا لم أر مطالب ابن تيمية هذه لحد الآن، ولكني شخصياً قد كتبت بعض المسائل حول الشيعة في بعض

مؤلفاتي.

في هذه الأثناء نهض وأخرج من بين تأليفاته كتاباً، وفيه بعض ما يتعلق بالشيعة في صفحاتين وقواها.

بعد ذلك قال: هل رأيت كتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخميني؟

قلت: نعم.

قال: إنَّ الإمام الخميني يقول: إنَّ مقام الأئمة هو أعلى من مقام الأنبياء والملائكة. فماذا تقول أنت؟

(1) (الوري، الحوح والتعديل: ج5 ص286؛ العقيلي، الضعفاء: ج2 ص345.

(2) (الوري، الحوح والتعديل: ج4 ص31.

(3) المصدر نفسه: ج5 ص286.

(4) تزيخ بغداد: ج9 ص341.

(5) تزيخ بغداد: ج1 ص236.

الصفحة 48

قلت: أنا لست من مقلدي الإمام الخميني، لكني من أهل الاجتهاد وأصحاب النظر، ولا بد أن ألاحظ أدلة الإمام الخميني، فهل أن أدلته وما استند إليه صحيحة أم لا؟ فإذا كانت صحيحة فعقيدتي نفس عقيدة الإمام الخميني وإلا إذا لم تكن صحيحة فلا أعتقد بمضمونها.

هل أن إضافة "حي على خير العمل" في الأذان بدعة؟

في هذا الوقت كان حاضراً معنا عالم من علماء اليمن قال: يوجد في بلادنا بعض الشيعة الذين يقولون في أذانهم "حي على خير العمل".

قال الشيخ: ما هذه الخوافات التي يعتقد بها الشيعة؟ كيف يسمحون لأنفسهم بمثل هذه البدع؟

قلت: ولأ: إنَّ هذه الفوعة موجودة في كتب أهل السنة، وهذه الفوعة كانت في صدر الإسلام من ضمن فوات الأذان، لكن

عمر (رض) قد نهى عنها.

يقول القوشجي وهو من علماء الكلام الكبار لأهل السنة: ((إنه (أي عمر بن الخطاب) خطب الناس، وقال: أيها الناس،

ثلاث كنَّ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنا أنهى عنهنّ، وأحرمهنّ، وأعاقب عليهنّ، وهي: متعة النساء، ومتعة

الحج، وحي على خير العمل))⁽¹⁾.

(1) (شرح التجريد للقوشجي، مبحث الإمامة: ص484 ؛ المسترشد للطوري الإمامي المعاصر للطوسي والنجاشي:

ص516 ، بتحقيق الشيخ أحمد المحمودي؛ وجواهر الأخبار والآثار: ج2 ص192 ، عن التفتزاني في حاشيته على شرح العضدي.

الصفحة 49

ونقل الشوكاني عن كتاب الأحكام ليحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة 298: ((وقد صحّ لنا أنّ حي على خير العمل كانت على عهد رسول الله ﷺ بها، ولم تطوح إلا في زمن عمر، وهكذا قال الحسن بن يحيى: روي ذلك عنه في جامع آل محمد، وبما أخرج البيهقي في سننه الكبرى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر أنّه كان يؤذّن بحي على خير العمل أحيانا⁽¹⁾)).

وقال ابن حزم أيضاً: ((وقد صحّ عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف: أنّهم كانوا يقولون في أذانهم حي على خير العمل))⁽²⁾.

وكذلك نقل عدد من الصحابة والتابعين أنّ قوة "حي على خير العمل" من ضمن الأذان، مثل:

1. عبد الله بن عمر.
2. علي بن الحسين (عليه السلام).
3. سهل بن حنيف.
4. بلال مؤذن الرسول (صلى الله عليه وآله)⁽³⁾.
5. الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).
6. أبي محنرة مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وآله).
7. زيد بن رُقم⁽⁴⁾.

(1) نيل الأوطار: ج2 ص19.

(2) المحلى ج3 ص16 . آخر باب الأذان، وآخر مسألة 331 ، باب مذاهب العلماء في صفة ألفاظ الإقامة، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. دار الفكر . بيروت.

(3) سنن البيهقي: ج1 ص424 و425، دلائل الصدق: ج3 ص1 عن مبادئ الفقه الإسلامي للعوفي: ص38، مصنف عبد الزاق ج1 ص46 و464 ؛ جامع ابن أبي شيبة: ج1 ص145 ، الروض النضير: ج1 ص192 ؛ المحلى لابن حزم: ج3 ص6 ؛ السوة الحلبية: ج2 ص15، ط، 1382 هـ؛ كنز العمال: ج8 ص342، ح23174 و ص345، ح23188.

(4) (جواهر الأخبار والآثار: ج2 ص191 . الاعتصام بحبل الله المتين: ج1 ص38 . البحر الزخار: ج2 ص191 و192، وجواهر الأخبار والآثار: ج2 ص191 . نيل الأوطار: ج2 ص19 عن الأحكام لمحِب الطوي، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج5 ص283.

8. الإمام الباقر (عليه السلام).

9. الإمام الصادق (عليه السلام) ⁽¹⁾.

وثانياً: ما معنى قوة: "الصلاة خير من النوم" التي نسمعها في أذانكم؟ فكل شخص حتى الأطفال يعلمون أنّ الصلاة هي خير وأفضل من النوم؟

وثالثاً: لو نظرنا إلى قوة "حي على خير العمل" لوجدناها متناسبة مع ما قبلها من الفوات "حي على الصلاة" "حي على الفلاح" أما قوة "الصلاة خير من النوم" فلا نشعر بأي انسجام بينها وبين الفوات التي قبلها.
فقال: نحن نذكر قوة الصلاة خير من النوم في صلاة الصبح فقط.
في هذا الوقت وفي حدود الساعة الثانية بعد منتصف الليل انتهى اللقاء.
وذكر الشيخ للطلاب الذين كانوا حاضرين معه في اللقاء بعض الأمور التي لم ألتفت إلى مراده منها.
ثم ودّعتهم وخرجت على أمل اللقاء وإكمال الموضوع في الليلة القادمة.

مرافقة بعض الطلبة الجامعيين إلى محل سكنهم

ذهبت مع جمع من طلبة جامعة أم القوي إلى محل سكنهم واستأجرتهم، وقد لاقيت منهم احتراماً كبيراً وكانوا قد هيلوا لنا وجبة من الطعام للسحر، فتناولناها معاً.

(1) (البحر الزخار وجواهر الأخيار والآثار: ج2 ص192؛ البحار: ج84 ص156؛ دعائم الإسلام: ج1 ص142.

والظريف في هذا اللقاء أنّ أحد الطلاب قال: أنتم معشر الشيعة تقولون: "يا علي" وهذا شرك!

فقلت: إذا كان هذا الشخص الذي يقول: "يا علي" معتقداً أنّ علياً سيعينه مستقلاً عن الله سبحانه وتعالى، فهذا عين الشرك، ولكن إذا كان يعتقد بأن علياً سيعينه بإذن من الله سبحانه وتعالى فلا ضير في ذلك، كما هو الحال في عيسى (عليه السلام) حيث

يقول القوان: **{أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الظِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طُورًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُورِيءَ الْأَكْمِهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي**

الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ}. آل عمران: 49 . فإذا كان علي (عليه السلام) بإذن الله يشفي المرضى ويحل مشاكل الناس فما هو الإشكال

في ذلك؟

فتعجب السائل من هذا الجواب وعجز عن الرد.

واعترض عليه طالب آخر من الطلبة الحضور قائلاً: ألم يقال لكم إنه غير الطالب (جابر) لا يحق لأحد أن يجيبه؟

فقال مستخفاً بالسائل: هل لك القوة الآن على دفع إجابته!!؟ فأجبه إن استطعت، أجبه!

قلت: لماذا تستخف بالسائل؟ هو سأل وأنا أجبته فما المشكلة في ذلك؟

وبعد تناول وجبة السحور أوصلوني بالسيرة إلى محل إقامتي، وقرنا أن نذهب جميعاً في الليلة القادمة إلى الشيخ محمد

بن جميل بن زينو.



الفصل الثاني

حوراء ومكاتبات مع الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي

- نص الرسالة التي أرسلتها إلى الدكتور أحمد الغامدي
- نص الرسالة التي أرسلها الدكتور عبر الفاكس من مكة المكرمة
- الرسالة الثانية التي أرسلتها إلى الدكتور للإجابة على رسالته
- لقاء آخر مع الدكتور أحمد الغامدي

تمهيد:

نظراً لما قام به الدكتور من حذف جملة من الحوراء التي درت بيننا واخترال بعضها في كتابه، مع أهمية تلك الحوراء ودورها في رسم معالم الحقيقة، سوف أستعرض للقارئ الكريم في هذا الكتاب ما جرى بيننا من الحوراء التي لم يذكرها الدكتور في كتابه، كما سأضع فيه المكاتبات التي حصلت بيننا بكل تفاصيلها.

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار مع الدكتور أحمد الغامدي

الأستاذ في الوراثة العليا بجامعة أم القوي

في الليلة السادسة عشرة من شهر رمضان المبارك لسنة 1423 هـ، بعد صلاة المغرب، وبمعية عدد من طلاب جامعة أم

القوى، ذهبنا نحو بيت الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي، أحد أساتذة جامعة أم القوي الكبار، وقد استقبلنا بحفوة وحلوة.

فتوجه نوري سائلاً: ماذا تدرسون في إوان؟

قلت: أدرس علم الرجال والحديث والفق الإسلامي.

فقال: كتب رجال الشيعة مثل: رجال النجاشي والكشي وغوهما هي من ضعاف الكتب، فلم يذكر أي حرج أو تعديل للرواة

فيها.

فقلت له: هل قأت رجال النجاشي؟

قال: لا! ولكني قأت مجمع الرجال للقهبائي، ولم أجد فيه أي حرج أو تعديل للرواة، ولم يذكر فيه مشايخ الرواة ولا

تلاميذهم.

قلت: بل العكس هو الصحيح، فإنّ مجمع رجال القهبائي يضم، كتاب رجال النجاشي وفهرست الشيخ الطوسي، وقد ذكروا

فيه الحرج والتعديل لأغلب الرواة.

ويمكن لك أيضاً الرجوع إلى كتاب الرجال للسيد الخوئي، الذي ذكر فيه أقوال كل الرجالين المتقدمين الذين تعرضوا إلى

حرج وتعديل الرواة، وهكذا قد ذكر مشايخ كل رواة تحت عنوان (روى عن...) كما ذكر تلاميذه تحت عنوان (روى عنه...)،

مضافاً إلى ذكر مواضع رواياته في الكتب الأربعة للشيعة (الكافي، الفقيه، التهذيب، والاستبصار) مشيراً إلى مولد اختلاف

الكتب والنسخ، بحيث لا يوجد عند أهل السنة كتاب رجالي بهذا الشكل.

الصفحة 58

فقال: إنني لم أسمع بهذا الكتاب ولم رة.

تهجم الدكتور على الشيعة

وبعد ذلك بدأ بالكلام حول الشيعة، وأذكر خلاصة كلامه:

حيث قال: أرسل البري تعالى الأنبياء والرسول لهداية البشر، وأرسل رسوله محمداً (صلى الله عليه وآله) ليكمل الدين ويختم

به.

وقد أرسل هذا الدين الكامل بواسطة الرسول العربي (صلى الله عليه وآله) للعرب، ولو كانت أمة خيراً منهم لأرسل

الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله) إليهم....

وهذا الجيل الذي ربّاهم الله، من أفضل الأجيال، ولو كان جيل أفضل من هذا الجيل لأرسل الرسول إليهم.

وأقول القوان عربياً ليكون معجزة؛ لأنه أكمل اللغات وأفضلها، ولو كانت لغة أفضل من هذه اللغة لقر القوان بتلك اللغة.

وقد أبلغ ما احتاجت إليه الأمة لتكاملها، خلال 23 سنة، ولم يقصر في شيء، وقد شخّصت الأمة وظيفتها الشوعية،

وانتخبت أبا بكر، وبايعه جميع المسلمين على ذلك، وكذلك علي (عليه السلام) وقد بايعه بعد ستة أشهر واستطرد قائلاً: ما قال

عليّ بأنهم غصبوا حقي!

والرّواء (ع) في مسألة الإِثْ طلبت من أبي بكر أوأ، ولكنّه وبناءً على قول الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي قال: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث" لم ينفذ طلبها، وقد ماتت وهي غاضبة عليه.

وّدعم الشيعة إنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد اختار علياً (عليه السلام) للخلافة نيابة عنه، لكن الصحابة خالفوا ذلك، وهل يمكن للصحابة أن يخالفوا ذلك!؟

ومعنى هذا الكلام أنّ جميع الأصحاب قد أخطأوا إلا قليلاً منهم جداً، وهذا القليل هم من كانوا على الحق ولم يخطأوا بحسب ظن الشيعة!

وتقول آية **{بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}** "فَيَ حَقَّ عَلِي (عليه السلام)، من موهومات الشيعة، وليس لدينا رواية واحدة تؤيد هذا المدعى، وأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قد اختار علياً (عليه السلام) للخلافة....

وتقول الشيعة بالتقيّة، حتى قالوا: "من لا تقيّة له لا دين له"....

وقد نقل في الكافي أنّ أبا حنيفة قد دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) في يوم ما في أمر، وأقسم الإمام كذباً أمام أبي حنيفة، لكننا معاشر السنة وإن كنا لا نعرّف به كإمام لكنه موثق وصادق عندنا.

وبعقيدتي أنّ (9 %) من روايات الكافي والتي نقلت عن الإمام الصادق (عليه السلام) هي كذب محض لا غير.

وتعتقد الشيعة أنّ القوّان ناقص، ويفسّرونه نفسوا بأطنيا، وأنّ كلّ ما قول في القوّان الكريم من فضائل ومدائح، هو في حقّ علي (عليه السلام)، وكلّ نقص ومذمة تولت في حق أعدائه.

ويفسّرون البوّة بعائشة، مع أنّ آية **{الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}** تدلّ على طيبة كلّ رلّوج النبي (صلى الله عليه وآله)، ويستحيل أن تكون زوجته خبيثة.

وتدّعي الشيعة أنّ علياً قدّ عين أحد عشر نوا من بعده للخلافة، وكلهم من ولّاده.

وقدرأيت في أحد كتب الشيعة أنّ زوجة الإمام الحسن العسكري لم تحمل، وقد فتشّ بيته من قبل السلطة ولم يجنوا أطفالاً فيه، وقد قسمت التركة وأمواله بين الورثة.

فمتى سيظهر الإمام المهدي؟ هل سيكون ظهره عند الجبل الرضوي؟ أم من السرداب؟

وأنتم تقولون أنّ الظهور يجب أن تسبقه مقدّمات وتمهيد، وأنّ الدولة الإسلامية في إوان هي مقدّمة وتمهيد لظهوره، فلماذا لا يظهر؟

اعتراضي على الدكتور أحمد الغامدي

وبعد أنّ أتم كلامه قلت له: لديّ عدّة اعتراضات على كلامكم، وأود أنّ أبينها لكم قبل الدخول بالموضوع.

فقال: تفضل.

قلت: قلتم إن العرب هم أفضل قومية في العالم، ولكن القرآن الكريم يقول: **لَوْلَوْ تَرَلْنَاهُ عَلَيَّ بَعْضَ الْأَعْمِينَ * قَوَاهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ** (1).

فقال: ما هو المراد من الآية؟

قلت: تقول الآية إن العرب قوم معاندون، ولو أتول على غوهم لما آمنوا به، فما رأيك في ذلك؟

(1) الشواء: 199.

الصفحة 61

فقال: علي أن أرجع إلى التفاسير، وانتفض قائماً ليجلب تفسير ابن كثير وبدأ بالقراءة، فقال: ورد في هذا التفسير أن القرآن لو قرأ على غير العرب. وبما أنهم لا يعرفون العبية. لم يكونوا ليعرفوا معاني الآيات ويفهموها.

قلت: فلم قرأ بالعبية، وقد آمن به غير العرب، كما هو المعمول به حالياً من ترجمة الكلمات العبية وتفسوها إلى غير العبية، فبالإمكان أن تتوهم باقي اللغات إلى العبية أيضاً.

فلم يحرج جواباً، وقال: لنبدأ ببحث آخر، فهذا البحث لا فائدة فيه.

عجز الدكتور عن الإجابة عن آية التبليغ

قلت: أنتم ذكرتم أن آية التبليغ ونزولها في حق علي (عليه السلام)، هي من موهومات الشيعة، والحق أن كثراً من علماء السنة قد صرحوا بنزولها في حقه (عليه السلام)، منهم ابن جرير الطوي في كتاب الإمامة.

قال: لا يوجد للطوي كتاب باسم الإمامة، وهذه أيضاً من ألعاب الشيعة إذ ينسبون بعض الكتب لبعض الأئمة كذبا وزورا.

قلت: إن كثراً من علمائكم ذكروا بأن للطوي كتاباً باسم الإمامة أو الولاية (1).

(1) إن ابن كثير يقول: رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين". ابن كثير، البداية والنهاية: ج11 ص146.

وقال أيضاً: "وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطوي صاحب التفسير والتاريخ، فجمع في مجلدين أورد فيهما طوقه وألفاظه" ج5 ص208.

وقال الذهبي في ترجمة الطوي: وحكي عن الوغاني أنه قال: وكما بلغه أن ابن أبي داود تكلم في حديث غدير خم، عمل كتاب الفضائل، وتكلم على تصحيح الحديث، ثم قال: رأيت مجلداً من طرق هذا الحديث لابن جرير فاندعشت له ولكثرة تلك الطرق تذكرة الحفاظ: ج2 ص713.

وقال ابن البطريق: "وقد ذكر محمد الطوي صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطوقه من خمسة وسبعين طريقاً وأورد له كتاباً سماه الولاية" العمدة: 157.

وقال ابن حجر في ترجمة أمير المؤمنين (عليه السلام)، والكلام عن حديث الغدير: وقد جمعه ابن جرير الطوي في مؤلف فيه أضعاف من ذكر (أي ابن عقدة) وصحّحه. تهذيب التهذيب: ج 7 ص 339.

الصفحة 62

ثم أخرج له من جيبه ورقة وقأت فيها: قد نقل هذا الحديث كثير من علماء أهل السنة مثل: السيوطي في الدر المنثور: 298 / 2 ، الشوكاني في فتح القدير: 6 / 2 ، الحسكاني في شواهد التنزيل: 1 / 249 ، الفخر الرازي في التفسير الكبير: 3 / 636 ، النيشابوري في أسباب النزول: 135 ، العيني في عمدة القارئ: 8 / 584 ، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: 27.

فأجاب الدكتور أحمد الغامدي: ذكر أحدهم ذلك والبقية نقلوا عنه.

ومن ثمّ قام من فوره وأتى بفتح القدير، وأتى بالآية المختلف فيها، وأخذ يقرأ حتى وصل إلى عبلة:

"أخرج ابن أبي حاتم وابن مودويه وابن عساكر، عن أبي سعيد الخوري، قال: تولت هذه الآية **إِنَّا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** على رسول الله يوم غدیر خم، في علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). وأخرج ابن مودويه، عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله): **إِنَّا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ أَنْ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ**".

ولما قرأ هذه العبارة تأمل قليلاً، وقال بعدها: لم تتركتم كل مورد شأن النزول وتمسكتم بهذه فقط؟!

قلت: أنتم تفضلتم وقلتم: إن هذه من موهومات الشيعة، فرددت أن أثبت لكم العكس، وأنها حقيقة لا وهم فيها.

الصفحة 63

فقال: عليّ الاطلاع على سند هذه الرواية، فابن مودويه فيه بعض الكلام.

فقلت: الرجاء إطلاعي بالأمر إن توصلتم إلى نتيجة في هذا الصدد.

وقد تألم كثيراً مما حصل، والتفت إليّ قائلاً: يوجد في كتب الشيعة أمور ذكرت تحت عنوان التقيّة، وقد نسبت للإمام

الصادق (عليه السلام) كذباً وزوراً، وهو مؤهّ وأجل من ذلك.

فقلت: يا جناب الدكتور، مع احترامي الشديد لكم، ولكني لا أقبل الاتهامات من دون دليل وتوثيق، ولأرجو أن تدعوا

أقوالكم بالدليل القاطع؟

فقام متوجّهاً نحو مكتبته، وأتى ببعض الأوراق المصورة، وهو يقرأ الرواية التي وردت فيها التقيّة وقد نقلت من الكافي:

علي بن إواهيم، عن أبيه، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن بكار بن بكر، عن موسى بن أشيم، قال: "كنت عند

أبي عبد الله (عليه السلام) فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل، فأخوه بها ثم دخل عليه داخل سأله عن تلك الآية فأخوه

بخلاف ما أخواله، فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كان قلبي يشوح بالسكاكين.

فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ في واو وشبهه وجئت إلى هذا، يخطئ هذا الخطأ كله، فبينما أنا كذلك إذ

دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية، فأخوه بخلاف ما أخونني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي، فعلمت أن ذلك منه تقية.

قال: ثم التفت إليّ، فقال لي: يا بن أشيم، إن الله عز وجل فوضّ إلى سليمان بن داود، فقال: **{هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمَنَنَّ أَوْ أَمْسَكَ** ⁽¹⁾ **بِغَيْرِ حِسَابٍ}** .

(1) سورة ص: آية 39.

الصفحة 64

وفوضّ إلى نبيّة (صلى الله عليه وآله)، فقال: **{مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فُخُونَهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}** ، فمأ فوضّ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد فوضّه إلينا ⁽¹⁾ .
فقلت: وقع في سند الرواية موسى بن أشيم، وهو راو ضعيف.

وأخرجت ما ورد عنه في كتب الرجال عند الشيعة عن طريق الحاسوب بسوعة، فوأ بنفسه ما ورد في رجال ابن داود: "غال خبيث" ⁽²⁾ .

وكذلك رجال السيّد الخوئي، فقال: إن ابن أشيم كان خطابياً.

قلت: نحن الشيعة زى أن الخطابية ليسوا بمسلمين؛ فضلاً عن كونهم من الشيعة.

وعندها رفع يديه مسلماً ومذعناً، وهي أعلى درجات الشهامة والفضيلة، فقال: قبول! قبول!

واستطرد قائلاً: يوجد في الكافي مطلب آخر عن التقية، وأتى بأوراق مصورة أخرى عن رواية موجودة في الكافي، ولكن

لم يذكر فيها رقم الصفحة ورقم الحديث، فاستطعت إخراجها عن طريق الحاسوب، وفيها:

علي، عن أبيه، عن الحسن بن علي، عن أبي جعفر الصائغ، عن محمد بن مسلم، قال: 'دخلت على أبي عبد الله (عليه

السلام) عنده أبو حنيفة، فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي: يا ابن مسلم هاتها فإنّ العالم بها جالس (وأوماً إلى

أبي حنيفة)، قال: فقلت: رأيت كأني أدخل دلي وإذا أهلي خرجت عليّ فكسرت جزاً كثيراً ونثرته علي، فتعجبت من هذه

الرؤيا؟ فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في موليّك أهلك، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله.

(1) الكافي: ج 1 ص 265.

(2) رجال ابن داود: 281 رقم 523.

الصفحة 65

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أصبت والله يا أبا حنيفة.

قال: ثمّ خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت: جعلت فداك إنّي كرهت تعبير هذا الناصب.

فقال: يا بن مسلم، لا يسؤك الله، فما يواطىء تعبوهم تعبونا ولا تعبونا تعبوهم، وليس التعبير كما عوّه.

قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه، وهو مخطئ؟

قال: نعم، حلفت عليه أنه أصاب الخطأ.

قال: فقلت له: فما تؤيلها؟

قال: يا بن مسلم، إنك تتمتع بامرأة فتعلم بها أهلك فتزوق عليك ثياباً جِداً؛ فإن القشر كسوة اللب.

قال ابن مسلم: فوالله ما كان بين تعبوره وتصحيح الرؤيا إلا صبيحة الجمعة، فلما كان غداة الجمعة أنا جالس بالبَابِ إذ

موت بي جلية فأعجبتي فأمرت غلامي فودها، ثم أدخلها دلي فتمتعت بها، فأحست بي وبها أهلي، فدخلت علينا البيت،

فبارت الجلية نحو الباب، وبقيت أنا، فمزقت علي ثياباً جِداً كنت ألبسها في الأعياد⁽¹⁾.

فقلت: في بداية السند: علي بن إراهيم وأبيه، وفي آخره: محمد بن مسلم وهم ثقات، ولكن في الوسط: الحسن بن جعفر

وأبو جعفر الصائغ وهما مجهولان ومن الضعاف.

(1) الكافي: ج 8 ص 292.

الصفحة 66

وقد ورد في جامع الرواة: "أبو جعفر الصائغ، ضعيف جداً، قيل: إنه غال لا يلتفت إليه"⁽¹⁾.

وقال السيّد الخوئي عن حسن بن علي: "الحسن هذا مشترك بين جماعة، والتميز إنما بالرواي والمروي عنه"⁽²⁾.

فسلم وأذعن للحقيقة، ورفع يديه قائلاً: قبول! قبول!⁽³⁾

التقية شعار الشيعة

قال: مسألة التقية من المسائل الأساسية عند الشيعة.

قلت: من محاسن الصدف، إنني اليوم قد اقتنيت برنامجاً من سوق مكة المكرمة، فيه فتوى ابن تيمية، واحداها: من دخل إلى

مسجد، تقام الصلاة فيه بإمامة إمام ظالم، فلو لم يصلّ خلفه لم يأمن على نفسه الضرر، فيجب عندئذ الاقتداء به، ثم إعادة

الصلاة⁽⁴⁾.

(1) جامع الرواة: ج 2 ص 92.

(2) معجم رجال الحديث: ج 5 ص 7 رقم 2923.

(3) لقد استشعرت من كلامه هذا الإنصاف والموضوعية، مما دفعني لمواصلة الحوار معه.

(4) قال السرخسي في المبسوط عن الزال بن سيدة، قال: "جعل حذيفة يحلف لعثمان على أشياء بالله ما قالها، وقد سمعناه

يقولها، فقلنا له: يا أبا عبد الله، سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها وقد سمعناك قلتها، فقال: إنني أشوي ديني بعضه

ببعض مخافة أن يذهب كله".

وعقب السرخسي قائلاً: "إن حذيفة من كبار الصحابة وكان بينه وبين عثمان بعض المدراة، فكان يستعمل معريض الكلام فيما يخوره به" المبسوط: ج 30 ص 214.

روى ابن أبي شيبه بإسناده عن الزال بن سودة، قال: "دخل ابن مسعود وحذيفة على عثمان، فقال عثمان لحذيفة: بلغني أنك تقول كذا وكذا؟ قال: لا والله ما قلته، فلما خرج قال له عبد الله: ما لك فلم تقوله ما سمعتك تقول؟ قال: إني أشتوي ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله" المصنف لابن أبي شيبه: ج 7 ص 643.

الصفحة 67

قلت: وفي الحقيقة إن هذا هو عين ما تعتقده الشيعة في التقية، وإذا لم يوجد مورد للخوف على النفس والمال فلا تقية حينئذ. وقد رأيت هؤلاء الإخوة من الطلاب في هذه الليلة كيف أقيمت الصلاة خلف الإمام في المسجد، لكني لم أصل التلويح؛ لأنها ليست من عقائدنا، وانشغلت بقاءة القرآن الكريم بدلاً منها، ثم وافيناكم إلى بيتكم الكريم، فسأل الدكتور الطلاب عن ذلك وأجابوه بنعم، فأبدى تعجبه واستغابه.

الشبهة في ولادة المهدي (عليه السلام)

قلت: ذكرت إنكم رأيتم في كتب الشيعة بأن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) لم تكن زوجته حاملاً، فالجاء ذكر لنا اسم الكتاب والمؤلف؟

فتأمل قليلاً، وقال: الظاهر أن اسمه كان موسى.

قلت: موسى الموسوي واسم الكتاب (الشيعة والتصحيح)؟!

قال: بالضبط هو ذلك الكتاب.

قلت: هو ليس من الشيعة ولا من السنة، وهو شخص معروف بالفسق والفجور وشربه للخمر وهو مشهور في إيران بذلك، ولا أهمية ولا صحة لكلامه أساساً.

فقال أحد الطلبة: وكيف يكون ذلك وبأي دليل؟

قلت: الصحف والحوادث في عهد الشاه مملوءة بأدلة فجره وفسقه، ويعرفه أكثر الطلبة والعلماء هناك.

الصفحة 68

ثم استطردت قائلاً: إن أكثر وأغلبية علماء الأنساب شهدوا بميلاد الإمام المهدي (عليه السلام)، مثل النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله، من أعلام القرن الرابع، حيث يقول: "أولد علي بن محمد النقي (عليه السلام)، جعواً وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب، وإنما تسمية الإمامية بذلك؛ لادعائه موث أخيه الحسن، نون ابنه القائم (عليه السلام)، لا طعن في نسبه". [سر السلسلة العلوية: 4] وهذا يدل على أن للإمام العسكري (عليه السلام) ولداً باسم الحجة، ولا شك في نسبه، وادعاء جعفر الكذاب عدم وجود ولد له. لأخذ موثته. باطل (1).

(1) يقول الفخر الرزي الشافعي المتوفي في سنة 606 هـ: أما الحسن العسكري الإمام (عليه السلام)، فله ابنان وبناتان، أما الابنان فأحدهما صاحب الزمان والثاني موسى، وقد ورج في حياة أبيه... الفخر الرزي، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية: ص78.

وأورد محمد أمين السويدي في سبائك الذهب: محمد المهدي وكان عمه عند وفاة أبيه خمس سنين وكان مروع القامة حسن الوجه والشعر، أفتى الأنف، صبيح الجبهة... سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: ص346.
وقال النسابة المعاصر محمد ويس الحيوي السوري: فالحسن العسكري (عليه السلام) أعقب محمد المهدي صاحب السرداب، وهكذا قال السيّد العمري في المجدي في أنساب الطالبين: 130 ، والمرزقي الأزرقاني الفخوي في أنساب الطالبين: 7 ، والنسابة المشهور ابن عنبه، أحمد بن علي بن الحسيني في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص199 والفصول الفخوية في الأنساب: ص134

وشهد جمع كثير من علماء أهل السنة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) كما صوّح ابن الأثير الجزري عزّ الدين بقوله: " وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري، وهو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر ". الكامل في التاريخ: ج7 ص274 ، آخر حوادث سنة 260 هـ.

وقال ابن خلكان: " أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ". وفيات الأعيان: ج4 ص176 / 562.

وقال الذهبي: " وفيها (أي: في سنة 256 هـ) ولد محمد بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الوضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، أبو القاسم الذي تلقبه الرافضة الخلف الحجة، وتلقبه بالمهدي، والمنتظر، وتلقبه بصاحب الزمان، وهو خاتمة الاثني عشر ". العبر في خبر من غبر: ج5 ص37 ، واعترف ولادة الإمام الثاني عشر في ص26 عند ذكر وفاة أبيه الحسن العسكري في سنة (260) حيث قال: " هو والد المنتظر محمد...".

وقال في تزيخ دول الإسلام: وأما ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجة فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين ". تزيخ دول الإسلام، حوادث ووفيات (251 . 260 هـ): 113 / 159

وقال في سير أعلام النبلاء: "المنتظر الشريف أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري ... سير أعلام النبلاء: ج13 ص119 ، الترجمة رقم (60).

وقال خير الدين الزركلي: "محمد بن الحسن العسكري الخالص بن علي الهادي أبو القاسم، آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية... ولد في سامراء ومات أبوه وله من العمر خمس سنين... وقيل في تزيخ مولده: ليلة نصف شعبان سنة 255، وفي تزيخ غيبته، سنة 265 هـ ". الأعلام: ج6 ص80

وبهذا يتبين أن مقولة كون الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري غير مولود لا أساس لها من الصحة.

لماذا بايع الإمام علي(عليه السلام) بعد ستة أشهر

قلت: لماذا بايع الإمام علي(عليه السلام)أبا بكر بعد ستة شهور؟

فقال: لم يتخلف علي(عليه السلام)إلا أنه كان يعتقد أن له حقا.

قلت: ألم يكن ذلك الحق هو حق الخلافة؟

قال: لا، بل كان يعتقد أن له رأياً.

قلت: فما معنى كل تلك الاحتجاجات والمناشآت التي صدرت من علي(عليه السلام)حول حق الخلافة؟

قال: لا دليل لها ولا أساس لها من الصحة.

قلت: هل تبقى على رأيك في عدم وجود رواية صحيحة كتبت حول حق خلافة علي(عليه السلام)؟

قال: نعم.

فقلت: أحب أن أكتب عين عبلتكم بالضبط.

قال: اكتب: لا توجد رواية صحيحة تثبت أن علياً هو الخليفة بعد النبي (صلى الله عليه وآله).

قلت: لا توجد لدينا فرصة الآن، وإلا لأخرجت لكم العشرات، بل المئات من الروايات الصحيحة في هذا المجال (في خلافة

علي(عليه السلام))، ولكني أقدم لكم كتاب المراجعات هذا لشوف الدين، ففيه ما طلبتم.

وفيه: بعد ما تولت الآية **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** جمع الرسول (صلى الله عليه وآله) أربعين من رؤساء قريش وقال:

"إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع"⁽¹⁾.

فقد صوّح بصحّته جمع من العلماء كابن جرير الطوي فيما نقله المتقي في كنز العمال: 13 / 128 ر 3648، والهيثمي

في مجمع الزوائد: 8 / 32، وأبي جعفر الإسكافي كما في شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13 / 243، والحاكم في

مستدرک الصحيحين: 3 / 132 والذهبي في تلخيص المستدرک، . في حديث طويل . والشهاب الخفاجي في شوحه على الشفاء

للقاضى عياض، نسيم الرياض: 3 / 35، وورود الرواية في كتاب المختلّة للضياء المقدسي الذي التزم فيه بأن لا يروي في

كتابه هذا إلا الروايات الصحيحة المعنوة، كما صوّح بذلك جمع كعبد الله بن الصديق المغربي في رد اعتبار الجامع الصغير:

42، ومحققى كنز العمال: 1 / 9، وقال ابن حجر: ابن تيمية يصوّح بأنّ أحاديث المختلّة أصح وأقوى من أحاديث المستدرک >

فتح البلي: 7 / 211.

وعشوات من الروايات التي ذكرت في كتاب المراجعات التي تدلّ على إمامة وخلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام).
فقال: سأقرأ الكتاب.

تهمة تكفير المسلمين

فقال حينذاك: أنتم تقطعون بنجاسة غير الشيعي!

قلت: أين سمعت هذا المدعى وفي أي من الكتب قدرأيته؟

قال: الشيعة تقول الإمامة من أصول الدين، فكيف لمنكر أصول الدين أن يكون مسلماً.

قلت: ترى الشيعة أنّ أصول الدين هي: التوحيد والنوّة والمعاد. أمّا العدل والإمامة فهي من أصول المذهب، كما صوّح

بذلك الإمام الخميني (قدس سوه) بقوله: "الإمامة من أصول المذهب لا الدين"⁽¹⁾ ، هذا ولأ.

وثانياً: لم يفت أياً من العلماء من الشيعة لا قديماً ولا حديثاً بنجاسة أو كفر أهل السنة وخروجهم عن الإسلام.

قال: ريد أدلة من علماء الشيعة في هذا الصدد.

قلت: من جميل ومحاسن الصدف يوجد عندي في حاسوبي المحمول أكثر من ألفي عنوان وكتاب لفقهاء الشيعة، ومن تلك

الكتب: العروة الوثقى، وقد علّق على هذا الكتاب عشوات من فقهاء الشيعة، فلن تجد فيه تكفيراً لأهل السنة البتة.

أضف إلى ذلك إنّ الشيعة في إوان يتزوجون من أهل السنة والسنة يتزوجون من الشيعة، وأعرف الكثير من الإخوة في

إوان قد أعطوا بناتهم للسنة وهكذا العكس، وكلامكم هذا، لا يدلّ إلا على عدم الاطلاع على الحقائق وبما يجري على أرض

الواقع.

(1) كتاب الطهارة: ج3 ص323.

وفوق هذا كلّه ألم آكل في بيتكم من الطعام والقهوة و... الآن.

وقد تأثر من كلامي هذا ولم يحر جواباً.

مشركة الخلفاء في اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) على رأي ابن حزم

وفي هذه الأثناء قام أحد الطلبة قائلاً:

اسأل الدكتور أحمد الغامدي سؤالك الذي سألته البلحة للشيخ محمد بن جميل بن زينو، كي يجيب عليه بجوابه الكافي.

فقلت: أورد ابن حزم في كتابه المحلى: "إنّ أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن وقاصّ رأوا قتل النبي (صلى الله

عليه وآله)، وإلقاءه من العقبة في تبوك".

ثمّ يستطرد ابن حزم قائلاً: "بأنّ هذا من موضوعات وليد بن جميع، وهو ضعيف وهالك"⁽¹⁾ والحال أنّ رباب الرجال من

فقال: إنّ ابن حزم ليس بثقة ولا اعتبار بنقله.

قلت: إنّه يروي وينقل.

(1) كما صوّح بوثاقته العجلي. تزيخ الثقات: 465 رقم 1773 . وقال ابن سعد: كان ثقة وله أحاديث. الطبقات: ج 6 ص 354 . وأورده ابن حبان في الثقات. كتاب الثقات: ج 5 ص 492 . وقد نقل الذهبي وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبي: ليس به بأس. وعن يحيى بن معين، أنّه قال: ثقّ وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال أبو زرعة: لا بأس به. الجرح والتعديل: ج 9 ص 8 رقم 34 وتهذيب الكمال: ج 31 ص 35 . وقال الذهبي: وثّق أبو نعيم. تزيخ الإسلام: ج 9 ص 661.

الصفحة 73

فقال: على أيّة حال فلا عوة بروايته.

قلت: لقد وثّق أغلب علماء السنة ويعتبرون كلامه.

وهذا الذهبي إمام الجرح والتعديل عندكم قد وثّق قائلاً: ابن حزم، الإمام الأوحّد، البحر، ذو الفنون والمعرف... ورزق

ذكاء مفوظ، وذهناً سيّلاً وكتباً نفيسة كثيرة... فإنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظر... (1)

وشهد له بالصدق والأمانة والديانة والحشمة والسؤدد. (2)

وقال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام: "وكان أحد المجتهدين، مارأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم،"

قال الذهبي بعد نقله هذا: لقد صدق الشيخ عز الدين... (3)

وقريب من هذا عن السيوطي في طبقات الحفاظ. (4)

قال الزركلي: "ابن حزم: عالم الأندلس في عصوه، وأحد أئمّة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال

لهم: (الخرميّة)" (5)

وبعد هذا لم يكن من جواب للدكتور أحمد الغامدي إلا أنه قال: هو ليس من أهل المذاهب الأربعة وهو ظاهري المذهب،

ولا عوة بكلامه.

إصدار الدكتور على التواصل

وفي هذه الأثناء قربت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وانتهى اللقاء، وأصرّ الدكتور على التواصل، وقال: اكتب لي

أسئلتك، وسأجيب عنها بالفاكس على عنوانكم.

(2) كما في كتاب العبر: ج3 ص239.

(3) سير أعلام النبلاء: ج18 ص193.

(4) طبقات الحفاظ: 436.

(5) الأعلام: ج4 ص254.

الصفحة 74

وأخيراً ودعنا الدكتور بجلوة، وقال: إن البيت بينكم، وعلووا إلينا عندما تقولون مكة المكرمة.
وبعد عودتي للفندق كتبت عدة أسئلة وأرسلتها بيد الأخ جابر. وهو أحد تلامذة الدكتور أحمد الغامدي. ليسلمها إليه.
وسنوافيك بنص رسالتي الموجهة إليه:

الصفحة 75

نص الرسالة

التي

تحمل أسئلة موجهة للدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي

(مع تعديل طفيف في التركيب اللفظي والإملائي لبعض المفردات والعبيرات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل المحقق الأستاذ سماحة الدكتور أحمد بن سعد حمدان

السلام عليكم

أقدم شكوي الوافر إلى سماحتكم كما أقدم ثنائي العطر؛ لما شاهدت من أخلاقكم الحسنة وكرمكم الجميل.

ولقد استفدت من جنابكم كثيراً وأرجو أن يستمر هذا اللقاء ولا يكون هذا آخر العهد منكم لنا.

وفي الختام أحب أن أقدم لسماحتكم بعض الأسئلة، راجياً أن أجد عندكم أجوبة مستدلّة وموهنة تقنع النفس بها.

فأسأل: ماذا يقول سماحة الأستاذ فيما رواه البخاري وغيره بأنّ عدة من الأصحاب يدخلون النار يوم القيامة، ويقول رسول

الله (صلى الله عليه وآله): "ياربّ أصحابي! أصحابي! فيقال: ما تنوي ما أحدثوا بعدك فإنهم لتتوا بعدك على أعقابهم؟!".

ألم يكن في مضمون هذه الروايات مخالفة لوثيقة الأصحاب؟

وماذا تقول فيما ورد من سبّ الأصحاب بعضهم البعض الآخر؟ هل يوجب الفسق في السابّ أم لا؟

الصفحة 76

أو أن الاجتهاد والخطأ والوصول إلى أجر واحد، يختصّ بالأصحاب فقط أو نقول بأنه يعمّ غرهم من الفقهاء وأصحاب

الفتيا؟

وماذا تقول فيما جرى على بعض الأصحاب من الحدّ، فهل يكشف ذلك عن فسقهم أم لا؟

وماذا تقول فيمن أمر بقتل عثمان من الأصحاب أو اشترك في قتله؟ هل تحكم فيهم بأنهم اجتهدوا وأخطأوا ولهم أجر واحد

أم لا؟

ثم إنه قد ورد في الروايات المتعددة بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني" وورد

أيضاً "بأن فاطمة هجرت أو غضبت على أبي بكر ولم تكلمه حتى ماتت".

وكما صوّحتم في كلامكم بأن فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر؟

فهل هذا لا يتعارض مع ما دلّ على حرمة إيذاء الرسول (صلى الله عليه وآله)؟

ثم إنه قد ورد في الروايات الكثيرة بأن النبي قال عند موته: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. ومنعه عمر وقال:

إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، بحيث أذي رسول الله وقال: قوموا عني.

فهل يكون عمر أعلم من النبي بمصالح الأمة؟ وهل أن رسول الله لم يكن يعلم أن الكتاب لا يكفي للناس؟ ألا يعد هذا منافياً

لقوله تعالى: **لَوْ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** (1).

وسمعت من سماحتكم بأن قوله تعالى: **وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ** (2) يدلّ على أن عائشة أم المؤمنين، كانت طيبة؛ لكون النبي من

الطيبين.

(1) النجم: 4.

(2) النور: 26.

الصفحة 77

فماذا يقول سماحة الأستاذ في توجيه هذه الآية وما في قوله تعالى: **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطَ**

كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلِي النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ؟ (1).

فهل النبي فوح لم يكن طيباً وكذلك لوط؟

وقد أشرتم في مطوي كلامكم بأنكم تعتقدون: أنّ تسعين بالمائة مما في الكافي مما هو منقول عن الصادق كذب.

فكيف يمكن التوفيق بين كلامكم هذا مع ما قاله الذهبي: فلورد حديث هؤلاء (الرواة الشيعة) لذهب جملة من الآثار النبوية

وهذه مفسدة بيّنة (2).

فيا حبذا لو أوضحتكم كلامكم هذا وأجبتكم عنه بأدلة مقنعة فنكون لكم من الشاكرين.

أبو مهدي محمد الحسيني القروي

17 رمضان المبارك 1423 هـ

(1) التحريم: 10.

(2) موزان الاعتدال: ج 1 ص 56؛ سير أعلام النبلاء: ج 1 ص 59.



رسالة الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي

من

مكة المكرمة - عبر الفاكس - وجابه عن الأسئلة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث البخاري في دخول عدة من الأصحاب النار

يحتاج الجواب على ذلك إلى توطئة وهي تتعلق ببيان فضل الأصحاب:

وَأَلَّا: قد ثبت بالأدلة القاطعة من القرآن الكريم والسنة النبوية فضل الأصحاب وتوكيتهم من رب العالمين ومن نبيه سيد

المرسلين ومن ذلك ما يلي:

أ. من القرآن الكريم

1. قال تعالى: **لِوَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ**

لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (1).

أثنى عز وجل على جميع المهاجرين وجميع الأنصار بدون قيد؛ لأن (أل) للعموم فيما دخلت عليه، وجميع الذين اتبعوهم

بإحسان، فالمتبعون قيدهم بالإحسان، وهذا أصل، فلا يخرج أحد من المهاجرين والأنصار إلا بدليل قطعي، والآية في غاية

الوضوح.

ثم أثنى عز وجل على الذين اتبعوهم بإحسان، والذين اتبعوهم هم أهل السنة وليسوا الشيعة؛ لأن الشيعة ما بين مكفر لهم

وذام لهم. أعني الشيعة الإمامية المتأخرين بدون استثناء.

(1) التوبة: 100.

2. وقال تعالى: **لِمُحَمَّدٍ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ وَآهِمٌ رَكَعًا سَجْدًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ**

وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآرَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِ الْزَّرْعِ لِغَيْظٍ بِهِمُ الْكُفَّارِ وَعَدِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (1).

ذكر عز وجل أنه رباهم ورعاهم، كما وعي النبتة التي تخرج من الأرض حتى نضجت واكتملت وأن ذلك سيكون سببا

لغيظ الكفار فمن كرههم أو غاضبهم لحقه الوعيد.

3. وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَنُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ**

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ} . إلى أن قال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ**

حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَنُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ...} (2)

حكم عز وجل للمهاجرين الذين جاھنوا في سبيله وإخوانهم الأَنْصار بأنهم مؤمنون حقا ووعدهم مغفرة ورزقا كريما.

أليس هذا ثناء من الله عز وجل على المهاجرين والأَنْصار، وتأكيد إيمانهم بما لا يدع مجالا للشك فيهم؟ فمن شك فيهم فقد

كذب الله عز وجل، ولعل الله سبحانه وتعالى عالم الغيب أراد أن يود على كل من سيأتي بعد فيطعن فيهم.

(1) الفتح: 29.

(2) الأنفال: 72 . 75.

الصفحة 80

4. وقال تعالى: **{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ رَجْةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا**

وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى} (1).

هذه الآية الكريمة تمدح الذين آمنوا من قبل الفتح، وأنفقوا في سبيل الله، وقاتلوا لإعلاء كلمة الله عز وجل، وأن من لحقهم

بعد ذلك لا يبرك فضلهم، وهذه شهادة عظيمة من الله عز وجل.

5. وقال تعالى: **{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ**

وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّ شَحْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (2).

رأيت هذا التقسيم العجيب لطوائف المؤمنين..

مهاجرون.

أَنْصار.

متبعون يحبونهم ويدعون لهم ولا يكرهونهم.

أين مكان الإمامية هنا؟؟

(1) الحديد: 10.

(2) الحشر: 8 . 10.

وأين مكان أهل السنة هنا؟؟

هذه بعض الآيات التي تنثي على جيل الصحابة الذين جاهدوا لرفع راية الإسلام، وما تراه في العالم الإسلامي من خير فهو بسببهم.

ثم جاءت أجيال أهل السنة لتكمل السورة، فنقلت الدين، وفتحت الأرض، وعلمت الناس دينهم، فأين الأرض التي فتحها أهل التشيع؟

إنّ معتقد أهل التشيع يؤم منه أنّ الدين لم يطبق؛ لأنّ الصحابة بعد موت النبيّ خاتوه ولم ينفوا أمره، وجاء أئمة أهل التشيع بعد عليّ (رضي الله عنه) ولم يتمكّنوا من إبلاغ الدين؛ لأنهم لم يمكنوا، إذن الدين الحق لم يظهر، وإنما عملت به الشيعة في الخفاء وهذا يخالف القرآن الكريم....

قال الله تعالى: **قَدْ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (1).

ألم يتحقق هذه الوعد، فاستخلف الله عز وجل الأمة الإسلامية ومكن لهم الدين، وأمن الناس في عهد الحكومات الإسلامية؟!!

ب. ومن السنة:

1 . عن أبي سعيد الخوي (رضي الله عنه) قال: "قال رسول الله: لا تسوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّاً أحدهم ولا نصيفه" (2).

(1) النور: 55.

(2) (رواه البخاري: في ص 3673؛ ومسلم: ح 2541.

وهذا قاله خالد، عند ما سبّ عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن من السابقين وخالد ممن أسلم بعد.

2 . وعن عبد الرحمن بن عمر رضي الله عنهما، عن النبيّ قال: "خير الناس قوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..." (1).
وفضائل الصحابة بأسمائهم في الصحيحين وغيرها، كثرة فراجعها إن شئت.

وأنت تعلم أنّ المحققين من أهل السنة يتثبتون في الرواية ويدققون في الرواة، وخاصة البخاري ومسلماً فلا يوردون إلا ما صحّ عندهم.

بعد هذه المقدّمة ننظر في الرواية التي وردت في الحديث السابق، هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن

عباس، وأبو هريرة، وأنس، وأسماء بنت أبي بكر، وكلها في صحيح البخاري، وله ألفاظ:

ففي رواية عبد الله بن عباس: أنه سيجاء ورجال من أمتي... .

وفي رواية لأبي هريرة: ألا ليذا دن رجال عن حوضي... .

وهنا عدة وقفات:

وَأولاً: هذه الروايات رواها الصحابة أنفسهم رضي الله عنهم، وهذه لأمانتهم وصدق إيمانهم ولو كانوا قد لتوا ما رووها.

ثانياً: المعنى: إما أنه واد به الصحابة أنفسهم جميعهم، وهذا مرود للآيات السابقة والأحاديث الصحيحة في فضلهم جميعاً وفي فضائل أفرادهم.

(1) البخاري: ح 2652؛ مسلم: ح 2533.

الصفحة 83

وإما أن واد به بعضهم وهذا يحتاج إلى دليل قطعي، وهذا غير موجود.

وإما أن واد به بعض أفراد الأمة وسماتهم بأصحابه؛ لأن كل أمتة أصحابه؛ لمشركته في دينه وفي الجنة، أي يصاحبونه فيها فعندما يقدم هؤلاء على حوضه، وعليهم علامة المسلمين بآثار الوضوء ويمنعون عن الحوض فيقول: أصحابي... وفي بعضها لا يقول أصحابي، وإنما يقول: ألا هلم، وفي بعضها بالتصغير: أصيحابي، فالذي يظهر أن هذا هو المراد وهو الذي نعتقد.

حديث فاطمة: إنما فاطمة بضعة مني يربيني مارأبها ويؤذيني ما آذاها

سبب هذا الحديث كما هو معروف، أن علياً (رضي الله عنه) أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل.

وهنا وقفات:

1. إن علياً (رضي الله عنه) هو الذي ورد فيه الحديث، فهل فعله هذا كان كفواً، حاشاه (رضي الله عنه) وإنما أراد أمراً مباحاً في الشروع، وهو التعدد في الزواج، ولم يكن يعلم أن لابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) خصوصية خاصة فخطب عليها. وفعله هذا بين أموراً ثلاث:

أ. أن يكون كفواً، وهذا لم يقل به أحد، ولم يرد أنه أسلم من جديد.

ب. وإما أن يكون معصية فتاب منها فقبلت توبته فمحييت معصيته.

ج. أو يكون اجتهداً خاطئاً، ومغفراً له اجتهداه.

2. هذا الفعل من علي (رضي الله عنه)، يدل أنه غير معصوم.

الصفحة 84

- 3 . أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لَمْ يَفْعَلْ فِعْلاً مَبَاحاً لَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَأَنْ لَا يَفْعَلَهُ وَإِنَّمَا فَعَلَ فِعْلاً وَأَجْبَأ رَوَى فِيهِ حَدِيثًا عَنْ نَبِيِّهِ، وَهُوَ لَشِدَّةِ حَبَّةِ لَوْسُولِ اللَّهِ، وَخَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ مَا كَانَ لِيَعْصِيهِ، وَقَدْ سَمِعَهُ يَقُولُ: "لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةً".
- 4 . هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَقَدْ أَشْهَدَ عَلَيْهِ عَمْرُ بْنُ حِزْوَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ عِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَالْزُبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَأَقْرَأُوا بِهِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْفَوَائِضِ/ بَابِ قَوْلِ النَّبِيِّ: لَا نُورِثُ وَفِي الْجِهَادِ وَالْمَغْرِبِيِّ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْجِهَادِ/ بَابِ حُكْمِ الْفِيءِ...>.
- وقد سلمها عمر لعلي والعباس ليلياها، فاختلفا.
- 5 . إِنَّ عَلِيًّا (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بَعْدَ أَنْ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ لَمْ يَغْيِرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ فِي عَهْدِ الشَّيْخِينَ، فَلَمْ يَقْسَمْ مَوَارِثًا وَلَمْ يُعْطِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ شَيْئًا مِنْهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ عِنْدَهُ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).
- 6 . وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طَالِبَتْ بِمَوَارِثِهَا ظَنًّا أَنَّهَا أَنْ تَرِثَ كَمَا يَرِثُ بَقِيَّةُ النَّاسِ، فَلَمَّا أَحْبَرَتْ بِالْحَدِيثِ لَا نَظْنَ بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا اسْتَمَرَّتْ عَلَى مَطَالِبَتِهَا؛ لِأَنَّهَا مَا كَانَتْ لِتُخَالِفَ أَبَاهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَوْ خَالَفَتْ لَكَانَ اتِّبَاعَ أَمْرِ أَبِيهَا وَهُوَ الْمَشُوعُ، أَوْلَى مِنْ اتِّبَاعِ قَوْلِهَا.
- 7 . هَبْ أَنْ أَبَا بَكْرٍ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ وَهَذَا فَوْضٌ مَمْتَنَعٌ، لَوْ جُودَ النَّصُّ لَكِنْ هَبْ ذَلِكَ . فَلَيْسَ أَقْلٌ مَنْ فَعَلَ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَمَا أَجَبْتُمْ عَنْ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كَانَ الْجَوَابُ بِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

الصفحة 85

قال الله تعالى: **{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}**.

وهنا عدة وقفات منها:

- 1 . الآية تزلت لتزينة عائشة رضي الله عنها مما رميت به وأخبر تعالى أن الخبيثات للخبيثين و..... الخ، ليدل على أنه عز وجل ما كان ليدع امرأة خبيثة زوجة لرسول الله أطيب الطيبين.
- والمراد هنا بالخبيث هو: (الزنا) أما زوجتا فوح ولوط عليهما السلام فقد كانتا كافرتين والزواج من الكافرة في شريعتهم جائز، أما في شريعتنا فلا يجوز إلا من الكتابية المحصنة (أي غير زانية).
- وأما الزواج من الزانية فلا يجوز في شريعتنا ولو كانت مسلمة؛ لما يؤدي إليه من مفساد واختلاط الأنساب ونحو ذلك، كما قال تعالى: **{الزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ وحرم ذلك على المؤمنين}**.
- فالفرق إذن واضح.
- 2 . الآية وأت عائشة رضي الله عنها ووعدها بمغفرة ورزق كريم، فدل هذا على أنها تموت على الإيمان؛ لأن حكم الله عز وجل لا يتغير.

حديثا ابن عباس رضي الله عنهما

وهذا فيه عدة أمور منها:

- 1 . رادة النبي أن يكتب كتاباً لئلا يختلف الصحابة رضي الله عنهم. ولم يذكر القضية التي أراد أن يكتبها، ولو كانت أمراً واجباً من واجبات الدين لما ترك كتابتها للغتهم، بل يخرجهم ويستدعي من يكتب خاصة وقد عاش بعد ذلك أربعة أيام؛ لأن هذا كان يوم الخميس كما في لفظ آخر للبخري (يوم الخميس وما يوم الخميس) ح 4431 ، وتوفي يوم الاثنين.

الصفحة 86

- 2 . إن الموجودين اختلفوا وليس هذا خاصة بعمر (رضي الله عنه).
- 3 . إن عمر (رضي الله عنه) قد شهد له النبي: إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وأنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب (1) .
وقوله والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك (2) رواه البخري: ح 3294 ، ومسلم: ح 2396.

وروى البخري ومسلم من فضائله سنة عشر حديثاً في أصح الكتب ومنها عن محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين (3) . البخري: ح 3671 .
وروى ابن عباس، (رضي الله عنه) قال: "وضع عمر على سروه فتكفنه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم وعني إلا رجل أخذ منكبي فإذا علي بن أبي طالب فتوحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك وحسبت أنني كنت كثيراً أسمع النبي يقول: ذهب أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر" (4) . رواه البخري: ح 3685 ، ومسلم: ح 2389 .

- (1) صحيح البخري: ج 4 ص 149 ، كتاب بدء الخلق، باب بعد باب حديث الغار.
- (2) صحيح البخري: ج 4 ص 96 ، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
- (3) صحيح البخري: ج 4 ص 195 ، كتاب بدء الخلق، باب مناقب المهاجرين.
- (4) صحيح البخري: ج 4 ص 199 ، باب مناقب المهاجرين.

الصفحة 87

هذه بعض شهادات الصحابة من آل بيت رسول الله.

- 4 . أن النبي كان يأخذ أحياناً بقول عمر ويقول القآن بموافقتة (رضي الله عنه)، كما في اتخاذ مقام إبراهيم مصلياً، والحجاب، وغوهما.

فعلّه هنا مال النبي إلى قوله (رضي الله عنه). ولعلّ عمر (رضي الله عنه) قال ذلك لما رأى ما به من الوجع فكان رافةً بهأو

نحو ذلك، ولا يتصور أنه أراد إيذاءه، وهو ممن شهد له القآن؛ لأنه من المهاجرين ومن السابقين الأولين وفضائله في السنة كما تقدم.

هذه هي أهم ما سألت عنه..

وأما البقية فهي قضايا اجتهادية.

نظرات في اتجاهات أهل السنة والشيعة ومناهجهم

المتأمل للعقيدتين يستنتج ما يلي:

1. إن أهل السنة يفهم من عقيدتهم أن النبيّعت إلى الناس عامة وأنه يجب أن ينقل أتباعه سنته إلى من لم يعرفها.

والشيعة يفهم من عقيدتهم أن النبيّعت إلى علي (رضي الله عنه)، وأن الله عز وجل قد أمر وأعاد في الوصية لعلي وأن

الأمر بالإبلاغ أي إبلاغ الوصية، فلا يجوز أخذ العلم إلاّ منه (رضي الله عنه)، إذن كلّ الدين المبلغ من غيره ليس ديناً.

2. إن أهل السنة يفهم من عقيدتهم أن فهم الدين ممكن لكل إنسان، وأن بإمكان الإنسان أن يكون عالماً ويتحمل الأداء.

الصفحة 88

وأما أهل الشيعة فتشترط وجود معصوم يرجع إليه، وهذا يعني أنه لا بد أن يكون في كل بقعة معصوم، لوجع إليه، إذ كيف

يستطيع من بالمشوق أو بالمغوب أن يعمل فيما يجد من مسائل!؟

فإذا جاز له الاجتهاد فما الحاجة للمعصوم؟

3. إن أهل السنة يعظمون الصحابة الذين هم نقلة الدين والمجاهدون في سبيله الذين فتحوا الأرض شرقاً وغرباً وحفظوا

القآن والسنة وبلغوها للعالم.

وأهل التشيع فهم يطعنون في الصحابة ويلتمسون أخطاءهم ويتجاهلون فضلهم وبلاءهم ويقيّنون عمومات القآن، ويقيّدونها

بناءً على ما رسخ في أذهانهم من معتقدات.

4. يظهر من معتقدات أهل السنة أن الدين قد ظهر وعمل به الناس وفتحت عليه البلدان. وأما أهل التشيع فإنّ الدين لم

يظهر ولم يعمل به.

5. إن أهل السنة يفهم من معتقدتهم أنهم يجلون علياً (رضي الله عنه) ويعتقدون أنه كان شجاعاً في ذات الله عز وجل، ولا

يمكن أن يكون وصياً ويسكت طيلة حياته بعد موت النبيّوهي قابة خمس وعشرين سنة.

ولو تكلم في شيء من ذلك لرواه رواية أهل السنة كما رأينا طويلاً من رواياتهم فهم يروون كلاماً روه أو سمعوه وقد ترد

روايات لكنّها لا تصحّ، ونحن لا ننكر أن كتب أهل السنة قد وردت فيها روايات؛ ربما لأنّ الرواية كما هو معروف قد

تعرّضت لكثير من الكذب.

وأما أهل التشيع فإنهم زعموا أنهم يجلون علياً (رضي الله عنه)، وزعموا أنه لم يظهر أنه وصي رسول الله خوفاً على

نفسه، وهذا من أقبح التصورات وإن كانوا قد أوردوا أخباراً لا يخفى عدم صحتها على المحقّقين.

6 . إنّ أهل السنة يعتقدون أنّ الإمامة أمر اصطلاحى شورى، للأمة أن تختار من واه أهلا لذلك، ليحكمها بالقوان والسنة ولا حرج في الاختلاف في مجالات الفهم.

وأما أهل التشيع فإنّه يفهم من عقيدتهم أنه يجب على الله أن ينصب إماماً وأن هذا الإمام هو علي (رضي الله عنه) مع أنه لم يرد في القوان، ولا في السنة أي لفظ في ذكر الإمامة أو الوصاية وإنما هي عمومات قابلة للتأويل على وجهه. وقضية الإمامة قضية كبوة فلو كانت مطلبا دينيا محددا لقرئت آيات بلفظها ولجاءت أحاديث بلفظها، سواء عمل الناس بها أو لم يعملوا، ثم لأبقى الله عز وجل نسل الأئمة إلى قيام الساعة.

فإنّ الله عز وجل قد صرح بأقل من ذلك في قضية زيد وزوجته وتورد النّبّي مصلحة زيد بذلك.

فأيّ القضيتين أهمّ يا ترى؟!

7 . والذي عمله الشيعة بعد انقطاع النسل هو الذي عمله أهل السنة بعد موت النبي، مع أن أهل التشيع حاولوا المغالطة فبقوا

مدّة بدون تجمّع، ثم ابتدعوا (لاية الفقيه) التي قالوا بها بعد موت النبي؟! وأنها معاناتهم إلى اليوم؟!

8 . يعترف أهل السنة بأنّه قد حدث كذب على رسول اللّهم بعض الرواة من بعد الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن الصحابة كلهم عدول ولم يجرب عليهم تعمد الكذب، وعدم اعتقاد عدالتهم هدم للدين.

وأما أهل التشيع فلا يرون ذلك؛ بل يصفون كثرا من الصحابة بالكذب وهذا يشكك في كامل الدين إذ لا دين حق يَمُكُن أن نتعبد الله به من رواة كفة كذابين.

وهذا هو الذي شكك في مقاصد الشيعة إذ موقفهم من الصحابة يهدم كامل الدين، ويطعن في رب العالمين وفي نبية سيدّ المسلمين.

9 . يعترف أهل السنة بأن أحاديث كثرة وآثرا كثرة قد ظهر لهم بطلانها أدخلها قوم رأوا هدم الدين أو جهلة لينصروا الدين وقد كشفها أهل العلم.

وإذا كان قد وضع في كتب السنة ألف حديث مثلاً، فقد وضع في كتب التشيع إثنا عشر ألفاً؛ لأن أكثر الوضع على المعصوم عند أهل السنة ولا معصوم إلا رسول الله، وأما أهل التشيع فعندهما إثنا عشر معصوماً؛ فكم يا ترى سيكون عدد الموضوعات؟ والمطلّع على كتب الطائفتين يتضح له صدق ذلك.

1 . إنّ أهل السنة يفهم من عقيدتهم أنهم لا يقولون بعصمة أحد بعد رسول اللّهم إلا أبي بكر وعمر، وإن كانوا يرون أن اجتهادهم إذا لم يخالف نصاً فإنه مشروع.

وأما أهل التشيع فإنهم يقولون بعصمة أئمتهم وإذا رأوا أحدهم يخالف قواعد معتقدتهم زعموا أن ذلك: (تقية) يا لها من حواة!!

والحسن يتخلّى عن الإمامة، وهو معصوم ويتخلّى عن ركن من أركان الإيمان، حفاظاً على حياته كمازعموا. أيليق بإنسان من بيت النبوة يعتقد أنه وصي من الله عز وجل وهي مرتبة نبوية لوّ صحت ثمّ يتنزّل حفاظاً على حياته ونحن نرى التريخ مملوءاً بمن ثبت على دينه حتى قتل في سبيل الله، وهم ليس بأنبياء ولا بأوصياء معصومين!! فهذا الخميني ثبت على عقيدته وأوذي وأخرج ثمّ رجع منتصواً، إذن الخميني خير من وصي رسول الله.

11 . منهج أهل السنة في قبول الروايات منهج حزم، فإنهم قد توجّوا تراجم جميع الرواة وحكموا عليهم من خلال مروياتهم فما قبله موزان الحرج والتعديل قبلوه، وما خالفه رثوه، وهذه قاعدة من خالفها أعادوه إليها.

ولا يوجد لدى أهل التشيع مثل ذلك. وبإمكانك أن تأخذ عدداً من أول أي كتاب من كتب التّراجم لدى أهل السنة وعدداً مماثلاً من كتب التّراجم عند الشيعة وقرن بين المعلومات المدوّنة عندهما... وأنت (محدّث) وابحث: (متجرّداً).

وفيما يلي مقارنة:

أ . تهذيب الكمال عند أهل السنة.

أحمد بن إبراهيم الموصلي... كنيته.. بلده، أسماء شيوخه أورد أكثر من عشرين رويّاً، أسماء تلاميذه كذلك، ثمّ توجّه وهكذا كل راو تقريباً إلا النادر.

الصفحة 92

ب . أما في كتاب مجمع الرجال عند الشيعة.

أول روي فيه:

آدم بن إسحاق بن آدم له كتاب أخبرنا به عدّة من أصحابنا عن... فلا شيوخ ولا تلاميذ ولا توجة.

والثاني: (آدم بن إسحاق) كذلك، وفيه أنّه ثقة، ولم يذكر شيوخه.

وفي الحقيقة من يطلع على المنهجين بعين الإنصاف يرى البون شاسعاً والله الموفّق

نصوص من كتب الخميني:

1 . لو كانت مسألة الإمامة قد تمّ تثبيتها في القرآن فإنّ أولئك الذين لا يعنون بالإسلام والقرآن لا لأغراض الدنيا والرئاسة

كانوا يتّخذون من القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشوّهة ويحذفون تلك الآيات من صفحاته ويسقطون القرآن من أنظار

العالمين إلى الأبد.../131.

2 . وواضح أنّ النيبيلو كان بلغّ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر به الله وبذل المساعي في هذا المجال لما تثبت في البلدان

الإسلامية كلّ هذه الاختلاف... (1) .

3 . لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل لرساء قواعد العدالة في العالم لكنهم لم ينجحوا حتىّ النبيّ محمد خاتم الأنبياء الذي جاء

لإصلاح البشريّة وتنفيذ العدالة وتربية البشر لم ينجح في ذلك (2) .

(1) كشف الأسوار: ص155.

(2) نهج خميني: ص46.

الصفحة 93

4 . إنَّ النبيَّ أحجم عن التطوق إلى الإمامة في القَوَانِ لخشيته أن يصاب القَوَانِ من بعده بالتحريف أو أن تشتدَّ الخلافات بين المسلمين فيؤثر ذلك على الإسلام⁽¹⁾ .

رَأَيْتَ يَا أَخَ مُحَمَّدَ، كَيْفَ تَنْتَهِي الْعَقِيدَةَ الشَّيْعِيَّةَ. اتِّهَامُ الصَّحَابَةِ بِإِخْفَاءِ آيَاتِهِ. وَهَلْ يَسْتَطِيعُ بَشَرٌ أَنْ يَخْفِيَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ تَعَهَّدَ الْخَالِقُ عِزَّ وَجَلَّ بِحَفْظِهِ أَلَيْسَ هَذَا طَعْنًا فِي الْخَالِقِ؟! ثُمَّ رَأَيْتَ أَنَّهُ اتَّقَنَلَ مِنْ اتِّهَامِ الصَّحَابَةِ إِلَى اتِّهَامِ سَيِّدِ الْبَشَرِيَّاتِ لَمْ يَبْلُغْ كَمَا أَمْرُهُ بِهِ رَبِّهِ... وَهَلْ يَبْقَى بَعْدَ هَذَا إِيمَانٌ بِرَسُولِ اللَّهِ الَّذِي زَعَمَ الْخَمِينِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَنْفِذْ أَمْرَ خَالِقِهِ. ثُمَّ رَأَيْتَ الْحُكْمَ: (بِرَسُولِهِ) مُحَمَّدٌ وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي مِزَانِ الْخَمِينِيِّ؟

هذه ثروات العقائد الباطلة يحدّد أصحابها مقصداً معيناً هم يحاكمون الخالق عزّ وجلّ والرسول. ولو تتبعنا كلام الخميني لما وجدته يعظّم الله عزّ وجلّ فهو يذكره سبحانه بنون تعظيم (الله)... ولا يعظم رسوله: (محمد) كما هو مبين في هذه النصوص. اللهمّ إنّي أستغفرك يا ربّ من هذه النصوص. واعتذر إلى رسولك العظيم الدنيا وسيد البشر وخليل الرحمن من نقل هذه النصوص وأعتذر إلى سادات المؤمنين الخلفاء الراشدين من كتابة هذه النصوص. والله الهادي إلى سواء السبيل

(1) كشف الأسوار: ص149.

الصفحة 94

نص الرسالة

التي أرسلتها إلى الدكتور أحمد بن سعد حمدان والتي ضمنتها

ردوداً لشبهاته التي أثارها في رسالته السابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي في الله الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكرك على ما كتبت وأرسلت إليّ (عبر الفاكس) من جواب على أسئلتني بخصوص الصحابة وغير ذلك وأعتذر عن تأخير الإجابة؛ لكثرة انشغالي بالتدريس والتحقيق بحيث لا يبقى لي في كلّ أسوع إلاّ القليل جداً من ساعات الفراغ، وقد صرفت ذلك القليل أيضاً بمراجعة رسالتك الممتعة والتدقيق فيها.

ولمّا أحسستُ وغبنتك في تحليل ما كتبت، فأثرت أن أستجيب لـ غبنتك، مستخوياً الله تعالى في ذلك، ولكن القيام بتحليل جميع ما في رسالتك الكريمة يحتاج إلى كتاب مستقلّ، لذا سوف نركّز على بعض ما جاء فيها وما يعدّ من أهمّ المسائل. ولكن أودّ. قبل أن أبيّن لكم بعض ملاحظاتي. أن ألفت نظركم إلى بعض النقاط الهامة التي توضح جليّة الحال.

(1) وقد حذف بعض العبارات بعد ما تبين الخلاف.

الصفحة 95

أولاً: الإنصاف في الكلام حين يتكلم عن الخلاف

1. قلت لكم حين زيرتني لشخصكم النبيل وفي بيتكم الكريم: بأنّي أدرس طلاب العلوم الدينية في الحوزة العلمية والجامعة زهاء عشرين سنة، وكثراً ما يكون طلابي في الجامعة من غير الإوانيين، وقد يصادف في بعض الفصول الواسية أن يكون كلّ طلابي من إخواننا أهل السنة، وكثراً ما تطرح في قاعة التدريس مسائل ترتبط بالخلاف الواقع بين السنة والشيعة، والشبهات المطروحة بينهما، فرغب كلّ من طلاب الطائفتين أن يستمع لما يقتنع به.

2. ولمّا كان أساس تدريسي ينور حول علوم الرجال والحديث والفرق الإسلامية، فقد جمعت كلّ ما يتعلق به من كتب الشيعة والسنة، بحيث يبلغ عدد ما في مكتبتي الخاصة زهاء ثمانية آلاف كتاب، وما يقرب ثلاثة آلاف منها يختصّ بكتب أهل السنة من الفقه والأصول والرجال والكلام وغيرها.

ومما يؤسف له جداً أننا لم نجد في المكتبات الخاصة أو العامة لإخواننا السنة شيئاً يعبأ به من كتب الإمامية. والغريب أن بعضهم يقول على الإمامية وينقل عنهم ما لا أثر له في كتبهم، كما قلت ذلك في لقائي مع سماحة الشيخ جميل بن محمد بن زينو حين قرأ عليّ بعض مما في كتاب "لله ثم للتاريخ": بأن مؤلف الكتاب قد نقل روايات كثيرة عن كتاب "من لا يحضوه الفقيه" في بعض الصفحات، مع أنها لا توجد لا في هذا الكتاب ولا في غيره من الكتب الحديثية للشيعة.

3. كثراً ما اتفق لي بعد أن سألت بعض علماء أهل السنة في إوان وخرجها عن بعض الشبهات العقائدية وغيرها - مع الأسف الشديد- أنني كنت وأجه بدل الجواب الصحيح المقنع، بالافزاء والتّهم والسباب⁽¹⁾، مع العلم بأنّ هذا منهج من لا دليل له، ولعلكم أول من شاهدته في حياتي مترفعا عن ذلك الأسلوب القبيح.

(1) كما وقع ذلك في ليلة من ليالي شهر رجب سنة 1424 بعد صلاة العشاء، في بيت الله الحرام حين التقيت مع الشيخ

صالح فوزان الفوزان. الذي يعدّ من كبار العلماء ومن أعضاء لجنة الإفتاء. وقلت له: إنّي لريد أن أشرف بخدمتكم وأسأل

جنايكم بعض ما يرتبط بالخلاف بين السنة والشيعه، حتى أستفيد من كلامكم. قال لي: "أنت شيعي أم سني؟ قلت: أنا مسلم وشيعي، قال: إذا ثبت عن معتقد الشيعة فسوف ألتقي بك، قلت: لو كان عندك دليل على بطلان مذهب الشيعة أتبعك والإفلا! قال: ليس عندي دليل، ليس عندي دليل، ثم ذهب بسوعة".

الصفحة 96

4 . وقد ذكرت في كتابي الذي بعثته إليكم بأنني أتمس أجوبة مستدلة تقنع النفس بها، ولما أجلت النظر فيما بعثته لي، لم أعر فيه على ضالتي المنشودة؛ وذلك إن الاستدلال على موضوع خاص بالكتاب والسنة إنما يتم فيما إذا تم سرد الآيات والروايات المتعلقة به قاطبة، لا أن ننقي ما يفيدنا في البحث ونغض الطرف عما يضرنا؛ لأن فيه مجانفة لروح التحقيق العلمي.

وهكذا يلزم للمحقق فيما إذا كان ينقل كلاماً عن رجل أو فرقة، أن يذكر مصدر كلامه؛ حتى يمكن للآخرين ملاحظة المصدر ثم القضاء والتمييز بين ما هو الحق عما هو الباطل. والمشهود في كتابكم في قضية الصحابة والسيدة عائشة هو ذكر الآيات والروايات التي تدل على المدح مع التأويل والتفسير بما يخالف السياق كما سنشير إليه، من دون ذكر ما ورد في الذم، ليتمكن المخاطب من المقارنة بينهما فيحكم بينهما ليصل إلى النتائج المفيدة.

الصفحة 97

أيها الأخ العزيز! قد ذكرت في رسالتكم هذه تحت عنوان: "نظرات في اتجاهات أهل السنة والشيعة ومناهجهم" بعض ما يرتبط بعقائد الإمامية من دون ذكر قائله أو مأخذه، كقولكم "والشيعة يفهم من عقيدتهم كذا وكذا"⁽¹⁾.

إنني أؤكد لكم بأنني لم أسمع إلى الآن هذه المطالب من أحد من علماء الشيعة، وما قوتها في كتاب من الكتب المعنوة عندهم. وأقول لكم بحق، لو طرحت مثل هذه الكلمات في الحزبات العلمية أو في الجامعة، فلا يقبلها أحد من الطلاب، إلا مع الدليل، وإلا سيتهمونهم بالكذب والافتراء، ولا يجيزون له أن يحضر الررس لا في الحزبة العلمية ولا في الجامعة.

إن من يتصف بالأمانة. كما وجدت جنابك على هذا. لا بد أن يذكر من هو قائل هذا القول من الشيعة، فهل الواد مما يسمونهم الشيعة الغلاة كالخطابية والغوابية والعلبوية والخمسة والنزيعية وأشباههم من الفرق الهالكة المنقوضة، هم الشيعة الإمامية؟ ألا يعد هذا من الظلم الفاحش؟ فالشيعة الإمامية كما هو معروف عنهم لا يعنون هؤلاء من الفرق الإسلامية، فضلاً عن عدّهم من الشيعة الإمامية.

وقد حكم فقهاء الإمامية، في كتبهم الفقهية بضلالة الغلاة⁽²⁾ وأفتوا بأنهم خلجون عن الإسلام وإن انتحلوه⁽³⁾.

(1) نذكر بعض الملاحظات في آخر الرسالة.

(2) المسائل السروية، الشيخ المفيد المتوفى 413: ص 37، والوسائل، السيد المرتضى المتوفى 436: ج 1 ص 157.

(3) (المعتبر، المحقق الحلي (المتوفى 676): ج1 ص98 ، منتهى المطلب (ط.ق)، العلامة الحلي (المتوفى 726): ج1 ص26 . (ط.ج): ج1 ص152 ، إيضاح الفوائد، فخر المحققين (المتوفى 771): ج1 ص26 ، الدروس للشهيد الأول (المتوفى 786): ج2 ص272 ، روض الجنان، الشهيد الثاني (المتوفى 966): 157 ، كشف اللثام (ط.ق)، الفاضل الهندي (المتوفى 1137): ج2 ص19 ، الحقائق الناضرة، المحقق البهائي (المتوفى 1186): ج5 ص176 ، رياض المسائل (ط.ج)، الطباطبائي (المتوفى 1231): ج9 ص321.

الصفحة 98

(1) وفي جواهر الكلام : لا كلام في نجاستهم وكوهم ثم نقل عن عدة من الفقهاء، الإجماع على ذلك (2) . وحكموا بنجاستهم (3) ونجاسة ذبيحتهم (4) ونجاسة سورهم (5) وعدم جواز تغسيل موتاهم والصلاة عليهم (6) وعدم جواز التزوج بهم (7) . وأنهم لا يرثون المسلمين (8) .

وقالوا أيضاً بعدم جواز الرواية عنهم؛ بل سقوط رواية من روى عنهم (9) ، وعدم اعتبار توثيقهم (10) .

يا أخي الكريم، بعد هذا، هل من الإنصاف حمل عقائد بعض الفرق الباطلة البائدة على مطلق الشيعة؟ بحيث يتوهم الجاهل بأنه مذهب الجميع؟

(1) يعدّ من الكتب الفقهية المعنونة عند الإمامية، بحيث تنور المباحث الفقهية في الحوزات العلمية للشيعة على رحي هذا الكتاب.

(2) جواهر الكلام: ج6 ص51.

(3) (شوائع الإسلام، المحقق الحلي: ج1 ص12 ، العروة الوثقى (ط.ق)، السيد الزدي: ج1 ص68 (ط.ج) مع تعاليق عدة من الفقهاء المعاصرين: ج1 ص145.. قائلًا: (2) مسألة): لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والتواصب.

(4) قواعد الأحكام، العلامة الحلي: ج3 ص318 ، إيضاح الفوائد: ج4 ص127.

(5) منتهى المطلب (ط.ق)، العلامة الحلي: ج1 ص25 ، روض الجنان، الشهيد الثاني: ص157.

(6) البيان، الشهيد الأول: 24، و28 ؛ مستند الشيعة، المحقق الزاقي: ج6 ص270.

(7) كشف اللثام (ط.ق)، الفاضل الهندي: ج2 ص19 ، (ط.ج): ج7 ص84.

(8) (جواهر الكلام، الشيخ الجاهوي: ج39 ص32.

(9) مدرك الأحكام، السيد محمد العاملي: ج5 ص382 . رجال النجاشي: ص594.

(10) ذخيرة المعاد: ج2 ص217 . فيه: والنصر من الغلاة فلا اعتماد على توثيقه.

الصفحة 99

وهل يجيز لنا الشروع، أن نومي الصالح بحجر الطالح، ونأخذ الوريء بذنب المسيء؟

وأقسم بالله أن ما رأيت في سماحتكم من الإنصاف والكمال قد جعلني أقول بكل ثقة بأنكم لو أخذتم رأي الإمامية من كتبهم الموثقة طيلة أربعة عشر قرناً، لكان رأيكم فيهم غير هذا الذي قأته في أجوبتكم.

فأرجو من جنابكم أن تأخذ في الفقه، كتاب جواهر الكلام، للشيخ محمد النجفي أو منتهى المطلب للعلامة الحلي، من الإمامية، وتأخذ كتاب المغني لابن قدامة أو المبسوط للرخسي أو مواهب الجليل للوعيني أو تلخيص الحبير لابن حجر وفتح الغريز للرافعي، من أهل السنة، وتقرن بين المجموعتين ثم تقضي بما هو الصحيح عندكم.

وهكذا تأخذ كتاب معجم رجال الحديث، من رجال الشيعة، وتهذيب الكمال أو سير أعلام النبلاء، من أهل السنة، ثم تقرن بينهما. وكتابي المحاضرات ومصباح الأصول للسيّد الخوئي، في أصول الفقه للشيعة، وكتاب الأحكام للآمدي أو المحصول للوري أو المستصفي للزالي أو الفصول للجصاص، من أصول الفقه لأهل السنة، ثم تقرن بينهما.

فلا يصح الاعتماد في نقل بعض الواهي ونسبتها إلى الشيعة؛ استناداً إلى من تقدم من مخالفيهم، من دون الوهج في معرفة أقوال الإمامية إلى علمائهم وأخذ مذهبهم في الأصول والفروع من مؤلفاتهم.

ومن الغرائب أن أحمد أمين المصري كتب في كتابه فجر الإسلام "إنّ التشيع كان مؤمى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام"⁽¹⁾ وبعد انتشار كتابه، سافر إلى بغداد والنجف، فاعترض عليه أحد علماء الشيعة وعاتبه على تلك الهفوات، وكان أقصى ما عنده من الاعتذار هو عدم الاطلاع وقلة المصادر؟! ⁽²⁾

(1) فجر الإسلام: ص33.

(2) أصل الشيعة وأصولها، الشيخ كاشف الغطاء: ص140.

الصفحة 100

وهذا ابن حزم الظاهري يقول: "ومن الإمامية من يجيز نكاح تسع نسوة"⁽¹⁾ فإذا يوق الطالب هذا عن ابن حزم ثم يرجع إلى كتب الإمامية الفقهية فإنه يجد إجماعهم قاطبة نصاً وفتوى على حرمة الزواج فوق الأربعة، وأن ذلك الحكم من ضروريات مذهبهم، فيوق الفاتحة على روع ابن حزم.

بل لمن يحقق ويبحث يجد الأمر بالعكس من ذلك، حيث ذهب جماعة من أئمة أهل السنة إلى جواز التزوج بالتسع، مستدلّين بالآية الكريمة، فقد قال فخر الدين الزيلعي الحنفي ما نصّه: "وقال القاسم ابن إواهيم: يجوز التزوج بالتسع، لأن الله

تعالى أباح نكاح ثنتين بقوله (مثنى)، ثم عطف عليه (ثلاث ورباع) بالواو وهي للجمع، فيكون المجموع تسعاً، ومثله عن النخعي وابن أبي ليلى"⁽²⁾.

وقال العيني: "وقال القاسم بن إواهيم: يجوز التزوج بالتسع، ومثله عن النخعي وابن أبي ليلى؛ لأنّ الواو للجمع"⁽³⁾.

ومنهم من قال بجواز التزوج بأيّ عدد شاء، بل ذهب جماعة منهم إلى جواز التزوج بأيّ عدد ريد، فقد قال نظام الدين الأوج المفسر النيسابوري في تفسير الآية المذكورة: "ذهب جماعة إلى أنه يجوز التزوج بأيّ عدد ريد، لأن قوله (فانكحوا ما

طاب لكم من النساء) إطلاق في جميع الأعداد" .

(1) الفصل في الأهواء: ج4 ص182.

(2) تبين الحقائق: ج2 ص112.

(3) رمز الحقائق: ج1 ص143 ، فلواجع: نفحات الأهار: ج4 ص248.

(4) غائب القآن: ج4 ص172.



وهكذا حين يقرأ الطالب السنّي الذي يعيش وسط ملايين من الشيعة، قول الدكتور عبد الله محمد الغريب بأن الشيعة تعتقد بأن نكاح الأمّ هو من البرّ بالوالدين، وأنه عندهم من أعظم القربات ⁽¹⁾ ، فيعلم يقيناً بأنه ليس في هذا المؤلف أثر من الديانة والتقوى.

أيها الأخ العزيز، هل يسمح أمثال جنابكم، إذا قرأنا ما نسب إلى الخطابية والحديثية (وهما فوكتان من أهل السنة المعتولة) من أنهم يذهبون إلى إثبات حكم من الأحكام الإلهية في المسيح موافقة للنصلي والي التناسخ ⁽²⁾ . و... الخ، ثم نقول: إن ذلك إذن هو معتقد جميع أهل السنة؟!

وهل من الإنصاف أن من قرأ عن أبي حنيفة، أنه يقول: "لا يجب الحد بوطء من استأجر امرأة لزني بها" ⁽³⁾ ثم ينسب ذلك إلى جميع أهل السنة؟

وقد روى الخطيب بإسناده عن أبي بكر بن عيَّاش، أنه قال لحفيد أبي حنيفة: "كم من فوج حوام أباحه جدك" ⁽⁴⁾ ؟ ونقل ابن حبان عن هدبة بن عبد الوهاب أنه كان يقول:

فكم من فوج محصنة عفيفه أحلّ حوامها بأبي حنيفة

(1) وجاء نور المجوس: 222.

(2) الملل والنحل: ج1 ص60. عند ذكر عقائد الخطابية والحديثية.

(3) البحر الرائق لابن نجيم المصري: ج5 ص30، والمغني، ابن قدامه: ج10 ص194. مستدلاً: بأن ملكه لمنفعتها شبيهة دلّة للحدّ.

(4) تزيخ بغداد: ج13 ص410.

(5) المجروحين، ابن حبان: ج3 ص72 والمستفاد من ذيل تزيخ بغداد لابن الدميّطي: ج2 ص84.

وهنا أستلطف نظركم السامي إلى آراء بعض علماء الأهر الشريف حول الشيعة الإمامية التي صدرت بعد قراءة كتبهم:

يقول الأستاذ عبد الهادي مسعود الأبيلي ⁽¹⁾ : "ليس من شكّ في أنّ المذهب الشيعي وهو فرع من أهمّ فروع المذاهب

الإسلامية العامة والذي يدين به أكثر من مائة مليون مسلم في أنحاء الهند وإيران والواق.

ولقد تابعت كثيراً كتب الشيعة وتابعت مختلف الآراء التي قيل بأنّها تختلف عما يتجّه إليه أهل السنة، فوجدته خلافاً على

(2) شكليات لا أصل لها من جوهر الأمور".

(3)

ويقول الدكتور أبو الوفاء التفتلاني : "وقع كثير من الباحثين سواء في الشرق أو في الغرب قديماً وحديثاً في أحكام كثرة خاطئة عن الشيعة لا تستند إلى أدلة أو شواهد نقلية جدوة بالثقة، وتداول بعض الناس هذه الأحكام فيما بينهم نون أن يسألوا أنفسهم عن صحتها وخطئها ... ومما لا شك فيه أن أي باحث يتصدى للبحث عن تزيخ الشيعة أو عقائدهم أو فقهم لابد له من الاعتماد أولاً وقبل كل شيء على وثائق الشيعة أنفسهم في هذه المجالات ... وكان من بين العوامل التي أدت إلى عدم إنصاف الشيعة أيضاً، أن الاستعمار الغربي راد في عصرنا هذا أن يوسع هوة الخلاف بين السنة والشيعة، وبذلك تصاب الأمة الإسلامية بداء الفوقة والانقسام، فوحي إلى بعض المستشرقين من رجاله بتوخي هذا الفن باسم البحث الأكاديمي الحر، ومما يؤسف له أشد التأسف أن بعض الباحثين من المسلمين في العصر الحاضر تابع أولئك المستشرقين في آرائهم نون أن يتقطن إلى هواميهم".

(1) هو معاون إدارة الثقافة والإرشاد الإسلامي القومي ومدير المكتبات العامة بدار الكتب المصرية.

(2) عصمة الوآن من الزيادة والنقصان: ص 261 ، للأستاذ السيد مرتضى الوضي عضو رابطة الأدب والحديث بالقاهرة.

(3) هو أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة.

الصفحة 103

إلى أن قال: "إن مدى الخلاف الموجود بين السنة والشيعة ليس فيما يبدو لنا بأبعد مما هو موجود مثلاً بين مذهبي الإمام مالك وأتباعه من أهل الرأي والقياس"⁽¹⁾.

ثانياً: غوابة الموضوع بحاجة إلى دليل ساطع

إذا كان المدعى أرواً غريباً على العقول، فإثباته يحتاج إلى دليل ساطع مقنع، مثلاً إذا ادعى القائل بأنه كان في جانب البحر عدد كثير يتجاوز الآلاف من الناس، وتمكن أحدهم من السير على وجه الماء نون الآخرين، فهذا أمر ممكن، ولكنه من الغوابة بمكان، لا يحصل الإيمان به إلاً بدليل قوي، وما أشبه هذا المثال بنظرية عدالة الصحابة؛ فإن كل من رأى النبي (صلى الله عليه وآله) ساعة أو يوماً أو أسوعاً أو شهراً صار عادلاً، فهو وان كان أرواً ممكناً غير محال، ولكنه من الغوابة بمكان، إذ لم يتفق ذلك لأحد من الأنبياء والمصلحين، ومن المعلوم أن عدد الصحابة يتجاوز مائة ألف⁽²⁾ وإن كان عدد من سجلت أسمؤهم أقل من عشرة آلاف⁽³⁾، فالقول بعدالتهم من أولهم إلى آخرهم وأنهم رجال مثاليون، من أغرب الغوائب الممكنة التي لا تثبت إلاً بدليل قوي يقطع جميع الشبهات حول عدالتهم.

(1) مع رجال الفكر في القاهرة، الأستاذ السيد مرتضى الوضي: ج 1 ص 221.

(2) كما قال أبو زرعة: قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى

عنه وسمع منه، نقله السيوطي ثم ناقش فيه إلى أن قال: وروى الساجي في المناقب بسند جيد عن الرافي قال: قبض رسول الله (صلى الله عليه و سلم) والمسلمون ستون ألفاً، ثلاثون ألفاً في المدينة وثلاثون ألفاً في قبائل العرب وغير ذلك، ومع هذا فجميع من صنّف في الصحابة لم يبلغ مجموع ما في تصانيفهم عشوة آلاف، مع كونهم يذكرون من توفي في حياته ومن عاصره أو أركه صغراً. تريب الولي: ج 2 ص 220.

(3) كما صوّح محمد سعيد مبيّض في كتابه "موسوعة حياة الصحابة" ج 1 ص 6 بقوله: تكون موسوعتنا قد ضمت أكبر عدد ممكن من الصحابة؛ لأنّ بعض المؤلفين يذكر أسماء لا يعتوها الآخرون من أصحابه، فجمعنا ما سجل في كافة هذه الراجع فبلغ عددهم (9333) تسعة آلاف وثلاثمائة وثلاث وثلاثون صحابياً.

الصفحة 104

ثالثاً: الصحبة ونفي البعد الإعجابي

إنّ الصحابة اختلفت مقدار صحبتهم للنبي (صلى الله عليه وآله)، فبعضهم صحب النبي (صلى الله عليه وآله) من أول ساعة من ساعات البعثة إلى آخر لحظة من لحظات حياته، وبعضهم أسلم بعد البعثة وقبل الهجرة، وكثير منهم أسلموا بعد الهجرة، وبعضهم أتركوا من الصحبة سنة أو شهراً أو أياماً أو ساعات.

فهل يصحّ أن يقال: إنّ صحبة ساعات أو أيام، قلعت ما في نفوسهم من جنور غير صالحة، وملكات رديئة، وكونت منهم شخصيات ممتلئة تجعلهم أعلى وأجلّ من أن يقعوا في إطار التعديل والوح؟

إنّ تأثير الصحبة عند من يعتقد بعدالة الصحابة كلّهم أشبه شيء بمادة كيميائية تستعمل في تحويل عنصر كالحاس إلى عنصر آخر كالذهب، فكأنّ الصحبة قلبت كلّ مصاحب ولو في مدة ساعات، إلى إنسان مثالي يتحلّى بالعدالة، وهذا مما لا يقبله الوهان والعقل السليم؛ لأنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يقم بتربية الناس وتعليمهم عن طريق الإعجاز، قال تعالى: **لَوْلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً⁽¹⁾** و **قُلْ فَلِلَّهِ الْحِجَابُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ⁽²⁾**، بل قام بإرشاد الناس ودعوتهم إلى الحق مستعيناً بالأساليب المتعرففة، كتلاوة القرآن الكريم وبعث رسله ودعاة دينه إلى الأقطار، ونحو ذلك. والدعوة القائمة على هذا الأساس يختلف أؤها في النفوس حسب اختلاف استعدادها وقابليّاتها فلا يصحّ لنا أن نقرن الجميع بكيل واحد.

(1) الأنعام: 149.

(2) الأنعام: 149.

الصفحة 105

القرآن يمدح صنفاً من الأصحاب كما يذم الآخر منهم

فلهذا زى أن القرآن يقسم الأصحاب إلى أصناف يمدح صنفاً منهم كما يذم الصنف الآخر، أما الممدوحون فهم كما ذكروا:

فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والمبايعون تحت الشجرة وأصحاب الفتح و....

فالناظر المتجود عن كل رأي مسبق والويء قلبه من كل مرض، يجد في نفسه تكويماً لهؤلاء الصحابة، غير أن الرأي

الحاسم في عامة الصحابة يستوجب النظر إلى كل الآيات الوأنية الواردة في حقهم. حيث إن قي الوآن الحكيم آيات، تدل

بوضوح على وجود مجموعات من الصحابة تضاداً الأصناف السابقة في الخلقيات والملكات والسلوك والعمل، كالمنافقين الذين

جوّار رسول الله (صلى الله عليه وآله) الغصص طيلة مدة حياته.

فلو كان المنافقون جماعة قليلة غير مؤثرة، لمارأيت هذه العناية البالغة في الوآن الكريم، وهناك ثلثة من المحققين كتبوا

حول النفاق والمنافقين رسائل وكتباً، وقد قام بعضهم بإحصاء ما يرجع إليهم، فبلغ مقدرأ يقوب من عشر الوآن الكريم (1) ،

وهذا يدل على كثرة أصحاب النفاق وتأثيرهم يوم ذاك في المجتمع الإسلامي. ونشير إلى ما ورد فيهم في الوآن الحكيم:

(1) النفاق والمنافقون، إواهم علي سالم المصوي.

الصفحة 106

الآيات الواردة في المنافقين

أولاً: الآيات الواردة في حق المنافقين بحيث تعوب بوضوح عن وجود جماعة من المنافقين المعروفين بالنفاق بين

الصحابة آنذاك، وكان لهم شأن ودور في المجتمع الإسلامي، بحيث تولت في حقهم سورة مستقلة.

ثانياً: الآيات الدالة على وجود المنافقين المحتفين حول المدينة ومن أهل المدينة جماعة مروا على النفاق، وكان النبي

الأعظم لا يعرف بعضهم:

{**لَوْ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرُونَ عَلَى الْنِفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**} (1)

قال ابن كثير: "يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن في أحياء العرب ممن حول المدينة هم منافقون وفي أهل

المدينة أيضاً منافقون "مَرُونَ عَلَى الْنِفَاقِ" أي: مروا واستمروا عليه" (2) .

لقد بذل الوآن الكريم عناية خاصة بعصبة المنافقين وأعوب عن نواياهم وندد بهم في السور المتعددة، الدالة على أن

المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الإسلامي، بين معروف عرف بسمه النفاق، وغير معروف بذلك، مقتع بقناع التظاهر

بالإيمان والحب للنبي (صلى الله عليه وآله)، بحيث كان كل من حول النبي (صلى الله عليه وآله) يخاف على نفسه أن تتول

فيه آية تفضحه بوأى المسلمين ومسمعهم.

كما قال ابن الجوزي في زاد المسير: "قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ما فرغ من تتويل راءة حتى ظننا أن لن يبقى

منا أحد إلا يتول فيه شيء" (3) .

(1) التوبة: 100.

(2) تفسير ابن كثير: ج2 ص398.

(3) زاد المسير: ج3 ص316.

الصفحة 107

قال السيوطي: "وأخرج أبو عوانة وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مودويه عن ابن عباس رضي الله عنهما "أنَّ عمر (رضي الله عنه) قيل له: سورة التوبة، قال: هي إلى العذاب أقرب! ما أقلعت عن الناس حتى ما كادت تدع منهم أحداً"⁽¹⁾.

هنا عدة وقفات وأسئلة!!

أ: أين ذهب هؤلاء المنافقون بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد جرعوه الغصص مدة حياته؟

ب: كيف انقطع الكلام فيهم بمجرد انقطاع الوحي ولحق النبي (صلى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلى؟

ج: هل كانت حياته سبباً في نفاق المنافقين؟! وموته سبباً في إيمانهم وعدالتهم وصيرورتهم أفضل الخلق بعد الأنبياء؟!

د: كيف انقلبت حقائقهم بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فأصبحوا - بعد ذلك النفاق - بمثابة من الفضل، لا يقدر فيها شيء

على رغم ما لتكويه من الجرائم والعظائم؟

هـ: ما الدليل على هذه الدعوى، من كتاب، أو سنة، أو عقل، أو إجماع، أو قياس؟

و: هل انقطع أمر النفاق وانقض المنافقون؟! أو صلح بهم بركة خلفاء الرسول؟! أو استمر أمرهم بأشدّ مما كان في

عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتبدل السرّ بالجهر!!! كما في صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان، قال: "إنّ

المنافقين اليوم شرّ منهم على عهد النبي، كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون".

(1) الدر المنثور: ج3 ص208.

الصفحة 108

أو تبدل نفاقهم بالكفر كما في المصدر نفسه عن حذيفة، بأنّه قال: "إنّما كان النفاق على عهد النبي، فأما اليوم فإنّما هو الكفر بعد الإيمان"⁽¹⁾.

ز: وبعد ذلك كلّ ما نقول بما ورد بأنّ عمر بن الخطاب لم يكن يصليّ على أحد مات، إلا بعد شهادة حذيفة بأنه لم يكن

من المنافقين!!؟

كما قال ابن كثير: "وذكر لنا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان إذا مات رجل ممّن وى أنه منهم، نظر إلى حذيفة

فإن صلى عليه وإلا تركه"⁽²⁾.

وكيف نجيب الطالب إذا استفسر عن مدلول ما ورد من أنّ أمر النفاق وعدم تغلغل الوعي الإيماني في نفوس الصحابة بلغ

إلى درجة يشكّ الخليفة عمر بن الخطاب هل هو منهم أم لا؟

كما ذكر ذلك ابن كثير والطوي: "وذكر لنا أنّ عمر قال لحذيفة: أنتشكّ الله أمنهم أنا؟ قال: لا، ولا أومن منها أحداً"

(3)

ح: هل نقبل بأن يقال: إنَّ المنافقين كانوا معروفين فلا نخلطهم بالصحابة؟ ثم كيف نبرر ونؤلّ ما ورد في صحيح البخري عن عمر بن الخطّاب، حين قام وقال: "يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. (أراد عبد الله بن أبي)، فقال النبي: دعه لا يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"⁽⁴⁾.

(1) صحيح البخري: ج8 ص100 ، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه.

(2) تفسير ابن كثير: ج2 ص399.

(3) تفسير ابن كثير: ج2 ص399 ، جامع البيان للطوي: ج11 ص16.

(4) صحيح البخري: ج6 ص66 - 67 ، تفسير سورة المنافقين، وصحيح مسلم: ج8 ص19 ، باب نصر الأخ ظالماً أو

مظلوماً، وسنن الترمذي: ج5 ص90، ومسند أحمد بن حنبل: ج3 ص393.

الصفحة 109

وهكذا في قضية (ذو الخويصة) فأجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): "معاذ الله أن يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي،

إنّ هذا وأصحابه يؤأون الوآن لا يجاوز حناجرهم، يبرقون منه كما يبرق السهم من الرمية"⁽¹⁾.

وفي قصة حاطب، قال: "دعني أضرب عنق هذا المنافق؟"⁽²⁾.

وهاهنا وقفة أخرى: كيف يطلق عمر على صحابي رسول الله بأنّه منافق ويطلب ضرب عنقه، وهو جائز لا طعن فيه!!

ولكن من قال فيه بأنّه صحابي غير عادل، فيحكم عليه بالزندقة!!!

ط: وإذا كان الأصحاب كلّهم عدول بلا استثناء، فما معنى الحدود الشرعية التي أقامها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (عليه

السلام) بحق الزناة والسواق وشربي الخمر من الصحابة؟

ي: ما هو المراد من الاجتهاد والتأويل الذي يبرر صاحبه فيما يتركب من المخالفات للكتاب أو السنة؟ كما في قضية خالد

بن الوليد في قتل مالك بن نويرة، وأبي الغادية في قتل عمّار و...؟

وهل يصحّ توير الصحابة تحت ظلّ الاجتهاد في كلّ ما صدر عنهم من مخالفة الأحكام القطعية؟ وأنهم موصولون في

لتركاب كلّ حرام وتوكّل واجب، حتّى في الخروج على إمام زمانهم، ولهاق أرواح كثيرة، وسفك دماء غزوة، ولم يعد ذلك

ذنباً لهم؛ بل إنهم مثابون ولهم أجر في جميع ذلك أيضاً؟! لأنهم كلّ ما فعلوه إنما كان بالاجتهاد، والعمل به واجب، ولا تفسير

⁽³⁾

بواجب .

(1) صحيح مسلم: ج3 ص109 باب ذكر الخورج.

(2) مسند أبي يعلى: ج1 ص321 ، راجع أيضاً: سبل السلام لابن حجر العسقلاني: ج4 ص188 ، وتاريخ ابن خلدون:

(3) فرائح الرحموت في شرح مسلم الثبوت: ج 2 ص 158 و 156 ، وسلم الوصول (مطوع مع نهاية السؤل): ج 3 ص 176 و 177 ، والسنة قبل التنوين: ص 404 . 405.

الصفحة 110

وهل هذا الاجتهاد يختص ببعضهم أو يعمهم ويشمل من يأتي من بعدهم، اقتداء بسيرتهم وعملاً بقول النبي (صلى الله عليه وآله): "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم".

الآيات النزلة في مرضى القلوب ونوي الإثرة للفتنة

الثالث: الآيات الوآنية الوردة في حق مرضى القلوب الذين يتلون المنافقين في الروحيات والملكات، قال سبحانه بحقهم:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾⁽¹⁾.

فكيف يمكن أن يوصف الذين ينسبون خلف الوعد إلى الله سبحانه وإلى الرسول (صلى الله عليه وآله) بالتقوى والعدالة؟

الرابع: الآيات الوردة في نوي التشكيك والإثرة للفتنة والسماعين لهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَلَتَأْتِيَ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾* وَلَوْ رَأَوْا الخُروجَ لَأَعْوَجَا لَهُ عُدَّةٌ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَتَبَطَّهْمَ وَقِيلَ أَقْبِعُوا مَعِ

القَاعِينَ﴾* لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَزَانُكُمْ إِلَّا خُبَالًا أُولَؤُوضُوا خَلَائِكُمْ يَبْتَغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾.

(1) الأخاب: 12.

(2) التوبة: 45، 46، 47.

الصفحة 111

الذين يؤذون النبي (صلى الله عليه وآله)

الخامس: الآيات النزلة في الذين يؤذون رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويستحقون بذلك عذاباً أليماً: ﴿لَوْ مِنْهُمْ الَّذِينَ

يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلُّ أَدْنَىٰ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ

اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁾.

هل يحكم العقل السليم بعدالة من أوعده الله بالعذاب ولعنه، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾⁽²⁾.

الذين يظنون بالله الظنون الكاذبة

السادس: الآيات التي تدل على أن جمعا من الصحابة كانوا يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله،

شكاً في أمر الله، وتكديبا لنبيه (صلى الله عليه وآله)، وظنا متهم أن الله خاذل نبيه، ومعل عليه أهل الكفر . وقد عرفهم الحق سبحانه بقوله: **لَوْ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**⁽⁴⁾ . هل يمكن أن يعدّ الذين هم أهل الشكّ والريب في الله عزّ وجلّ من العدول الثقات؟⁽⁵⁾

(1) التوبة: 61.

(2) الأخاب: 57.

(3) كما في جامع البيان للطوي: ج 4 ص 189.

(4) آل عمران: 154.

(5) راجع: تفسير ابن كثير: ج 1 ص 427.

الصفحة 112

فحصيلة ما يلاحظ في هذه الآيات أنّ في الأصحاب عدولاً وثقات من غير شكّ وريب، ومنهم أيضاً غير عدول وضعاف.

رابعاً: مقام الصحابة لم يكن أكثر امتيزاً من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) ولا رفع من مقامهن

إنّ التشرف بصحبة النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن أكثر امتيزاً وتأثراً من التشرف بالزواج من النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد قال سبحانه في شأن أزواجه: **لَبِىَّ نِسَاءً النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مَنْكِنَ بِفَاحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يَضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**⁽¹⁾ .

وصحبة الصحابة لم تكن بأكثر ولا أقوى من صحبة امرأة فوح وامرأة لوط فما أغنت الصحبة عنهما من الله شيئاً، قال سبحانه: **ضُوبَ اللَّهِ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ وَفُوحٌ وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين**⁽²⁾ .

ونواً لك يا أخي ما ورد عن أكابر علماء السنّة في تفسير هذه الآية الشريفة:

قال ابن الجزي: قوله عزّ وجلّ **فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا** أي: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئاً، وهذه الآية تقطع

طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غوه، ثمّ أخبر أنّ معصية الغير لا تضرّ المطيع، بقوله تعالى: **لَوْ ضُوبَ اللَّهِ**

مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فَوْعُونَ . وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها، وقال يحيى بن سلام: ضوب الله المثل الأول يحذر

به عائشة وحفصة رضي الله عنهما، ثمّ ضوب لهما هذا المثل وغبهما في التمسك بالطاعة وكانت آسية قد آمنت بموسى⁽³⁾ .

(1) الأخاب: 30.

(2) تحريم: 10.

(3) زاد المسير لابن الجزي: ج 8 ص 56.

قال الطوي بعد نقله الآية الشريفة: "لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئاً، وامرأة فوعن لم يضرها كفر فوعن. ثم روى عن بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **{ضُوبَ اللَّهِ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ كُفْرًا وَامْرَأَةٌ لُوطٌ..}** الآية، هاتان زوجتا نبي الله لما عصتا ربهما، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً" (1).

وقريب منه عن القطبي في نفسه (2).

قال ابن قيم الجوزية: "ثم في هذه الأمثال من الأسوار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سبقت في ذكر أزواج النبي التحذير من تظاهروهنّ عليه وأنهنّ إن لم يطعن الله ورسوله ويورن الدار الآخرة، لم ينفعن اتصاليهن برسول الله، كما لم ينفعن امرأة فوح ولوط اتصاليهما بهما، ولهذا ضرب لهما في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القوابة.

قال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة" (3).

وأوضح منه ما أورده الشوكاني بقوله: "وما أحسن من قال: فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرشد أتم لشاد ويلوح أبلغ تلويح إلى أن العواد تخويهما مع سائر أمهات المؤمنين وبيان أنهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله؛ فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئاً..." (4).

(1) جامع البيان: ج 82 ص 217.

(2) تفسير القطبي: ج 81 ص 201.

(3) الأمثال في القوان: ص 57.

(4) فتح القدير: ج 5 ص 255.

خامساً: أقوال علماء أهل السنة في عدالة الصحابة

وقد كتبت في رسالتك الكريمة: "والذين اتبعوهم هم أهل السنة وليسوا الشيعة لأن الشيعة ما بين مكفر لهم وذام لهم . أعني الشيعة الإمامية المتأخرين بدون استثناء".

أقول: أيها الأخ العزيز لقد كنت غزواً عندي كثواً؛ لما شاهدت منك من الإنصاف الجميل والأخلاق الحسنة، ولكن لا ينقضي تعجبي من صدور هذه العبرة من مثل جنابكم، بحيث كلما قأتها زدادت حوتني وتعجبي!! كيف خفي عليك كلام

القوم من السنة والشيعة في عدالة الصحابة (1).

فلئن حكم ابن حزم بأن الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً (2) وقال ابن الأثير: "كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح" (3).

وآدعى بعضهم الإجماع على ذلك، كما صوّح ابن حجر العسقلاني بقوله: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول" (4).

عبد البر: "ثبتت عدالة جميعهم، لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة".
ولكن ذهب غروهم كابن الحاجب إلى عدم وقوع الإجماع على ذلك؛ بل إن القول بعدالة الجميع هو قول الأكثر لا الجميع،
كما صوّح بقوله:

"الأكثر على عدالة الصحابة، وقيل: كغروهم، وقيل: إلى حين الفتن، فلا يقبل الداخلون، لأنّ الفاسق غير معيّن، وقالت
المعتولة: عدول إلاّ من قاتل علياً"⁽⁶⁾.

(1) فلم يكن جميع أهل السنة قد قالوا بعدالة جميع الصحابة ولم يخل الأمر من ذم بعضهم عندهم.

(2) الإصابة في معرفة الصحابة: ج1 ص19.

(3) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج1 ص3.

(4) الإصابة في معرفة الصحابة ج1 ص17 - 18.

(5) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج1 ص8 . وفي الطبعة الحديثة، بتحقيق الشيخ على محمد عوض وأحمد عادل عبد

الموجود: ج1 ص129.

(6) المختصر في الأصول: ج2 ص67 وكذا في شروحه.

الصفحة 115

وكذا في جمع الجوامع وشروحه، حيث قال: "والأكثر على عدالة الصحابة لا يبحث عنها في رواية ولا شهادة"، ثمّ نقل

الأقوال الأخرى⁽¹⁾.

ثمّ ذهب بعض الأعلام كالتفتزاني، بأنّ بعض الأصحاب قد حادّ عن طريق الحق، وبلغ حدّ الظلم والفسق⁽²⁾، وسوف يأتي

نصّ كلامه آنفاً.

وهذا أبو حامد الغوالي (المتوفى 55) : بعد أن قال "إنّ عدالتهم معلومة بتعديل الله عزّ وجلّ إياهم وثنائه عليهم في كتابه،

فهو معتقدنا فيهم" قد نقل اختلاف العلماء في حكم الصحابة بقوله: "وقد زعم قوم أنّ حالهم كحال غروهم في لزوم البحث، وقال

قوم: حالهم العدالة في بداية الأمر إلى ظهور الحرب والخصومات، ثمّ تغيّر الحال وسفكت الدماء، فلا بدّ من البحث، وقال

جماهير المعتولة: عائشة وطلحة والزبير وجميع أهل العواق والشام فساق بقتال الإمام الحق.

وقال قوم من سلف القرويّة: يجب ردّ شهادة علي وطلحة والزبير مجتمعين ومفترقين، لأنّ فيهم فاسقا لا نعرفه بعينه.

وقال قوم: نقبل شهادة كلّ واحد إذا انفرد؛ لأنّه لم يتعيّن فسقه، أما إذا كان مع مخالفه فشهادردا؛ إذ نعلم أنّ أحدهما فاسق،

وشكّ بعضهم في فسق عثمان وقتلته..."⁽³⁾.

(1) النصائح الكافية: 160.

(2) شرح المقاصد: ج5 ص310، ملخصاً.

(3) المستصفي: 130 ، الباب الثالث في الجرح والتعديل، الفصل الرابع في عدالة الصحابة.

الصفحة 116

في الصحابة العدول وغير العدول

فقد صوّح جماعة من أكابر علماء أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين بأن الصحابة غير معصومين، وفيهم العدول وغير العدول، وإليك نصّ كلمات بعضهم:

هذا ابن حزم (المتوفى 456) ⁽¹⁾ يقول: "فمن المحال أن يأمر النبيّ باتّباع كلّ قائل من الصحابة رضي الله عنهم، وفيهم من يحلّ الشيء وغره منهم يحرّمه . إلى أن قال :. وقد كان الصحابة يقولون برّائهم في عصوه (صلى الله عليه وآله) فيبلغه ذلك فيصوب المصيب ويخطئ المخطئ، فذلك بعد موته أفشى وأكثر، ثمّ ذكر مولد متعدّدة مما أفتى به الصحابة فأنكوه رسول الله" ⁽²⁾.

وقال بعد صفحات: وأمّا قولهم: إنّ الصحابة رضي الله عنهم شهوا الوحي فهم أعلم به، فإنه يؤمهم على هذا إن التابعين شهوا الصحابة، فهم أعلم بهم، فيجب تقليد التابعين. وهكذا قوياً قوياً، حتّى يبلغ الأمر إلينا فيجب تقليدنا، وهذه صفة دين النصري في اتّباعهم أساقفتهم، وليست صفة ديننا والحمد لله ربّ العالمين" ⁽³⁾.

(1) قد وثّقه الذهبي قائلًا: ابن حزم، الإمام الأوحّد، البحر، ذو الفنون والمعرف... ورزق ذكاء موطأً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثرة... فإنّه رأس في علوم الإسلام، متبحّر في النقل، عديم النظرير. سير أعلام النبلاء: ج18 ص184. وشهد له بالصدق والأمانة والديانة والحشمة والسؤدد كما في العبر: ج3 ص239.

قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام: وكان أحد المجتهدين، مارأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلّي لابن حزم، قال الذهبي بعد نقله هذا: لقد صدق الشيخ عز الدين. سير أعلام النبلاء: ج18 ص193. وقريب من هذا عن السيوطي في طبقات الحفاظ: 436.

قال الزركلي: ابن حزم: عالم الأندلس في عصوه، وأحد أئمّة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم "الخرميّة". الأعلام: ج4 ص254.

(2) (الإحكام في أصول الأحكام، بتحقيق أحمد شاکر: ج6 ص810 وراجع أيضاً: ج5 ص642، وج6 ص806، و813، و816.

(3) (الإحكام في أصول الأحكام: ج6 ص816 ، بتحقيق أحمد شاکر، وطبعة دار الجيل، بتحقيق لجنة من العلماء: ج6 ص250، من المجلد الثاني.

الصفحة 117

وهذا المازري (المتوفى 53) ، يقول في "شوح الوهان": "لسنا نعني بقولنا: الصحابة عدول، كل من رآه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يوماً ما، أوزراه يوماً ما، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كتب، وانماً نعني به الذين لآرموه، وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أتول معه أولئك هم المفلحون" (2) .

قال ابن عقيل . بعد نقل كلام المازري :: قال السيد الأوسي وإلى نحو هذا ذهب ابن العماد الحنبلي (3) في شذرات الذهب" (4) .

وقال الذهبي: "ولو فتحنا هذا الباب (الروح والتعديل) على نفوسنا لدخل فيه عدّة من الصحابة والتابعين والأئمة، فبعض الصحابة كثر بعضهم بعضاً بتأويل ما!! والله يرضى عن الكل ويغفر لهم!! فما هم بمعصومين، وما اختلافهم ومحلّبتهم بالتالي تليينهم عندنا".

ثم قال: "وأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوي، وان جرى ما جرى، وان غلطوا كما غلط غوهم من الثقات!! فما يكاد يسلم أحد من الغلط ولكته غلط نادر لا يضرّ أبداً! إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوا العمل، وبه ندين الله تعالى" (5) .

(1) قال الذهبي: وكان أحد الأذكياء الموصوفين، والأئمة المتبحرين... وكان بصواً بعلم الحديث. سير أعلام النبلاء: ج2 ص105.

قال الزركلي: محدث، من فقهاء المالكية... له (المعلم بفوائد مسلم) في الحديث، وهو ما علق به على صحيح مسلم، حين قواعته عليه سنة 499 ، وقبده تلاميذه. الأعلام: ج6 ص277 . قال عمر رضا كحالة: يعرف بالإمام محدث، حافظ، فقيه، أصولي، متكلم، أديب. معجم المؤلفين: ج11 ص32.

(2) الإصابة: ج1 ص163، والنصائح الكافية: 167.

(3) قال خير الدين الزركلي: عبد الحيّ بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح: مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب... له شذرات الذهب في أخبار من ذهب... الأعلام: ج3 ص290 ، وهكذا في معجم المؤلفين لعمر كحالة: ج5 ص107.

(4) النصائح الكافية: 168.

(5) أضواء على السنة المحمدية: 342 عن الذهبي في رسالته التي ألفها في الرواة الثقات: 3 - 21.

نقله في فتح الملك العلي . لأحمد بن الصديق المغربي: 147 عن لسان المزان 1: 6 - 8، وإرغام المبتدع الغبي للسقاف: 38 عن مقدمة رسالة الذهبي " في الرواة الثقات المتكلم فيهم، بما لا يوجب ردّهم".

المشاجرات التي بلغت حد الظلم والفسق

وقال سعد الدين التفتلاني (1) المتوفى سنة 791 هـ: "إنّ ما وقع بين الصحابة من المحلّبات والمشاجرات على الوجه

المسطور في كتب التورخ، والمذكور على السنة الثقات، يدلّ بظاهره على أن بعضهم قد حادّ عن طريق الحق، وبلغ حدّ الظلم والفسق، وكان الباعث له الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرئاسة" (2).

ثمّ يقول: "ليس كلّ من لقي النبيّ بالخير موسوماً، إلاّ أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله، ذكروا لها محامل، وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنّهم محدودون عما يوجب التضليل والتفسيق، صونا لّعقائد المسلمين عن الزلل والضلالة في حقّ كبار الصحابة، سيّما المهاجرين منهم والأنصار، والمبشورين بالثواب في دار القوار" (3).

- (1) قال ابن حجر: تقدّم في الفنون واشتهر بذلك، وطار صيته وانتفع الناس بتصانيفه... وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشوق، مات بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمئة. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ج2 ص285، والدرر الكامنة: ج4 ص350. راجع: شذوات الذهب: ج6 ص319، والبدر الطالع: ج2 ص303.
- قال الليان سوكيس: كان من محاسن الزمان، لم تر العيون مثله في الأعلام والأعيان. وهو الأستاذ على الإطلاق. والمشار إليه بالاتفاق. اشتهرت تصانيفه في الأرض، وأنت بالطول والعرض... وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية زمانه. (ملخصاً عن الفوائد البهيّة). معجم المطبوعات العربية: ج1 ص635.
- (2) شوح المقاصد: ج5 ص310.
- (3) شوح المقاصد: ج5 ص310.

الصفحة 119

أقول: ويؤيده ما ورد عن أبي بكر خطاباً للمهاجرين: "بأنكم تريدون الدنيا، وستور الحرير، ونضائد الديباج، وتريدون الرئاسة، وكلّكم يريدونها لنفسه، وكلّكم ورم أنفسه" (1).

وقال ابن خلدون المتوفى سنة 88 هـ: "إنّ الصحابة كلّهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقوان، العرفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالاته بما تلقوه من النبيّ (صلى الله عليه وآله)" (2).

يقول الدكتور طه حسين المتوفى سنة 1393 هـ (3): "ولا زى في أصحاب النبيّ ما لم يكونوا يرون في أنفسهم، فهم كانوا يرون أنّهم بشر فيتعرّضون لما يتعرّض له غوهم من الخطايا والآثام، وهم تقاذفوا التهم الخطوة، وكان منهم فويق تاموا بالكفر والفسوق... والذين ناصروا عثمان من أصحاب النبيّ كانوا يرون أنّ خصومهم قد خرجوا على الدين وخالفوا عن أمره، وهم جميعاً من أجل ذلك قد استحلّوا أن يقاتل بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً بالفعل يوم الجمل ويوم صفين... وإذا دفع أصحاب النبيّ أنفسهم إلى هذا الخلاف، وتاموا بالكبائر وقاتل بعضهم بعضاً في سبيل الله، فما ينبغي أن يكون رأينا فيهم أحسن من رأيهم في أنفسهم، وما ينبغي أن نذهب مذهب الذين يكذبون أكثر الأخبار التي نقلت إلينا ما كان بينهم من فتنة واختلاف.

- (1) مجمع الزوائد: ج5 ص202 ؛ المعجم الكبير للطواني: ج1 ص62 ؛ تزيخ الطوي: ج2 ص619 ؛ تزيخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج03 ص418؛ أسد الغابة: ج4 ص70 ؛ مزان الاعتدال للذهبي: ج3 ص108 ؛ لسان المزان: ج4 ص188.
- (2) تزيخ ابن خلدون: ج1 ص446.

(3) قال الزركلي فيه: من كبار المحاضرين، جدّد مناهج، وأحدث ضجّة في عالم الأدب العربي. الأعلام: ج3 ص231.

الصفحة 120

فنحن إن فعلنا ذلك لم تود عن أن نكذب التزيخ الإسلامي كله، منذ بعث النبي، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغلبي وسورة النبي والخلفاء، فما ينبغي أن نصدقهم حين يروون ما يروون، وأن نكذبهم حين يروون ما لا يعجبنا، وما ينبغي أن نصدق بعض التزيخ ونكذب بعضه الآخر، لا لشيء إلا لأن بعضه يوضينا وبعضه يؤذينا"⁽¹⁾.

الصحابة يلعن بعضهم بعضاً

قال الدكتور أحمد أمين المتوفى سنة 1373 هـ⁽²⁾ : "إنّ أربابنا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً، بل يلعن بعضهم بعضاً، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالموتلة التي لا يصحّ فيها نقد، ولا لعن، لعلمت ذلك من حال نفسها، لأنهم أعرّف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم، لم يروا أن يمسكوا عن عليّ، وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصوا نون ضوبه وضوب أصحابه بالسيف، وكالذي روى عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه... وقلّ أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التزيخ.

(1) الفتنة الكوى (عثمان): 170 - 173.

(2) قال الزركلي فيه: عالم بالأدب، غزير الإطلاع على التزيخ، من كبار الكتاب... وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، ومنحته جامعة القاهرة (سنة 48) لقب (دكتور) فخوي، وهو من أكثر كتّاب مصر تصنيفاً وإفاضة. ومن أعماله: إشرافه على لجنة التّأليف والترجمة والنشر، مدة ثلاثين سنة وكان رئيساً لها. ومن تأليفه: فجر الإسلام، وضحي الإسلام، وظهر الإسلام، ويوم الإسلام، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث. الأعلام: ج1 ص101. وراجع أيضاً: معجم المؤلفين: ج1 ص168.

الصفحة 121

وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا القول، وإنّما اتّخذهم العامة رباباً بعد ذلك. والصحابة قوم من الناس، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم. من أساء ذمّناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غورهم كبير فضل إلاّ بمشاهدة الرسول ومعاصوته لا غير؛ بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غورهم، لأنهم شاهوا الأعلام

والمعجزات، فمعاصينا أخفّ لأننا أعذر" .

قال ابن عقيل المتوفى سنة 135 هـ⁽²⁾ : "وأما تعديلهم كلّ من سموه بذلك الاصطلاح، صحابياً وأن فعل ما فعل من الكبائر، ووجوب تأويلها له فغير مسلم؛ إذ الصحبة مع الإسلام لا تقتضي العصمة اتفاقاً حتّى يثبت التعديل، ويجب التأويل على أنهم اختلفوا في ذلك التعديل اختلافاً كثيراً والجمهور هم القائلون بالعدالة"⁽³⁾ .

(1) ضحى الإسلام: ج3 ص75.

(2) قال الزركلي: ابن عقيل (1279 - 1350 هـ . 1863 - 1931 م) محمد بن عقيل بن عبدالله بن عمر، من آل يحيى، العلوي الحسيني الحضومي، رحّالة، من بيت علم بحضرموت. الأعلام: ج6 ص269.

قال عمر رضا كحّالة: محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر العلوي الصادقي الحسيني الحضومي، فاضل، مشرك في بعض العلوم. ولد ببلدة مسيلة آل شيخ قوب تريم من بلاد حضرموت ليومين بقيا من شعبان، ورحل إلى سنغافورة واشتغل بالتجارة، ورأس فيها المجلس الإسلامي الاستشيري، وأسس فيها جمعية إسلامية ومجلة وجريدة عوبيتين ومدرسة عوبية دينية... من مؤلفاته: النصائح الكافية لمن تولى معاوية، تقوية الإيمان، فصل الحاكم في الزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، العتب الجميل على علماء الجوح والتعديل، وثوات المطالعة. معجم المؤلفين: ج10 ص296.

(3) النصائح الكافية لمحمد بن عقيل: 166.

الصفحة 122

وقال محمد ناصر الدين الألباني المعاصر: "كيف يسوغ لنا أن نتصور أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) يجيز لنا أن نفتدي بكلّ رجل من الصحابة، مع أنّ فيهم العالم والمتوسط في العلم ومن هو دون ذلك وكان فيهم مثلاً من روى أن الورد لا يفتطر الصائم بأكله"⁽¹⁾ .

وقريب من ذلك عن الشوكاني المتوفى سنة 1255 هـ⁽²⁾ والشيخ محمود أبوريّة المتوفى سنة 137 هـ⁽³⁾ والشيخ محمد عبده⁽⁴⁾ المتوفى سنة 1323 هـ، والسيد محمد رشيد رضا المتوفى سنة 1354⁽⁵⁾ والوافعي المتوفى سنة 1356 هـ⁽⁶⁾ . وهذا بعينه هو رأي الشيعة الإمامية.

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ج1 ص82.

(2) إرشاد الفحول: 158 . قال الزركلي: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فقيه، مجتهد، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجة شوكان، من بلاد هولان باليمن، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكماً بها، وكان روى تحريم التقليد، له 114 مؤلفاً، منها: نيل الأوطار، والبدر الطالع... وفتح القدير في التفسير، والسيل الحواز.... الأعلام: ج6 ص298.

(3) أضواء على السنة المحمدية: 356. 359 ط دار المعرف بمصر.

(4) قال الزركلي: الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام... له تفسير القرآن الكريم... وشوح نهج البلاغة. الأعلام: ج6 ص252.

قال عمر رضا كحالة: فقيه، مفسر، متكلم، حكيم، أديب، كاتب، صحافي، سياسي. معجم المؤلفين: ج10 ص273.
(5) تفسير المنار: ج10 ص375.

قال الزركلي: صاحب مجلة المنار، وأحدرجال الإصلاح الإسلامي من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير... رحل إلى مصر سنة 1315 ، فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له... وأصبح مرجع الفتيا في التأليف، بين الشوعة والأوضاع العصرية الجديدة... الأعلام: ج6 ص126.
(6) إعجاز القرآن: 141.

هو مصطفى صادق الرافعي، قال الزركلي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام. الأعلام: ج7 ص235 . وقال عمر رضا كحالة: بأنه انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق. معجم المؤلفين: ج12 ص256.

الصفحة 123

القول بأفضلية بعض التابعين من الصحابة

ذهب بعض إلى أنّ من يأتي بعد الصحابة يكون أفضل منهم، كما قال القوطبي: "وذهب أبو عمر بن عبد البر⁽¹⁾ [المتوفى 463] إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة الصحابة، وإن قوله (عليه السلام): (خير الناس قرني) ليس على عمومته، بدليل ما يجمع القون من الفاضل والمفضول، وقد جمع قونه جماعة من المنافقين المظهريين للإيمان وأهل الكبائر الذين أقام عليهم أو على بعضهم الحدود...".⁽²⁾
وهكذا نقل النووي عن القاضي عياض، عن ابن عبد البر⁽³⁾. والمنلوي في فيض القدير، والمبلر كهوري في تحفة الأحوذى، وابن حجر في فتح البلى، ثم ناقش فيه⁽⁴⁾.

الصحابة أبصر بحالهم من غوهم

لا شك أنّ من سبر تليخ الصحابة بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله) يجد فيه صفحات مليئة بألوان الصواع والزواع بينهم، حافلة بتبادل السبّ والشتم؛ بل تجلوز الأمر بهم إلى النقائل وسفك الدماء، فكم من بوي وأحدي انتهكت حرمة، أو ريق دمه بيد صحابي آخر، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان.

(1) قال الذهبي: ابن عبد البر الإمام العلامة، حافظ المغوب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبد الله... المالكي، صاحب التصانيف الفائقة... وأترك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنّف، ووثق وضعف، وسلرت بتصانيفه الوكبان، وخضع لعلمه علماء الزمان. سير أعلام النبلاء: ج18 ص153.

قال الزركلي: ابن عبد البر... من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحّاث. يقال له حافظ المغرب.... الأعلام: ج 8

ص 240.

(2) تفسير القوطي: ج 4 ص 171.

(3) شرح صحيح مسلم للنووي: ج 3 ص 138.

(4) فيض القدير: ج 4 ص 368، تحفة الأحوذى: ج 8 ص 337، وفتح البري: ج 7 ص 6.

الصفحة 124

فإذا كان الصحابي يعتقد أنّ خصمه الصحابي الآخر منحرف عن الحقّ، ومجانب شريعة الله ورسوله، وأنه جهنمي يستحقّ القتل، وهو على هذا الأساس يبيح سلّ السيف عليه وقتله، فكيف يجوز لنا أن نحكم بعدالتهم وزاهتهم جميعاً والحال أنّ الصحابة أعرف منا بنور ع أنفسهم وبنفسيات أبناء جيلهم؟ وهل سمعت ظموا أعطف بالطفل من أمه؟ وقال ابن عقيل أيضاً: "إنّ الصحابة أنفسهم لا يدعون لأنفسهم هذه المقولة التي ادعّاها بعض المحدثين لهم من العدالة العامة فيهم، وهم أعرف بأنفسهم وبمن عاصروه وعاشروه من هؤلاء الذين كانوا يتّخذون الصحابة أنبياء معصومين، كيف وقد نقل عنهم وشاع وانتشر ردّ بعض منهم روايات البعض الآخر واتّهامه في النقل وعدم قبول ما جاء به إلا بعد تثبّت شديد، وتحرّم عظيم؟

وقد صحّ عن عليّ كرم الله وجهه أنه يقول: ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا استحلّفته، وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر" (1).

عدالة جميع الصحابة أبعد من قول الشيعة بعصمة أئمتهم

قال ابن عقيل: "إننا أهل السنة قد أنكونا على الشيعة دعواهم العصمة للأئمة الإثني عشر (عليهم السلام)، وجاهوناهم بصيحات النكير، وسقّنا بذلك أحلامهم، ورددنا أدلتهم بما رددنا، أفبعد ذلك يجمل بنا أن ندعي أن مائة وعشرين ألفاً حاضرهم، وباديهم، وعالمهم وجاهلهم، وذكرهم وأنتاهم، كلّهم معصومون. أو كما نقول: محفوظون من الكذب والفسق، ونجزم بعدالتهم أجمعين، فنأخذ رواية كلّ فرد منهم قضية مسلمة، نضللّ من نزع في صحتها ونفسقه ونتصامم عن كل ما ثبت وصح عندنا.

(1) النصائح الكافية: 172.

الصفحة 125

بل وما تواتر من ارتكاب بعضهم ما يخرم العدالة وينافيها من البغي، والكذب، والقتل بغير حق، وشرب الخمر، وغير ذلك مع الإصوار عليه، لا أروي كيف تحلّ هذه المعضلة ولا أعرف تفسير هذه المشكلة" (1).

الاتهام بالؤنفة لمن ينتقص أحداً من الصحابة

ومع هذا كله زى أن بعضهم يتهم من ينتقد الصحابة بالزندقة والخروج من الدين والإلحاد، كما قال السرخسي: "من طعن فيهم فهو ملحد، منابذ للإسلام، ولوّه السيف، إن لم يتب"⁽²⁾.

وروى الخطيب البغدادي بإسناده عن أحمد بن محمد بن سليمان التسوي، يقول: "سمعت أبا زرعة يقول: إدارأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله أعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول لعندنا حق، والقآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القآن والسنن، أصحاب رسول الله يبريدون أن يجرّوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة والروح بهم أولى وهم زنادقة"⁽³⁾.

ثم قال ابن حجر بعد نقل هذا من أدلتها على المقصود: "ما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله: الله الله في أصحابي، لا تتخّوهم غرضاً، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه"⁽⁴⁾.

(1) النصائح الكافية: 174.

(2) أصول السرخسي: ج 2 ص 134.

(3) الكافية في علم الرواية: 67.

(4) الإصابة في معرفة الصحابة: ج 1 ص 10.



أقول: وقد رواه الترمذي في سننه، ثم قال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"⁽¹⁾.

قال الألباني في شوح كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم الضحاك بعد نقله الحديث: "إسناده ضعيف؛ لجهالة عبد الله بن عبد الرحمن. ويقال عبد الرحمن بن زياد، وقد تكلمت عليه وخرجت حديثه في الضعيفة (291)"⁽²⁾.

وقال أيضاً في ضعيف سنن الترمذي: (ضعيف - تخريج الطحاوية 471 (673)، الضعيفة 291 (ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير 116)⁽³⁾، هذا أولاً.

وأما ثانياً: فقله "فحببي أحبهم" أي: بسبب حبي إياهم أحبهم، "ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم" أي: بسبب بغضي إياهم أبغضهم.

يعني بذلك أن من علامات حب النبي (صلى الله عليه وآله)، هو حب كل من يحبه النبي (صلى الله عليه وآله) وبغض من يبغضه.

كما قال القاضي عياض في شوح الحديث: "بالحقيقة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه، وهذه سوة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس، وقد قال أنس حين رأى النبي ينتبج الدباء من حوالي القصعة: فما زلت أحب الدباء من يومئذ، وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر، أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاماً مما كان يعجب رسول الله، وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفوة، إذ رأى النبي يفعل نحو ذلك.

(1) سنن الترمذي: ج 5 ص 358، أبواب المناقب، باب ما جاء في سب أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله).

(2) كتاب السنة: 465.

(3) ضعيف سنن الترمذي لمحمد ناصر الألباني: 518.

ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستنقله كل أمر يخالف شريعته قال الله تعالى: **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}**⁽¹⁾.

فتدل الرواية على وجوب حب كل صحابي يحبه النبي (صلى الله عليه وآله) وبغض كل صحابي يبغضه النبي (صلى الله عليه وآله).

ولاريب أن حب جميع الصحابة ولو كان فيهم من يبغضه النبي أو أغضبه أو لعنه (صلى الله عليه وآله)، فليس من حب النبي (صلى الله عليه وآله) من شيء، كما ورد عن علي بن أبي طالب (عليه السلام): **{أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة،**

فأصدقاؤك: صديقك، وصدوقك، وعدو عدوك. وأعداؤك: عدوك، وعدو صديقك، وصدوقك}⁽²⁾.

فقد ظهر بذلك فساد ما ذهب إليه بعض الشرحين، بما يتفق مع هواه، كالمثلي في شوح الحديث بقوله: (فمن أحبهم فحببي

أحبهم) أي: فبسبب حبهم إياي، أو حبي إياهم، أي: إنما أحبهم لحبهم إياي أو لحبي إياهم (ومن أبغضهم فببغضهم) أي: فبسبب بغضه إياي (أبغضهم) يعني: إنما أبغضهم لبغضه إياي، ومن ثم قال المالكية: يقتل سابعهم⁽³⁾ ، وقريب منه ما عن المبلر كفوري في شوح سنن الترمذي⁽⁴⁾ .

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج2 ص26.

(2) (شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج19 ص200 ، وينابيع المودة: ج2 ص247 ، ومختصر تريح ابن الديبهي للذهبي: 124 بقوله: فذكر حديثاً.

(3) فيض القدير، شوح الجامع الصغير: ج2 ص124.

(4) تحفة الأحوذني: ج10 ص247.

الصفحة 128

وأنت ترى كيف فرق بين قوله (صلى الله عليه وآله) "فحببي أحبهم" وقوله "فببغضهم أبغضهم"، حيث فسر الأول؛ بأن حبّ الأصحاب، إمّا بسبب حبّ هؤلاء الأصحاب، رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو حبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إياهم ولم يقل في الثاني، فبغض الأصحاب لبغضهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو بغض رسول الله (صلى الله عليه وآله) إياهم؛ بل فسر بما هو معناه: "لا يبغض الأصحاب إلا من كان يبغضني" أي سبب بغض المبغض للأصحاب هو وجود بغض رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قلبه. وهذا في الحقيقة تفسير بما يخالف سياق الحديث من كل وجه.

سادساً: آراء الشيعة الإمامية في الصحابة

أمير المؤمنين وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله):

من أراد أن يقف على رأي الشيعة في الصحابة، فعليه بما يقوله إمام المسلمين علي (عليه السلام) في حقهم:

"لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما رى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غوراً وقد باتوا سجداً وقياماً ولو حون بين جباههم وخودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأن بين أعينهم ركب المغوى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم ومانوا كما يמיד الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب"⁽¹⁾ .

(1) نهج البلاغة، خطبة 97.

الصفحة 129

"أين إخواني الذين ركوا الطويق ومضوا على الحق. أين عمّار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظروهم من

إخوانهم الذين تعاقوا على المنية وأورد برؤوسهم إلى الفجرة. أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفوض

فأقاموه، أحووا السنة وأماتوا البدعة، دعاوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه..."⁽¹⁾ .

علي بن الحسين (عليهما السلام) والأصحاب:

وهذا هو الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) يذكر في بعض أدعيته صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: "اللهم وأصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصوه، وكانفوه، وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفرقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته... (2) .

قول والد الشيخ البهائي المتوفى سنة 984 هـ:

قال الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد العاملي، والد الشيخ البهائي من أئمة الفقه والحديث: "ليس في مذهبنا وجوب سبهم، وإنما يسبهم عوام الناس المتعصبين، وأما علمائنا فلم يقل أحد بوجوب سبهم، وهذه كتبهم موجودة.

وأقسمت له أيماناً مغلظة (3) بأنه لو عاش أحد ألف سنة وهو يتدين بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) ويؤلاهم، ويتوأم أعدائهم، ولم يسب الصحابة قط، لم يكن مخطئاً، ولا في إيمانه قصور" (4) .

(1) نهج البلاغة: الخطبة 182.

(2) الصحيفة السجادية، الدعاء الرابع.

(3) قاله في مناظراته مع أحد علماء حلب في سوريا.

(4) المناظرات لمقاتل بن عطية بتحقيق الورداني: 77.

الصفحة 130

قول السيد علي خان الشوزي المتوفى 1130 هـ:

قال السيد علي خان الشوزي: "حكم الصحابة عندنا في العدالة حكم غورهم، ولا يتحتم الحكم بالإيمان والعدالة بمجرد الصحبة ولا يحصل بها النجاة من عقاب النار وغضب الجبار إلا أن يكون مع يقين الإيمان وخلوص الجنان، فمن علمنا عدالته وإيمانه وحفظه وصية رسول الله في أهل بيته، وأنه مات على ذلك، كسلمان وأبي ذر وعمار، والينا وتوينا إلى الله تعالى بحبه.

ومن علمنا أنه انقلب على عقبه وأظهر العدوة لأهل البيت (عليهم السلام) عادينا لله تعالى، وتوينا إلى الله منه، ونسكت عن المجهولة حاله" (1) .

ثم قال: "اعلم أن كثراً من الصحابة رجع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وظهر له الحق بعد أن عانده وتوئل بعضهم في خلافة أبي بكر وبعضهم في خلافته (عليه السلام) وليس إلى استقصائهم جميعاً سبيل، وقد اتفقت نقلة الأخبار على أن أكثر

الصحابة كانوا معه (عليه السلام) في حروبه".

قال المسعودي في مروج الذهب: "كان ممّن شهد صفين مع علي (عليه السلام) من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً منهم: سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار. وشهد معه ممّن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار، ومن سائر الصحابة، تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة"⁽²⁾.

ثم اختصّ الباب الأوّل من كتابه، إلى الطبقة الأولى ببني هاشم وساداتهم من الصحابة العلية، وعدّ منهم أربعة وعشرون رجلاً⁽³⁾.

(1) الوجات الرفيعة في طبقات الشيعة: 11.

(2) الوجات الرفيعة: 39.

(3) المصدر نفسه: 41 إلى 195.

الصفحة 131

واختصّ الباب الثاني بذكر غير بني هاشم من الصحابة الموضيعة والشيعة المتضوية رضوان الله عليهم. وذكر فيه زهاء خمسين رجلاً منهم⁽¹⁾.

قول السيد محسن الأمين المتوفى 1371 هـ:

قال السيّد محسن الأمين العاملي ما يمثّل عقيدة الشيعة:

"حكم الصحابة في العدالة حكم غورهم، ولا يتحنّم الحكم بها بمجرد الصحبة، وهي لقاء النبي (صلى الله عليه وآله) مؤمناً به، ومات على الإسلام. وإنّ ذلك ليس كافياً في ثبوت العدالة بعد الاتفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته حكمنا بها، وقبلنا روايته، ولزمنا له من التعظيم والتوقير، بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته، أمثال مروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وبسر بن رطاة وبعض بني أمية وأعرانهم، ومن جهلنا حاله في العدالة توقّفنا في قبول روايته.

ومما يمكن أن يذكر في المقام أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) توفيّ ومن رآه وسمع عنه يتجاوز مائة ألف إنسان من رجل وامرأة على ما حكاه ابن حجر في الإصابة عن أبي زرعة الوري: وقيل مات (صلى الله عليه وآله) عن مائة وأربعة عشر ألف صحابي⁽²⁾.

ومن الممتع عادة أن يكون هذا العدد في كثرتة وتوقّ أهوائه وكون النفوس البشرية مطوعة على حبّ الشهوات كلهم، قد حصلت لهم ملكة التقوى المانعة عن صدور الكبائر، والإصوار على الصغائر بمجرد رؤية النبي (صلى الله عليه وآله).

والله والإيمان به.

ونحن نعلم أنّ منهم من أسلم طوعاً ورغبة في الإسلام، ومنهم من أسلم خوفاً وكرهاً، ومنهم المؤلفّة قلوبهم، وما كانت هذه

الأمة إلا كغوها من الأمم التي جبلت على حبّ الشهوات وخلقت فيها الطبائع القائدة إلى ذلك إن لم يرد عرادع والكل من بني آدم.

(1) المصدر نفسه: 197 إلى 452.

(2) راجع الإصابة: ج 1 ص 154، طبعة دار الكتب العلمية . بيروت.

الصفحة 132

وقد صحّ عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتى لو دخل أحدهم جحر ضبّ لدخلتموه.

ولو منعت رؤية النبيّ (صلى الله عليه وآله) من وقوع الذنب لمنعت من الارتداد الذي حصل من جماعة منهم كعبد الله بن جحش، وعبيد الله بن خطل، وربيعة بن أمية بن خلف، والأشعث بن قيس⁽¹⁾ وغوهم.

هذا مع ما شوهد من صدور أمور من بعضهم، لا تتفق مع العدالة، كالخروج على أئمة العدل، وشق عصا المسلمين، وقتل النفوس المحترمة، وسلب الأموال المعصومة، والسبّ والشتم وحرب المسلمين وغشهم، والقاح الفتن، والرغبة في الدنيا، والزاحم على الإمرة والرئاسة وغير ذلك ممّا تكفّلت به كتب الآثار والتورّيح ومألاً الخافقين⁽²⁾.

قول محمد حسين آل كاشف الغطاء المتوفى 1373:

قال محمد حسين آل كاشف الغطاء من كبار علماء الشيعة: "لا أقول إنّ الآخرين من الصحابة. وهم الأكثر الذين لم يتسموا بسمّة الولاء لأهل البيت. قد خالفوا النبي ولم يأخذوا بلشاده، كلا ومعاذ الله أن يظنّ فيهم ذلك، وهم خوة من على وجه الأرض يومئذ، ولكن لعلّ تلك الكلمات لم يسمعها كلهم، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلى المقصود منها، وصحابة النبي الكوام أسمى من أن تحلق إلى وُج مقامهم بغاث الأوهام"⁽³⁾.

(1) الثلاثة الأوّلون رتّبوا وماتوا على الودّة، والأشعث رتّب قأتي به إلى الخليفة أبي بكر أسوا فعاد إلى الإسلام وزوجه أخته، وكانت عراء، فأولدها محمداً أحد قتلة الحسين\$.

(2) أعيان الشيعة: ج 1 ص 113.

(3) أصل الشيعة وأصولها: 188، بتحقيق علاء آل جعفر.

الصفحة 133

إلى أن قال: "لا يذهبنّ عنك أنه ليس معنى هذا إنّا نريد أن ننكر ما لأولئك الخلفاء من الحسنات وبعض الخدمات للإسلام التي لا يجدها إلاّ مكابر، ولسنا بحمد الله من المكابرين، ولا سبابين ولا شتامين؛ بل ممن يشكر الحسنات ويغضي عن السيئه، ونقول: تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وحسابهم على الله، فإن عفا فبفضله، وإن عاقب فبعده"⁽¹⁾.

قول السيد شرف الدين العاملي المتوفى 1377 هـ:

قال السيد شرف الدين من أكابر علماء الشيعة بلبنان: "إن من وقف على رأينا في الصحابة، علم أنه أوسط الآراء، إذ لم يوط فيه تقييد الغلاة الذين كفروهم جميعاً، ولا أوطنا إواط الجمهور الذين وثقوهم أجمعين، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم، قالوا: بكفر الصحابة كافة، وقال أهل السنة: بعدالة كل فرد ممن سمع النبي (صلى الله عليه وآله) أوراه من المسلمين مطلقاً، واحتجوا بحديث كل من دب أو ورج منهم أجمعين أكتعين أبصعين.

أما نحن، فإن الصحبة بمجردّها وإن كانت عندنا فضيلة جليّة، لكنّها - بما هي ومن حيث هي - غير عاصمة، فالصحابية كغورهم من الرجال. فيهم: العدول، وهم عظمؤهم وعلمؤهم، وأولياء هؤلاء، وفيهم: البغاة، وفيهم: أهل الحرائم من المنافقين، وفيهم: مجهول الحال.

(1) أصل الشيعة و أصولها: 209.

الصفحة 134

فنحن نحتج بعدولهم ونؤلاهم في الدنيا والآخرة، أما البغاة على الوصي، وأخي النبي، وسائر أهل الحرائم والعظائم كابن هند، وابن النابغة، وابن الزرقاء وابن عقبة، وابن رطاة، وأمثالهم، فلا كرامة لهم، ولا وزن لحديثهم.

ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره، هذارأينا في حملة الحديث من الصحابة وغورهم، والكتاب والسنة بيننا على هذا الوأي، كما هو مفصل في مظانّه من أصول الفقه.

لكنّ الجمهور بالغوا في تقديس كلّ من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال، فاحتجوا بالثغث منهم والسامين، واقتنوا بكلّ مسلم سمع النبي أوراه (صلى الله عليه وآله) اقتداء أعمى، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو، وخرجوا في الإنكار على كلّ حد من الحدود، وما أشدّ إنكلهم علينا حين يروننا نودّ حديث كثير من الصحابة مصوحين، بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال، عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية، والبحث عن الصحيح من الآثار النبوية، وبهذا ظنوا بنا الظنوننا، فأنهمونا بما أنهمونا، رجماً بالغيب، وتهافتنا على الجهل، ولو ثابت إليهم أحلامهم، ورجعوا إلى قواعد العلم، لعلموا أن أصالة العدالة في الصحابة ممّا لا دليل عليه، ولو تدبروا الوآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم، وحسبك من سورته التوبة والأخبار، وإذا جاءك المنافقون، ويكفيك من آياته المحكمة **{الأعوأب أشدّ كفوؤاً ونفاقاً}** (1).

(1) التوبة: 97.

الصفحة 135

فليتني أوي أين ذهب المنافقون بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد كانوا جرّوه الغصص مدة حياته، حتى دحرجوا الدباب و... وقد تعلمون أنّه (صلى الله عليه وآله) خرج إلى أحد بألف من أصحابه، فوجع منهم قبل الوصول ثلاث مائة من

المنافقين، وربما بقي معه منافقون لم وجعوا خوف الشهرة، أو رغبة بالدفاع عن أحساب قومهم، ولو لم يكن في الألف إلا ثلاث مائة منافق، لكفى دليلاً على أن النفاق كان زمن الوحي فاشياً، فكيف ينقطع بمجرد انقطاع الوحي ولحوق النبي (صلى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلى؟!

وما ضوّنا لو صدعنا بحقيقة أولئك المنافقين، فإن الأمة في غنى عنهم بالمؤمنين المستقيمين من الصحابة، وهم أهل السوابق والمناقب، وفيهم الأكتوية الساحقة، ولا سيما علمؤهم وعظموهم حملة الآثار النبوية، وسدنة الأحكام الإلهية، قال

تعالى: **قُلْ أُولَئِكَ لَهُمُ الْخُزَاةُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (1) . وهم في غنى عن مدحة المادحين بمدحة الله تعالى، وثنائه عليهم في الذكر الحكيم، وحسبهم تأييد الدين، ونشر

الدعوة إلى الحق المبين. على أنا ننقل من الصحابة كل من اضطر إلى الحياد - في ظاهر الحال - عن الوصي، أو التجأ إلى مساواة أهل السلطة بقصد الاحتياط على الدين، والاحتفاظ بشوكة المسلمين، وهم السواد الأعظم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين فإن مودة هؤلاء لازمة، والدعاء لهم فيوضه، **قُلِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأَخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** (2) (3) .

(1) التوبة: 88 و 89.

(2) الحشر: 10.

(3) أجوبة مسائل، جار الله: 14.

الصفحة 136

قول السيد الشهيد محمد باقر الصدر الذي استشهد سنة 1402 (1) :

قال: "إن الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنورة كانوا أفضل وأصلح بؤرة لنشوء أمة رسالية، حتى أن تـريخ الإنسان لم يشهد جيلاً عقائدياً روع وأنبـل وأطهر من الجيل الذي أنشأه الرسول القائد" (2) .

لا أظن بأن الشيخ ابن تيمية استطاع فيما كتب أن يمتدح الصحابة بأكثر من هذا الذي قاله فيه الوعيم الشيعي الكبير السيد الصدر.

قول سماحة الشيخ السبحاني (المعاصر)

قال سماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني من أكابر علماء وأساتذة الحوزة العلمية بقم المقدسة:

"إنه من المستحيل أن يحب الإنسان النبي (صلى الله عليه وآله) في الوقت نفسه يبغض من ضحى بنفسه ونفيسه في طريق رسالته، والإنسان العاقل لا يمكنه أن يجمع في قلبه حالتين متضادتين. والذي دعا أهل السنة إلى اتهام الشيعة بالسب هو اعتقادهم بعدالة الصحابة كلهم من أولهم إلى آخرهم، والشيعة الإثنا عشرية لا تعترف بذلك؛ بل إن الصحابة والتابعين وغيرهم من تابعي التابعين عندهم في صف واحد، ولا ترى أي ملازمة بين كون الرجل صحابياً رأى النبي (صلى الله عليه وآله)،

وبين كونه رجلاً مثالياً يكون القوة والأسوة للمسلمين إلى يوم القيامة.

(1) السيد محمد باقر الصدر: مجتهد و مرجع شيعي شهير; له مؤلفات عديدة منها: "اقتصادنا" و"فلسفتنا" و"البنك اللاروي" وقد جمعت مؤلفاته في 15 مجلداً، عاش مجاهداً داعياً إلى الإصلاح و إلى راحة الأنظمة اللادينية واقامة النظام الإسلامي، وقتل شهيداً في السجن ببغداد سنة 1980، وله من العمر 47 سنة.

(2) بحث حول الولاية: 48 المجموعة الكاملة ج 11.

الصفحة 137

بل تعتقد أنّ مصير الصحابة كمصير الآخرين، فيهم: الصالح، والتقي، والمخلص، وفيهم: الطالح، والمنافق، وتدلّ على ذلك أمور كثيرة⁽¹⁾.

وقال أيضاً: "على أنّ ما نحن بصدد بحثه ورواسته هنا هو (عدالة جميع الصحابة) لا سب الصحابة، وإنّ من المؤسف أنه لم يفرك البعض بين المسألتين، وإنّما عمد إلى اتهام المخالفين في المسألة الأولى، والإيقاع فيهم في غير ما حق.

وفي الخاتمة نوّكد على أنّ الشيعة الإمامية لا ترى احترام صحبة النبي (صلى الله عليه وآله) مانعا من مناقشة أفعال بعض صحابته (صلى الله عليه وآله) الحكم عليها، وتعتقد بأنّ معاشرته النبي لا تكون سبباً للمصونية من المعاصي إلى آخر العمر... على أنّ موقف الشيعة، في هذا المجال ينطلق من الآيات القوانية، والأحاديث الصحيحة، والتاريخ القطعي، والعقل المحايد⁽²⁾.

وبعد إلفات نظركم السامي إلى هذه الأمور فلنوجع إلى تحليل ما جاء في رسالتكم الكريمة:

نظرة مجردة إلى روايات الحوض

قلتم:

ولاً: هذه الروايات رواها الصحابة أنفسهم رضي الله عنهم وهذا لأمانتهم وصدق إيمانهم ولو كانوا قد لتوا ما رووها.

ثانياً: المعنى: إما أنه واد به الصحابة أنفسهم جميعهم، وهذا مردود للآيات السابقة والأحاديث الصحيحة في فضلهم جميعاً وفي فضائل أوادهم.

(1) رسائل ومقالات: 155.

(2) العقيدة الإسلامية: 298.

الصفحة 138

وإما أنّ واد به بعضهم وهذا يحتاج إلى دليل قطعي، وهذا غير موجود.

وإما أنّ واد به بعض أواد الأمة وسمائهم بأصحابه لأن كل أمته أصحابه; لمشركته في دينه وفي الجنة، أي يصاحبونه فيها

فعندما يقدّم هؤلاء على حوضه، وعليهم علامة المسلمين بآثار الوضوء ويمنعون عن الحوض فيقول: أصحابي... وفي بعضها لا يقول أصحابي، وإنما يقول: ألا هلمّ، وفي بعضها بالتصغير: أصحابي، فالذي يظهر أنّ هذا هو المراد وهو الذي نعتقد.

(1) أحاديث الحوض على ما نقله الشيخان

أقول: قبل أن أجيب عن كلامكم هذا، أذكر أحاديث الحوض على ما نقله البخاري ومسلم في صحيحيهما حتى يعرف القارئ حقيقة ما ورد في الأصحاب ثم نعتب على ما ذكرت.

إنّ الروايات التي وردت في الصحيحين حول الصحابة في باب الحوض على أقسام:

1 - ما يدلّ على إحداث الصحابة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)

روى البخاري عن ابن عباس: "ألا وإنّه يجاء ورجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يربّ أصحابي، فيقال: إنك لا تنوي ماذا أحدثوا بعدك" (2).

وفي رواية أخرى: "فأقول: يربّ أصحابي! فيقال: إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك" (3).

(1) هذا الفصل أضيف قبل الطبع ولم يكن في أصل الرسالة.

(2) صحيح البخاري: ج5 ص192 (880 رقم 4625) كتاب التفسير، باب "وكنتم عليهم شهيداً"، و5: 240، (917، رقم 4770) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنبياء، باب كما بدأنا أول خلق.

(3) صحيح البخاري: ج7 ص207، (1258، رقم 6576، أخرجه مسلم برقم 2297).

الصفحة 139

وهكذا في رواية عن أنس (1). وأبي سعيد الخدري (2). وأبي هرة (3). وعن ابن المسيّب (4).

2 - ما يدلّ على ارتدادهم بعد مفارقة النبي (صلى الله عليه وآله)

روى البخاري عن ابن عباس، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يؤخذ ورجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي؟"

فيقال: إنهم لم زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فرقتهم" (5).

وفي رواية أخرى روي عن أبي هرة: "إنهم رتنوا على أدبلهم القهوي" (6).

3 - ما يدلّ على إبعادهم عن الحوض

(1) صحيح البخاري: ج7 ص207 (1259، رقم 6582، أخرجه مسلم برقم 2304)، كتاب الوفاق، باب في الحوض.

(2) صحيح البخاري: ج7 ص207 (1259، رقم 6584)، كتاب الوفاق، باب في الحوض، وج8 ص87 (1349، رقم

705051) كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى وانتوا فتنة، أخرجه مسلم رقم 2290.

(3) صحيح البخري: ج 7 ص 207 (1259، رقم 6585)، كتاب الوفاق، باب في الحوض.

(4) صحيح البخري: ج 7 ص 207 (1259، رقم 6586)، كتاب الوفاق، باب في الحوض.

(5) صحيح البخري: ج 4 ص 142، (ص 664، رقم 3447)، كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم، أخرجه مسلم

برقم 2860 وصحيح البخري: ج 4 ص 110 (640 رقم 3349) باب قول الله تعالى واتخذ الله إراهيم خليلاً، و5: 240،

(رقم 4770) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنبياء. أخرجه مسلم: ج 7 ص 157 برقم 2860.

(6) صحيح البخري: ج 7 ص 207 (1259، رقم 6585)، كتاب الوفاق، باب في الحوض.

الصفحة 140

روى مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "وأنا فوطهم على الحوض ألا ليذادَنَّ رجال عن

حوضي، كما يذاد البعير الضالّ، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً"⁽¹⁾.

وفي رواية البخري: "أنا فوطكم على الحوض ولوقعن معي رجال منكم ثم ليختلجن نوني"⁽²⁾.

ورواه مسلم أيضاً عن أم سلمة⁽³⁾.

وروى البخري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه)، عن النبيّال: "اليودن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم

اختلجوا نوني"⁽⁴⁾.

وروي ذلك عن أبي وائل أيضاً⁽⁵⁾.

4 - ما يدل على دخولهم النار

روى البخري عن أبي هريرة، عن النبيّ، قال: "بيننا أنا قائم فإذا زومة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال:

هلمّ فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم لتتوا بعدك على أدبلهم القهوي"⁽⁶⁾.

5 - ما يدل على أنه لا يخلص منهم إلا القليل

روى البخري عن أبي هريرة عن النبيّ قال: "...ثم إذا زومة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ قلت:

أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم لتتوا بعدك على أدبلهم القهوي، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل

النعم"⁽⁷⁾.

(1) صحيح مسلم: ج 1 ص 150 (رقم 249) كتاب الطهارة باب (12) باب استحباب إطالة الغوة والتحبيل في الوضوء

ح39.

(2) صحيح البخري: ج 7 ص 207، (ص 1258، رقم 6576، أخرجه مسلم برقم (2297).

(3) صحيح مسلم: ج 7 ص 67، (رقم 2295) كتاب الفضائل باب (9) باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله) ح

- (4) صحيح البخاري: ج7 ص207 (1259، رقم 6582، أخرجه مسلم برقم 2304)، كتاب الوفاق، باب في الحوض.
- (5) صحيح البخاري: ج8 ص87 (رقم 7049) كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿واتقوا فتنة﴾، وصحيح مسلم: ج7 ص71 رقم 2297.
- (6) صحيح البخاري: ج7 ص207 (1259، رقم 6587) كتاب الوفاق، باب في الحوض.
- (7) صحيح البخاري: ج7 ص207 (1259، رقم 6587) كتاب الوفاق، باب في الحوض.

الصفحة 141

6 - ما يدل على دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله) عليهم

- روى البخاري عن أبي سعيد الخُوري، عن النبي، قوله: "فأقول: إنهم مني فيقال: إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك؟ فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي"⁽¹⁾.
- وروى مسلم قريبا منه عن أبي هريرة⁽²⁾. وعن أم سلمة⁽³⁾.

ما هو المراد من الأصحاب في حديث الحوض؟

- أختلف في المراد من الأصحاب في حديث الحوض هل المراد منه هو المعنى المصطلح أي: كل من صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورآه كما عرفه أبناء أهل السنة، أو المراد منه هو المعنى اللغوي أي كل من تبعه وكان موافقا له في سلوكه؟
- قال القاضي عياض عند تأويله أحاديث الحوض: "إن أصحابه وإن شاع عرفا فيمن يلازمه من المهاجرين والأنصار، شاع استعماله لغة في كل من تبعه مؤثرا"⁽⁴⁾.

- (1) صحيح البخاري: ج7 ص207 (1259، رقم 6584)، كتاب الوفاق، باب في الحوض ج8 ص87 (1349، رقم 51).
- (2) صحيح مسلم: ج1 ص150 (رقم 249) كتاب الطهارة باب (12) باب استحباب إطالة الوضوء والتجليل في الوضوء ج39.
- (3) صحيح مسلم: ج7 ص67، (رقم 2295) كتاب الفضائل باب (9) باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله) ح29.

- (4) تحفة الأحوذى للمبل كفوري: ج9 ص6.

الصفحة 142

وَأولاً: بأنّ العواد بالوردة في هذه الروايات، ليست ردة الكفر أو الارتداد والخروج عن الإسلام؛ بل العواد بها تخلفهم عن إحدى أهم الواجبات الدينية، كما صوّح ابن الأثير في النهاية بقوله: "وفي حديث القيامة والحوض، فيقال: إنهم لم زالوا مرتدين على أدبهم القهوي، أي متخلفين عن بعض الواجبات، ولم يوردوا الكفر"⁽¹⁾.

فالعواد منها هو ترك وصية النبي (صلى الله عليه وآله) في علي وأهل بيته، كما أن العواد من الأحداث هي الوقائع والبدع التي أحدثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما سيوافيك ذلك عن واء بن عذب وأم المؤمنين عائشة وأبي سعيد الخوري.

وثانياً: إنّما الكلام في كلمة (الأصحاب) الواردة في لسان النبي (صلى الله عليه وآله)، لا الوردية في اللغة أو في لسان التابعين بعد مضيّ سنوات، فواده (صلى الله عليه وآله) منها. كلمة الأصحاب. هم الذين صحبوه ورؤوه بلاريب. وثالثاً: لو حملنا كلمة الأصحاب الواردة في لسان النبي (صلى الله عليه وآله) على مطلق من تبع النبي (صلى الله عليه وآله) فلا بدّ من حمل هذه اللفظة على هذا المعنى في عامة المورد، مثل قوله (صلى الله عليه وآله): "لا تسبوا أصحابي" و"أصحابي كالنجوم" و.... وهذا ما لا يرتضيه أحد.

ما يدل على أنّ الصحابة هم الذين صحبوا النبي (صلى الله عليه وآله) ورؤوه

ورابعاً: ملاحظة متن روايات الحوض وغيرها تثبت بأنّ العواد من الصحابة هم الذين صحبوه ورؤوه من دون شك في ذلك وإليك بعض هذه الروايات:

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر: ج2 ص214 مادة "ردد". وهكذا في لسان العرب.

الصفحة 143

1 . التصريح في بعض الروايات بكلمة "صاحبني ورآني":

ففي مسند أحمد عن أبي بكر، أنّ رسول الله قال: "ليودن علي الحوض رجال ممن صحبني ورآني، حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا نوني، فلاقولن ربّ أصحابي! أصحابي! فيقال: إنك لا تتوي ما أحدثوا بعدك؟"⁽¹⁾.

وفي صحيح مسلم عن عبد العزيز بن صهيب يحدث، قال: حدثنا أنس بن مالك أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "ليودن عليّ الحوض رجال ممن صحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ، اختلجوا نوني فلاقولن: أي رب! أصحابي أصحابي! فليقالن لي: إنك لا تتوي ما أحدثوا بعدك"⁽²⁾.

قال ابن حجر: "ولأحمد والطواني من حديث أبي بكر رفعه ليودن عليّ الحوض رجال ممن صحبني ورآني وسنده حسن. وللطواني من حديث أبي الرداء نحوه زاد: فقلت: يا رسول الله ادع أن لا يجعلني منهم، قال: لست منهم. وسنده حسن"⁽³⁾.

وفي تفسير الطوي: "والذي نفس محمد بيده ليودن عليّ الحوض ممن صحبني أوام حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا نوني فلاقولن ربّ أصحابي، أصحابي، فليقالن إنك لا تتوي ما أحدثوا بعدك"⁽⁴⁾.

(1) مسند أحمد بن حنبل: ج5 ص48 ، حديث أبي بكره نفع بن الحرث، والمصنّف لابن أبي شيبة: ج7 ص415 رقم 35، كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله محمداً (صلى الله عليه وآله)، وتاريخ دمشق: ج36 ص8، وكنز العمال: ج13 ص239 ح 36714.

(2) صحيح مسلم: ج7 ص70 ، باب إثبات حوض نبينا، وشرح مسلم للنووي: ج15 ص64.

(3) فتح البلي: ج11 ص333.

(4) جامع البيان: ج4 ص55 ، في تفسير قوله تعالى: {أمّا الذين اسودت وجوههم أكفّرتهم بعد إيمانكم}.

الصفحة 144

2 . تعبير رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن المخاطبين بالصحابه وعن الذين يأتون بعد بالإخوان:

ورد في صحيح مسلم: "عن أبي هريرة أنّ رسول الله (صلى الله عليه و سلم) أتى المقورة فقال: السلام عليكم، دار قوم

مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قدرأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمّتك يا رسول الله؟

فقال: رأيت لو أنّ رجلاً له خيل غرّ محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال:

فإنهم يأتون غواً محجلين من الوضوء، وأنا فوطهم على الحوض، ألا ليذا دنّ رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال أناديهم

ألا هلمّ، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا" (1).

وفي رواية عبد الزراق: "ثمّ يلتفت إلى أصحابه، وفيهم يومئذ الأفاضل، فيقول: أنتم خير، أم هؤلاء؟ فيقولون: فجو أن لا

يكونوا خيراً منا، . إلى أن قال: . فإنّ هؤلاء قد مضوا، وقد شهدت لهم، واني لا أوري ما تحدثون بعدي" (2).

وفي تفسير الثعالبي: "ثمّ أقبل على أصحابه فقال: هؤلاء خير منكم، قالوا: يا رسول الله! إخواننا، أسلمنا كما أسلموا،

وهاجرنا كما هاجروا، وجاهدنا كما جاهنوا، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا، كلّ فما يجعلهم خيراً منا؟

قال: هؤلاء خرجوا من الدنيا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً وخرجوا وأنا الشهيد عليهم، وأنكم قد أكلتم من أجوركم ولا أوري

ما تحدثون من بعدي؟

(1) صحيح مسلم: ج1 ص150 ، كتاب الطهارة، باب استحباب الوعة والتحجيل في الوضوء، وأحكام الجنائز للألباني:

190 ، حيث قال: أخرجه مسلم: ج1 ص150 - 151 ؛ مالك: ج1 ص49 - 50 ؛ النسائي: ج1 ص35 ؛ ابن ماجه: ج2

ص580؛ البيهقي: ج4 ص78؛ أحمد: ج2 ص300، 408.

(2) المصنّف لعبد الزراق الصنعاني: ج3 ص575 ح 6720.

الصفحة 145

قال: فلما سمعها القوم عقوها وانتفخوا بها، وقالوا إنا لمحاسبون بما أصبنا من الدنيا وأنه لمنتقص به من أجورنا" .
3 . طلب الأصحاب من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يدعو الله أن لا يجعلهم من المطرودين واستعادتهم بالله من الروع على الأعقاب:

ورد في معجم الطواني، عن أبي الرداء، قال: "قال رسول الله: لألفين ما نوزعت أحداً منكم على الحوض، فأقول: هذا من أصحابي، فيقال: إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك قال أبو الرداء: يا نبي الله، ادع الله أن لا يجعلني منهم. قال: لست منهم" (2) .

وروى الهيثمي عن أبي الرداء، قال:

"قال: رسول الله (صلى الله عليه و سلم) لألفين ما نوزعت أحداً منكم عند الحوض، فأقول: هذا من أصحابي، فيقول: إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك".

قال أبو الرداء: "يا رسول الله ادع الله أن لا يجعلني منهم، قال: لست منهم. رواه الطواني في الأوسط والزار بنحوه ورجالهما ثقات" (3) .

وهكذا استعادة ابن أبي مليكة بالله من رجوعه على الأعقاب، كما في صحيح البخاري ومسلم: عن ابن أبي مليكة، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: "قال النبي (صلى الله عليه و سلم): إنني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمي؟

(1) تفسير الثعالبي: ج 5 ص 221.

(2) (المعجم الأوسط للطواني: ج 1 ص 125 ، مسند الشاميين للطواني: ج 2 ص 317 ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 47 ص 117 وج 54 ص 76 ، والبداية والنهاية لابن كثير: ج 6 ص 231.

(3) (مجمع الزوائد: ج 9 ص 367 ، باب ما جاء في أبي الرداء رضي الله عنه، وفي ج 10 ص 365 ، رواه الطواني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح عن أبي عبد الله الأشعري وهو ثقة.

الصفحة 146

فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما وحا على أعقابهم. فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نوجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا" (1) .

وفي معجم الطواني: "فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نوجع على أعقابنا أو نغير ديننا" (2) .

4 . بكاء أبي بكر حين سمع حديث الحوض ورتداد الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله):

كما في الموطأ عن مالك، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، "أنه بلغه أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال لشهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم) فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا. وجاهدنا كما

جاهلوا. فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): بلى، ولكن لا أوري ما تحدثون بعدي؟ فبكى أبو بكر، ثم بكى، ثم قال: أننا لكائنون بعدك؟" (3).

فلو كان الرواد من الأصحاب في هذه الأحاديث، هم الذين يأتون بعد زمان الصحابة، فما معنى قوله (صلى الله عليه وآله) ممن صاحبي ورآني؟ بل ما معنى كلام أبي الرداء واستعاذة ابن أبي مليكة وبكاء أبي بكر؟

- (1) صحيح البخاري: ج7 ص209 ، كتاب الرقاق، باب في الحوض. وج8 ص86 ، كتاب الفتن، ما جاء في قول الله تعالى: "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة"، وصحيح مسلم: ج7 ص66، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا.
- (2) المعجم الكبير للطواني: ج42 ص94.
- (3) كتاب الموطأ للإمام مالك: ج2 ص461 ، ج32 ، وشوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج51 ص38 ، ومغزي الواقدي: ج1 ص310.

الصفحة 147

5. قوله (صلى الله عليه وآله) منذ فرقتهم:

كما في صحيح البخاري: "وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنهم لم زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فرقتهم" (1). وهذا صريح بأن الرواد من الصحابة هم الذين عاشوا في عصر النبي (صلى الله عليه وآله) وبقوا أحياء بعد وفاته.

6. قول رسول الله في حديث الحوض: "وكننت عليهم شهيداً ما دمت فيهم" وشهادته (صلى الله عليه وآله) على من مضى من الأصحاب:

في رواية البخاري: "ثم يؤخذ رجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي، فيقال: إنهم لم زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فرقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم، **لَوَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دَمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" (2).

وفي مصنف عبد الرزاق، عن معمر قال: "وأخبرني من سمع الحسن يقول: قال النبي (صلى الله عليه و سلم) للشهداء يوم أحد: إن هؤلاء قد مضوا، وقد شهدت عليهم، ولم يأكلوا من أجورهم شيئاً، ولكنكم تأكلون من أجوركم، ولا أوري ما تحدثون بعدي" (3).

وفيه أيضاً عن ابن جريج، قال: "حدثت أن النبي (صلى الله عليه و سلم) كان ينطلق بطوائف من أصحابه إلى دفني بقيع الرقد، فيقول: السلام عليكم يا أهل القبور، لو تعلمون مما نجاكم الله مما هو كائن بعدكم.

(1) صحيح البخاري: ج4 ص142 كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم وقيل باب نزول عيسى، وج5 ص192

باب قوله إن تعذبهم فإنهم عبادك و240 وج7 ص195.

وصحيح مسلم: ج8 ص157، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة يوم القيامة.

(2) صحيح البخاري: ج4 ص142.

(3) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج3 ص541، ح6634، وج5 ص273 ح9581.

الصفحة 148

ثم يلتفت إلى أصحابه، وفيهم يومئذ الأفاضل، فيقول: أنتم خير أم هؤلاء؟ فيقولون: فوجو أن لا يكونوا خرواً منا، هاجرنا كما هاجروا فقال: هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجرهم شيئاً، وإنكم تأكلون من أجركم، فإن هؤلاء قد مضوا، وقد شهدت لهم، وإني لا أوري ما تحدثون بعدي" (1).

قال الثعالبي في تفسيره: "وروى ابن المبارك في رقائقه من طريق الحسن عن النبي أنه خرج في أصحابه إلى بقيق الغرقد، فقال السلام عليكم يا أهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم، ثم أقبل على أصحابه فقال: هؤلاء خير منكم، قالوا: يا رسول الله إخواننا أسلمنا كما أسلموا، وهاجرنا كما هاجروا، وجاهدنا كما جاهدوا، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا، فما يجعلهم خرواً منا؟

قال: هؤلاء خرجوا من الدنيا لم يأكلوا من أجرهم شيئاً وخرجوا وأنا الشهيد عليهم، وإنكم قد أكلتم من أجركم ولا أوري ما تحدثون من بعدي؟

قال: فلما سمعها القوم عقولها وانتفخوا بها، وقالوا إننا لمحاسبون بما أصبنا من الدنيا وأنه لمنتقص به من أجورنا" (2).
وفي تزيخ المدينة لابن شبة النموي: "إن هؤلاء مضوا لم يأكلوا من أجرهم شيئاً، وشهدت عليهم، وإنكم قد أكلتم من أجركم بعدهم، ولا أوري كيف تفعلون بعدي" (3). وفي موضع آخر: "ولا أوري كيف تصنعون بعدي" (4).

(1) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج3 ص575 ح6720.

(2) تفسير الثعالبي: ج5 ص221.

(3) تزيخ المدينة لابن شبة النموي: ج1 ص94.

(4) المصدر نفسه: ج1 ص95.

الصفحة 149

وهذا يدل على أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن مطمئناً لما ينتهي إليه أمر أصحابه بعده. ولم يكن يعتقد أن مجرد صحبتهم له تدخلهم الجنان، وتجعلهم معصومين، أو أنها تكون أماناً لهم من كل حساب وعقاب، عملوا ما عملوا، وفعلوا ما فعلوا، فإن ذلك خلاف ما قرره القرآن الذي يقول: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ أُوَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ أُوَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}** (1).

7. انشغال بالرسول الله (صلى الله عليه وآله) وقلقه عما يصنع الصحابة:

(2)

مرّ قوله (صلى الله عليه وآله) في قضية بكاء أبي بكر: "لكن لا أروي ما تحدثون بعدي؟". وفي الفصل السابق في قضية شهداء أحد: "ولا أروي ما تحدثون بعدي"⁽³⁾ وفي قضية بقيع الخندق عن تفسير الثعالبي ومصنف عبد الرزاق "وإنّي لا أروي ما تحدثون بعدي"⁽⁴⁾.

و عن تزيخ المدينة: "لا أروي كيف تفعلون بعدي"⁽⁵⁾ أو "ولا أروي كيف تصنعون بعدي"⁽⁶⁾.

8. قوله (صلى الله عليه وآله) لتدادهم على الأدبار:
ورد في روايات الحوض: "أيضاً لا تنوي بما أحدثوا إنهم لرتنوا على أدبلهم القهوى"⁽⁷⁾.

(1) الزّوْلة: 7 و8.

(2) كتاب الموطأ للإمام مالك: ج2 ص461، ح32.

(3) المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني: ج3 ص541، ح6634، وج5 ص273 ح9581.

(4) تفسير الثعالبي: ج5 ص221، والمصنّف: ج3 ص575 ح6720.

(5) تزيخ المدينة لابن شبة النموي: ج1 ص94.

(6) المصدر السابق نفسه: ج1 ص95.

(7) صحيح البخاري: ج7 ص208، كتاب الرقاق، باب في الحوض.

الصفحة 150

وفي قوله تعالى: **لَوْ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرِّسَالُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**⁽¹⁾.

وكانّ هذه الأحاديث وردة مورد التفسير لهذه الآية، ومؤكّدة لتحقّق مضمونها بعد وفاته.

9. اعتراف بعض الأصحاب على إحداث الصحابة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله):

أ: اعتراف الواء بن عذب:

رواه البخاري عن محمد بن فضيل، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، قال: "لقيت الواء بن عذب رضي الله عنهما،

فقلت: طوبى لك صحبت النبي (صلى الله عليه وسلم) وبابعتته تحت الشجرة!! فقال: يا ابن أخي إنك لا تنوي ما أحدثنا

بعده"⁽²⁾.

والواء بن عذب من أكابر الصحابة ومن السابقين الأولين الذين بايعوا النبي (صلى الله عليه وآله) تحت الشجرة يشهد

على نفسه وغوه من الصحابة بأنهم أحدثوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) كي لا يغترّ بهم الناس، وأوضح بأن صحبة

النبي (صلى الله عليه وآله) ومبايعته تحت الشجرة والتي سميت ببيعة الرضوان لا تمنعان من ضلالة الصحابي ولتداده بعد

النبي (صلى الله عليه وآله).

ب: اعتراف أبي سعيد الخوري:

روى ابن عدي عن ابن أبي بكر، عن عباس: "سئل يحيى عن خلف بن خليفة، فقال: ليس به بأس، ثنا بهلول بن إسحاق، ثنا سعيد بن منصور، ثنا خلف بن خليفة، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، عن أبي سعيد الخوري، قال: قلنا له: هنيئاً لك يا أبا سعيد برؤية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحبته!! قال: أخي إنك لا تتوي ما أحدثنا بعده"⁽³⁾.

(1) آل عمران: 144.

(2) صحيح البخاري: ج 5 ص 65 ، كتاب المغلبي باب غزوة الحديبية، ومقدمة فتح البلري لابن حجر: 433.

(3) الكامل لعبد الله بن عدي: ج 3 ص 63 ، ترجمة خلف بن خليفة.



رواه ابن عساكر في تليخ مدينة دمشق وابن حجر في الإصابة في ترجمة سعد بن مالك بن سنان (1).
وإنها أيضاً لشهادة كوى من صحابي كبير، كان على الأقل صويحاً مع نفسه ومع الناس.

ج: اعتراف عائشة أم المؤمنين:

وهكذا قد اعترفت عائشة أيضاً قبل موتها بأنها قد أحدثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما روى الحاكم عن قيس بن أبي حزم، قال: "قالت عائشة وكأن تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكر فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حدثاً، أدفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" (2).

1 . معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) لهم ومعرفتهم بالنبي (صلى الله عليه وآله):

روى أبو حزم عن سهل بن سعد قال: "قال النبي (صلى الله عليه وآله): إني فوطكم على الحوض من ورد ثوب، ومن ثوب لم يظماً أبداً وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم... قال أبو حزم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم بهذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟

(1) تليخ مدينة دمشق: ج 20 ص 391، والإصابة: ج 3 ص 66.

(2) المستترك على الصحيحين: ج 4 ص 6 وصححه الذهبي أيضاً في تلخيص المستترك.

وراجع: الطبقات الكبرى: ج 8 ص 74، ترجمة عائشة، والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج 8 ص 708 (16) طبعة دار الفكر، في مسودة عائشة وطلحة والزبير، وسير أعلام النبلاء: ج 2 ص 193، في هامشه: وصححه الحاكم: ج 4 ص 6، ووافقه الذهبي.

فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخوري لسمعته يزيد فيقول: إنهم مني فقال: إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحفاً سحفاً لمن بدل بعدي". أخرجه البخاري ومسلم (1).

ومعلوم أن العواد بقوينة قوله "وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني" و"سحفاً لمن بدل بعدي" أصحابه الذين عاصروه وصحبه وبقوا بعده مدة ثم مضوا.

وهكذا في مسند أحمد: "حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا أبو عامر، ثنا زهير، عن عبد الله بن محمد، عن حوثة بن أبي سعيد الخوري، عن أبيه، قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول على هذا المنبر: ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تنفع قومه، بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة واني أيها الناس فوط لكم على الحوض، فإذا جئتم قال رجل: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان وقال آخر: أنا فلان بن فلان، قال لهم: أما النسب فقد عوفته، ولكنكم

أحدثتم بعدي ولتددتم القهوي" .

رواه أبو يعلى في مسنده⁽³⁾ والمتقي في كنز العمال⁽⁴⁾ .

قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد بن عقيل وقد وثق"⁽⁵⁾ .

(1) (جامع الأصول لابن الأثير: ج 11 ص 120 ، كتاب الحوض في ورود الناس عليه، رقم الحديث 7972 ، وصحيح البخاري: ج 7 ص 207 ، وج 8 ص 87 ، وصحيح مسلم: ج 7 ص 65 .

(2) في مسند أحمد: ج 3 ص 18 .

(3) مسند أبي يعلى الموصلي: ج 2 ص 434 .

(4) كنز العمال: ج 1 ص 387 .

(5) مجمع الزوائد: ج 10 ص 364 .

الصفحة 153

تذييل:

هل المراد من المرتدين هم أصحاب الردة؟

يمكن أن يقال: إنَّ المراد بالمرتدين هم أصحاب الردة الذين قاتلهم الخليفة أبو بكر⁽¹⁾ ، وهم معلومون فلا تصل النوبة إلى الشك والتوقف عن التمسك بتلك العمومات، ولكن هذا الاحتمال بعيد جداً؛ لمنافاته بصراحة رواية أبي هريرة التي صرحت بقولها: "فلا رآه يخلص إلا مثل همل النعم"⁽²⁾ ، وهي أبلغ كناية عن القلة، ومعنى ذلك أنها حكمت على أكثرهم بالارتداد، ومعلوم أنَّ هؤلاء المرتدين الذين حاربهم الخليفة لا يشكلون إلا أقلَّ القليل .

مع منافاة هذا الاحتمال للحقائق التي بورت من الصحابة من خوفهم واستعاذتهم وبكائهم وتصريحهم بإحداثهم وهم ليسوا من جند سجاح ولا من زمرة الأسود العنسي .

وظهر بهذا فساد ما ذهب إليه القاضي عياض بأنَّ المراد بهم من رتدَّ من الأعواب الذين أسلموا في أيامه كأصحاب مسيلمة والأسود وأضوابهم⁽³⁾ .

(1) كما ذكره ابن حجر في فتح البلي: ج 11 ص 334 ، وابن رزبهان كما في دلائل الصدق: ج 3 ص 410 .

(2) صحيح البخاري: ج 7 ص 209 ، كتاب الوفاق، باب في الحوض .

(3) تحفة الأحوذى للمبل كفوري: ج 9 ص 6 .

الصفحة 154

لماذا لم يغير رسول الله الجدر وباب الكعبة؟

أخرج البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي والنسائي وأحمد كلهم عن عائشة⁽¹⁾ واللفظ للبخاري، أنها قالت: "سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الجدر، أمن البيت هو؟ قال: نعم، فقلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاعوا ويمنعوا من شاعوا، ولو لا أن قومك حديث عهد بالجاهلية أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه في الأرض".

وفي لفظ ابن ماجه: "ولو لا أن قومك حديث عهد بكفر، مخافة أن تنفر قلوبهم". وعلق العلامة السندي على هذا الحديث في حاشيته على سنن النسائي بقوله: إن الإسلام لن يتمكن في قلوبهم. يعنى الصحابة. فلو هدمت لربما تنفروا منه⁽²⁾.

الآيات التي تثني على طوائف من الصحابة

وقد مدح الله سبحانه وتعالى في كتابه طوائف من الصحابة ونحن نذكرها على الترتيب الذي جاء في رسالتكم، ثم نقوم

بالتحليل.

آية **{والسابقون الأولون}** لا تدلّ على الثناء على جميع المهاجرين والأنصار.

(1) صحيح البخاري: ج2 ص190 ح 1584 كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، صحيح مسلم ج2 ص973 ح 405 باب جدر الكعبة، وسنن ابن ماجه ج2 ص985 باب الطواف بالحجر، وسنن الترمذي: ج3 ص224 باب ما جاء في كسر الكعبة، وسنن النسائي ج5 ص215.

(2) حاشية السندي المطوع بهامش سنن النسائي: ج5 ص215، ومسند أحمد: ج6 ص176.

الصفحة 155

الآية الأولى:

{والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}⁽¹⁾.

فقد أثنى سبحانه في هذه الآية على طوائف ثلاث:

الأولى: السابقون الأولون من المهاجرين، وهم الذين هاجروا أيام هجرة النبي أو بعدها بقليل، وبما أن لفظه (من) في **{من}**

{المهاجرين} للتبعيض، فهو يخرج المتأخرين من المهاجرين. فالآية تثني على السابقين من المهاجرين، لا على عامة

المهاجرين.

وبعبارة أخرى: إنّما يصح الاستدلال بشمول الثناء في الآية لجميع المهاجرين والأنصار إذا ثبت دليل قطعي أنّ "من"

بيانية، لا تبعيضية، وأي دليل قطعي على ذلك؟

الثانية: السابقون من الأنصار وهم الذين سبقوا في نصرة النبي بالإنفاق والإيواء، ولا يدخل مطلق الأنصار ولا أبناءهم وحلفؤهم، وذلك لأنّ تقدير الآية: والسابقون الأوّلون من الأنصار.
فالآية تنثني على السابقين الأوّلين من الأنصار لا على عامتهم.
وبما أنّ الموضوع هو السبق في الهجرة، والسبق في النصرة، فلا ينطبق العنوانان إلاّ على الذين هاجروا أو نصرّوا قبل أن يُشيّد بنيان الدين، وتهتزر آياته، وهم على أصناف:

(1) التوبة: 100.

الصفحة 156

منهم: من آمن بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) وصبر على الفتنة والبلاء، ومفرقة الديار والأموال بالهجرة إلى الحبشة أو إلى المدينة.

ومنهم: من آمن به (صلى الله عليه وآله) ونصّره وآواه وآوى أصحابه من المهاجرين، واستعدّ للدفاع عن الدين قبل وقوع الوقائع.

وهذا ينطبق على من آمن بالنبي (صلى الله عليه وآله) قبل الهجرة ثمّ هاجر قبل وقعة بدر التي منها ابتدأ ظهور الإسلام على الكفر، أو آمن بالنبي وآواه وتهيأ لنصوته عندما هاجر إلى المدينة.

فالمبدأ هو ظهور أمر النبيّ في الفزة المكيّة، والمنتهى هو قبل ظهور الإسلام وغلبته على أقوى مظاهر الشرك في المنطقة، أعني: غزوة بدر.

وعلى ضوء ذلك يتبيّن العواد من الطائفة الأخوة، أعني:

الثالثة: الذين اتّبّعوا السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار بإحسان، وهذه الطائفة عبلة عمّن أسلم بعد بدر إلى بيعة الوضوان أو إلى فتح مكّة، فلا تشمل الوافدين من العرب في العامّ التاسع الذي يطلق عليه عام الوفود.

وأما وجه الثناء على التابعين مع أنّهم ربما لم ينصروا النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) في مغزّيه، فلكونهم تضرّروا وكابوا المصاعب بفقد أقبائهم في المعرك، وربّما لحقهم بعض الأذى، والعواد من التابعين بإحسان، هم الذين صلحت

سيرتهم وسلوكهم فصاروا بعيدين عن اقتراف الذنوب، ومسئول الأخلّاق، فاتّبّعوهم بإحسان.

وأين هذه الآية من تعديل عشرة آلاف صحابيّ سجّلت أسمؤهم في المعاجم أو مائة ألف صحابيّ صحّوا النبيّ في مواقف مختلفة، ورؤوه وعاشروه؟! هذا هو المفهوم من الآية، حسب القوائن البينة.

الصفحة 157

فلنعد إلى ما ذكرتموه حول الآية ثمّ نأخذ بالتحليل:

هذا نصّ كلامكم:

"أنتى عزّ وجلّ على جميع المهاجرين وجميع الأنصار بدون قيد؛ لأنّ (أل) للعموم فيما دخلت عليه، وجميع الذين اتبعوهم بإحسان، فالمتّبعون قيدهم بالإحسان، وهذا أصل فلا يخرج أحد من المهاجرين والأنصار، إلاّ بدليل قطعي، والآية في غاية الوضوح.

ثمّ أنتى عزّ وجلّ على الذين اتبعوهم بإحسان، والذين اتبعوهم هم أهل السنة وليسوا الشيعة؛ لأنّ الشيعة ما بين مكفر لهم ودامّ لهم، أعني الشيعة الإمامية المتأخريين بدون استثناء".

1. قلتم:

<أنتى عزّ وجلّ على جميع المهاجرين وجميع الأنصار، بدون قيد، لأنّ (أل) للعموم فيما دخلت عليه>.

يلاحظ عليه: إنّ سبحانه يثني لا على عامة المهاجرين ولا على عامة الأنصار؛ بل على صنف خاصّ منهم، وهم السابقون

الأولون فحسب، ولو كان العواد الثناء على عامتهم من نون اعتبار السبق والأولية كان ذكر "السابقون الأولون" زائداً

مستترراً.

وكون اللام للعموم لا ينافي ما ذكرناه، لأنّ العواد هو العموم من هذا الصنف، لا كلّ المهاجرين والأنصار.

2. قلتم:

وهذا أصل فلا يخرج أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ بدليل قطعي>.

الصفحة 158

قلت: نعم، هذا أصل، لا في عامة المهاجرين والأنصار؛ بل في خصوص السابقين الأولين منهم، فلا يعدل عن هذا الأصل

إلاّ بدليل قطعي. مثلاً إذا دلّ دليل على أن أصحابياً من السابقين والأوليين عدل عن الحق، فيؤخذ بالدليل الثاني، فإذا دلّ الدليل

على أنّ حرث بن سويد من الصحابة البريين قتل المجذر بن زياد المسلم، يوم أحد، لتأثر جاهلي، يحكم بخروجه من الآية (1)،

أو دلّ على أنّ قدامة بن مظعون البوري، شرب الخمر (2)، وهكذا واليك...

3. قلتم:

"ثمّ أنتى عزّ وجلّ على الذين اتبعوهم بإحسان، والذين اتبعوهم هم أهل السنة"

يلاحظ عليه: أنّ قوله سبحانه: **وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ** فعل ماض يحكي عن تحقّق التبعية بإحسان عند نزول الآية،

فلا بدّ أن يكون التابعون بإحسان من جملة الصحابة، فكيف تفسرّونه بأهل السنة إلى يوم القيامة، ثمّ تخرجون الشيعة مع أن

الطائفتين خلجتان عن مفاد الجملة، وإلاّ كان اللزم أن يقول عزّ وجلّ: والذين يتبعونهم بإحسان؟

ويدلّ على ذلك: إنّ الطوائف الثلاث المذكورة في هذه الآية ذكرت في سورة الحشر على ما قدمناه وقد عبر سبحانه عن

هذه الطائفة الثالثة بالنحو التالي: **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا...!** فلو كان العواد عامة المسلمين أو طائفة

منهم، كان اللزم أن يقول: والذين يجيئون من بعدهم.

(1) الإصابة: ترجمة الحلث بن سويد الأنصلي.

(2) الاستيعاب: ج3 ص1276، باب قدامة.

الصفحة 159

اختلاف المفسرين في المراد من السابقين الأولين والتابعين لهم

4. قلت:

والآية في غاية الوضوح.

قلت: إن هذا التعبير من سماحتكم في غاية الغواية، كيف تصفون الآية بغاية الوضوح وقد اختلف المفسرون في تعيين

المراد من الآية اختلافاً شديداً؛ وسوف نذكره ليتبين مدى صحة قضائكم في معنى الآية بأنه في غاية الوضوح:

هذا ابن الجوزي الحنبلي يقول في تفسير قوله تعالى: **{وَالأُولُونَ}** ستة أقوال.

أحدها: إنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله، قاله أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة.

والثاني: إنهم الذين بايعوا رسول الله ببيعة الوضوان وهي الحديبية، قاله الشعبي.

والثالث: إنهم أهل بدر قاله عطاء بن أبي رباح.

والرابع: إنهم جميع أصحاب رسول الله حصل لهم سبق بصحبته، قال محمد بن كعب القرظي: "إن الله قد غفر لجميع

أصحاب النبي وأوجب لهم الجنة، محسنهم ومسيئهم في قوله: **{وَالأُولُونَ}**".

والخامس: إنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى، وذكره الماوردي.

الصفحة 160

والسادس: إنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى⁽¹⁾.

وقريب من هذا ما في جامع البيان لابن جرير الطوي⁽²⁾.

وهذا السيوطي، بعد أن نقل عن ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما، بأن المراد من السابقين الأولين، هم الذين صلوا

القبلتين قال: أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس: **{وَالسَّابِقُونَ الأُولُونَ مِنَ المِهَاجِرِينَ}**، قال: أبو بكر، وعمر، وعلي، وسلمان، وعمار بن ياسر⁽³⁾.

كما اختلفوا أيضاً في معنى التابعين **{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}** على أقوال عديدة، كما قال ابن الجوزي: قوله تعالى:

{اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} من قال: إن السابقين جميع الصحابة جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) >.

وقد روي عن ابن عباس، أنه قال: "والذين اتبعوهم بإحسان إلى أن تقوم الساعة".

ومن قال هم المتقدمون من الصحابة، قال: "هؤلاء اتبعوهم في طريقهم واقتنوا بهم في أفعالهم، ففضل أولئك بالسبق وإن

كانت الصحبة حاصلة للكل".

- وقال عطاء: "اتباعهم إياهم بإحسان أنهم يذكرون محاسنهم ويتوهمون عليهم"⁽⁴⁾ .
قال ابن جرير والسيوطي أيضاً: "والذين اتبعوهم بإحسان ممن بقي من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة"⁽⁵⁾ .

-
- (1) زاد المسير: ج3 ص333 ، بتحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط. دار الفكر . بيروت.
(2) تفسير الطوي: ج11 ص10 ، بتحقيق صدقي جميل العطار. ط. دار الفكر . بيروت.
(3) الدر المنثور: ج3 ص269. ط. الفتح . جدة.
(4) زاد المسير: ج3 ص333.
(5) جامع البيان: ج82 ص120 ، والدر المنثور: ج3 ص271.

الصفحة 161

وقال الثعالبي:

"وقال الشعبي: من أدرك بيعة الوضوان والذين اتبعوهم بإحسان، يريد سائر الصحابة ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الأمة لكن بشريطة الإحسان"⁽¹⁾ .

قال الشوكاني: "الذين اتبعوهم بإحسان الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة، وليس المراد بهم التابعين اصطلاحاً.

وقوله بإحسان قيد للتابعين، أي: والذين اتبعوهم متلبسين بإحسان في الأفعال، والأقوال، اقتداء منهم بالسابقين الأولين"⁽²⁾ .

بالله عليك أيها الأخ العزيز! كيف تكون الآية في غاية الوضوح مع هذا الاختلاف بين العلماء والمفسرين فيها؟

هذا كله بغض النظر عما ذهب إليه عدة من المفسرين والمؤرخين بأن المراد من السابقين هو علي بن أبي طالب، وأنه أول من أسلم، كما عن الثعلبي، والقوطبي والخطيب، وأبي نعيم، وغيرهم⁽³⁾ قال الحاكم النيسابوري: "لا أعلم خلافاً بين أصحاب التوليد أن علياً أولهم إسلاماً"⁽⁴⁾ .

(1) تفسير الثعالبي: ج3 ص208 ، بتحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة. ط. دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(2) فتح القدير: ج2 ص398 . ط. عالم الكتب . بيروت.

(3) تفسير الثعلبي (المخطوط) في تفسير الآية الشريفة، والمقتل للخوارزمي: 40 ، ط النجف، والجامع لأحكام القرآن

للوطبي: ج8 ص236 ط. القاهرة سنة 1357)، ومستدرک الصحيحين: ج3 ص183 ، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ج1 ص65،

66 ، وتاريخ بغداد: ج2 ص18 وج4 ص233 ، والصواعق المحرقة: ص159 ط المحمدية بمصر، ومجمع الزوائد للهيثمي:

ج9 ص102 ط. القاهرة 1353.

وصوح ابن تيمية في رسالة رأس الحسين، بقوله: "ثم علي وحزوة وجعفر وعبيدة بن الحرث، هم من السابقين الأولين، فهم أفضل من الطبقة الثانية من سائر القبائل" (1).

وفي الختام نحن لا نصدق كل هذه الأقوال؛ بل المختار عندنا هو ما ذكرنا سابقاً والغاية من الاستشهاد هو إثبات أن الآية ليست كما تفضلتم به: كونها في غاية الوضوح!

الآية الثانية:

آية {حَمَاءٌ بَيْنَهُمْ} لا تدل على فضل جميع الصحابة

قال الله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ وَهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانًا سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يَجْرِبُ الزَّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (2).

5. قلتم:

ذكر الله عز وجل أنه رباهم ورعاهم كما رعى النبتة التي تخرج من الأرض حتى نضجت واكتملت وأن ذلك سيكون سببا

لغيب الكفار فمن كرههم أو غاضهم لحقه الوعيد.

(1) رأس الحسين: ص23، ط. السنة المحمدية بمصر. وفي ص201 من الطبعة المحققة، بتحقيق الدكتور السيد الجميلي.

(2) الفتح: 19.

يلاحظ عليه: أن ظاهر كلامكم أنه سبحانه وتعالى في هذه الآية يصف جميع الصحابة بأنه رباهم ورعاهم، كما رعى النبتة

التي تخرج من الأرض، ولكنه غير تام للوجه الآتية:

أ. هل الواد من قوله سبحانه: {وَالَّذِينَ مَعَهُ} هو المعية الجسمانية أو أن الواد هو المعية الووحية، فتطبق على الذين

كانوا معه في صلابة الإيمان والعقيدة والعمل والسوة؟ وبما أنه لا قيمة للجسم في المعية، تختص الآية بالطائفة الثانية، ولم

يكن كل الصحابة على هذا النمط، بدليل الأصناف العشرة التي قدمنا عناوينها وذكرنا موضع الآيات ورقامها.

ب. إنه سبحانه يذكر من سماتهم أنهم {حَمَاءٌ بَيْنَهُمْ} فهل كان الصحابة عامة موصوفين بهذا الوصف، أو أنهم قاتل

بعضهم بعضاً؟ فكم من بوري قتل بيد الصحابة، فهذا هو مقتل الخليفة الثالث وحروب الناكثين والقاسطين والملقين، قتل فيها

كثير من الصحابة بيد الصحابة.

ج. ومن سماتهم أيضاً {سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}، فهل كان هذا الوصف متوقفاً في عامة الصحابة؟

د . نحن لو افترضنا وجود هذه السمات في عامّة الصحابة، ولكن ذيل الآية يشهد على أنّ الثناء على قسم منهم بقوله

سبحانه: **قَوْلَهُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفُورَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** .

لفظة "من" في قوله "منهم" للتبويض وما يقال من أن (من) بيانية غير صحيح؛ لأنها لا تدخل على الضمير مطلقاً في

كلامهم وإنما تدخل على الاسم الظاهر كما في قوله: **{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْإِثْمَانِ}** .⁽¹⁾

(1) الحج: 30.

الصفحة 164

الآية الثالثة:

آية {وَاهْجُرُوا وَجَاهِنُوا} تُدَلُّ عَلَى الثَّناء عَلَى قِسم مِنَ الصَّحابة

وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... إِلَى**

أَنَّ قَالَ: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهِنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفُورَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} .⁽¹⁾

أقول: إنّ مفاد الآية قريب مما جاء في سورة الحشر التي تقدّمت سابقاً، وهي تصف معشراً من الصحابة وتثني عليهم، لا

على جميعهم، وإليك مقاطع من الآية يوضح ما ذكرنا:

1. **{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهِنُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}** ، فالمراد هم السابقون الأولون، لا مطلق من

هاجر وجاهد؛ بشهادة ذكر الهجرة في الصنف الثالث كما سيوافيك، وهذه قينة على أنّ المراد هم السابقون في الهجرة، لا

مطلق من هاجر .

2. **{وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا}** ، والمراد هم الأنصار الذين آووا، وهذا مختصّ بمن نصر وآوى وقد انقطع الإيواء بترحيل

بني النضير عن أراضي يثوب، في السنة الرابعة؛ فإنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قسم أراضيهم بين المهاجرين في تلك

السنة، فاستغنوا بذلك عن إيواء الأنصار .

(1) الأنفال: 72 . 75.

الصفحة 165

3. **{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ بَعْدَ وَهَاجَرُوا وَجَاهِنُوا مَعَكُمْ}** ، والمراد هم الذين آمنوا وهاجروا وجاهنوا بعد السابقين الأولين،

فيشير هذا المقطع من الآية إلى ما ورد في الآية الأولى، أعني قوله: **{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}** ⁽¹⁾ ، وبما أنّ الهجرة قد

انقطعت بعد الفتح فالآية لا تثني على الطلقاء، ولا أبناء الطلقاء، ولا الأعواب، ولا الذين آمنوا بعد الفتح . فيتحد مفاده، مع قوله

سبحانه: **{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}** .

فهذه الآيات الثلاثة تثبت أنّ الصحابة كالتابعين، فيهم العادل، وغير العادل، لا أنهم كلّهم عدول، ولا كلّهم فسقة.

6 . قلتّم:

"أو ليس هذا ثناء من الله عزّ وجلّ على المهاجرين والأنصار وتأكيد إيمانهم".

نقول: كيف يكون ثناء على كلّ المهاجرين والأنصار؟ بل هو ثناء على السابقين منهم، والذين اتبعوهم بإحسان، وعندئذ لو دلّ دليل على عدم التبعية أو شككنا في كونه تابعا بإحسان، فالآية لا تكون دليلا على العدالة في مورد الشك، فإذا كان قيد الموضوع (بالإحسان) مشكوكاً فيه، لا يحكم بالدخول؛ لأنّ الحكم لا يثبت موضوعه، كما بينّ في علم الأصول، نعم لو أحرزت التبعية بإحسان لشمّلتها الآية.

(1) التوبة: 10.

الصفحة 166

الآية الرابعة:

وعد الله سبحانه بالحسنى مشروط بحسن خواتيم العمل

قال الله تعالى: **{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ رَجَاءَ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَوَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى} (1)**.

7 . قلتّم:

(هذه الآية الكريمة تمدح الذين آمنوا قبل الفتح، وأنفقوا في سبيل الله، وقاتلوا لإعلاء كلمة الله عزّ وجلّ، وأنّ من لحقهم بعد ذلك لا يبرك فضلهم، وهذه شهادة عظيمة من الله عزّ وجلّ).

يلاحظ عليه: إنّ الآية تدلّ على عدم التسوية بين الفويقين، وهذا مما لا ريب فيه، كما يدلّ على أنه سبحانه وعد الكلّ الحسنى، غير أنّ وعده سبحانه بالحسنى مشروط بحسن خواتيم العمل، فإنّ سبحانه وعد كلّ من عمل صالحاً بالحسنى ولكن بشروط أن يكون باقياً على ما كان عليه.

وقد دلّ الذكر الحكيم على أنّ رجالاً مؤمنين انقلبوا على أعقابهم بعد فؤة، يقول سبحانه:

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَالِينَ} (2).

فالآية تخبر عن مصير من أوتي الآيات، ولكنّه انسلخ منها، فمن وعده الله سبحانه الحسنى في الآية ليس بأفضل من هذا الرجل الذي بلغ في العلم والعمل مكاناً نال بموجبه آية من آيات الله سبحانه وقدزلتّ قدماءه في آخر حياته.

(1) الحديد: 10.

(2) الأعراف: 175.

وقد عقد البخري في صحيحه باباً باسم العمل بالخواتيم (1) فطالعوا ما ورد فيه من الروايات رزقنا الله سبحانه حسن العاقبة.

الآية الخامسة:

آية {الْفُقَّوَاءَ الْمُهَاجِرِينَ} لا تتني على عامة الصحابة; بل على فريق منهم

قال سبحانه: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَتَصَرَّوْنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ

الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا

وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا اغْفِرْ لِدَاوِلْ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (2)

فهذه الآيات الثلاث نظير ما تقدّم من الآيات لا تتني على عامة الصحابة; بل على فريق منهم.

أما المهاجرون، فتنتمي على فوائهم بشرط أن تتوفر فيهم الصفات التالية:

أ: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ}.

ب: {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}.

ج: {وَيَتَصَرَّوْنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ}.

(1) صحيح البخري: ج 7 ص 212، كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم.

(2) الحشر: 8 . 10.

فمن تمتع بهذه الصفات الثلاث من المهاجرين فقد أثنى القرآن عليه، وبما أن من أبرز صفاتهم، كونهم مشردين من ديارهم

وأموالهم، فيكون المقصود هم الذين هاجروا قبل وقعة بدر.

وأما الأنصار فإنما تنتمي على من تمتع بالصفات التالية:

أ: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أي: آمنوا بالله ورسوله، فخرج بذلك من أتهم بالنفاق وكان في الواقع منافقاً.

ب: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

ج: {وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

وبما أن من أبرز صفاتهم، هو إيواء المهاجرين والأنصار، وإيثارهم على الأنفس، فيكون العواد من آمنوا بالنبي وآووه وآووا

المهاجرين، فينطبق على من آمن ولوى قبل غزوة بدر; لانتقاء الإيواء بعدها، خصوصاً بعد إجلاء "بني النضير" غب معركة

"أحد"; حيث خرجوا تاركين قلاعهم، وأموالهم، وأسلحتهم، فوعدت بأيدي المسلمين.

وأما التابعون لهم، أعني: الذين جاؤا بعدهم، فإنما أثنى على من تمتع منهم بالصفات التالية:

أ: **{يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}**.

ب: **{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا}**.

فالأيات الواردة في سورة الحشر، تتحد مضموناً مع ما ورد في سورة التوبة، ولا تختلف.

الصفحة 169

فالاستدلال بهذه الآية على أنّ القرآن أثنى على الصحابة جميعهم من أولهم إلى آخرهم . الذين ربما جاوز عددهم المائة ألف . غفلة عن مفاد الآيات، فأين الدعاء والثناء على لفيق من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم المتمتعين بخصوصيات معينة،

من الثناء على الطلقاء والأعواب وأبناء الطلقاء والمتهمين بالنفاق!؟

8 . قلت:

"أريت هذا التقسيم العجيب لطوائف المؤمنين:

مهاجرون .

أنصار .

متبعون، يحبونهم ويدعون لهم ولا يكرهونهم .

أين مكان الإمامية هنا؟؟ وأين مكان أهل السنة هنا؟

قولكم: "مهاجرون"، والصحيح: (المهاجرون الأولون السابقون); لأنه سبحانه يصفهم بقوله: **{الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ}** فأين

مطلق المهاجرين من هذه الآية؟

قولكم: "أنصار" والصحيح، (السابقون الأولون من الأنصار); لأنه سبحانه يصفهم بقوله: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ**

قَبْلِهِمْ} وليس كل أنصاري لوى المهاجرين، بل انقطع الإيواء بعد أجلاء بني النضير، كما مرّ، فمن آمن من الأنصار من بعده،

فهو خرج من مدلول الآية.

قولكم: "متبعون يحبونهم ويدعون لهم ولا يكرهونهم"، والصحيح: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا...}**.

الصفحة 170

الشيعة والسنة صنوان على أصل واحد:

كلمة حادة:

ثم إنكم ذكروتم في ذيل كلامكم هاتين الجملتين:

أين مكان الإمامية هنا؟؟

وأين مكان أهل السنة هنا؟

قد تعرّفتم أنّ الطائفتين غير داخلتين في هذه الآية، فالسؤال ساقط بعد الموضوع; فإنّ المقابلة بين الطائفتين يعرب عن أنّهما

طائفتان متضادتان لا تشتركان في أصل أو أصول وأنهما كعسكري الشرق والغرب لكل (أيدولوجية) خاصة، وليست الشيعة إلا نفس المسلمين الأوّل الذين بقوا على وصية الرسول في حق أهل بيته، وليست السنة إلا نفس المسلمين الأوّل، ولكنهم خالفوا وصية الرسول ولم ينفوا وصيته في حقّ عليّ وأهل بيته، ولو أغمضنا عن ذلك فالطائفتان صنوان على أصل واحد.

إلى هنا تبين مفاد الآيات وأنّ الإمامية لا تخالفها، قيد شوة لا تبغض الصحابي، والصحابية؛ ولكن لا تعتقد بعدالة الكل وتقول: إنّ وزانهم كوزان التابعين.

الاستدلال بالسنة

9. قلتم:

عن أبي سعيد الخوري، قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تسوّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه"⁽¹⁾.

(1) البخاري: ج3 ص1343 ح3470؛ صحيح مسلم: ج4 ص1967 ح2540.

الصفحة 171

أقول: إنّ الحديث أوضح دليل على أنّ بعض الصحابة يسبّ بعضهم، ولأجل ذلك نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالداً لسبّه عبد الرحمن بن عوف، وكلاهما من الصحابة، وهذا أظهر دليل على عدم عدالة الكل بوصف الكلية. وهذا هو سعد بن عبادة سيّد الخزرج، يخاطب سعد بن معاذ بقوله: "كذبت لعمر الله، وهذا هو أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، يخاطب سعد بن عبادة بقوله: لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق"⁽¹⁾.

غير أنّ المهم هو التوفيق بين سبّ الصحابة ونقد حياتهم، فأسلوب السبّ والشتم غير أسلوب النقد، فالأول: وليد العصبية ونتاج الغيظ والحقد والهوى، وأمّا الثاني: فهو قائم على أسس صحيحة ومولّين سليمة، وهو قبلة الطالبين للحقيقة. 1. قلتم:

عن عبد الرحمن بن عمر (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "خير الناس قوني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم..."⁽²⁾.

إنّ هذا الحديث مهما صحّ سنده وإنّ رواه الإمام البخاري يخالف الواقع الملموس من تزيخ الصحابة والتابعين، ونحن نعوض النظر عن تزيخ الصحابة ونعطف النظر إلى قوله: "ثمّ الذين يلونهم"، فالمراد منهم التابعون، وفيهم الأمويّون، فهل يمكن أن نعدّ عصر الأمويّين خير القرون؟! وقد لوتوا وجه الأرض بدماء الأبرياء، وقتلوا سبط النبي (صلى الله عليه وآله) عطشاناً في كربلاء، وذبحوا ولادته وأصحابه وسوا النساء، وهتكوا حرمة الكعبة.

(1) البخاري، صحيح البخاري: ج3 ص156، تفسير سورة النور، حديث الإفك.

وهذا هو الحجاج صنيعاً أيديهم اقترف من الحرائم البشعة ما يندى لها جبين الإنسانية، ولا أطيل الكلام في ذلك، والتاريخ خير شاهد على كذب هذه الرواية ووضعها من قبل سماوسة الحديث، لتطهير الجهاز الحاكم الأموي مما ارتكبه.

ويكفي في ذلك ما علّقه أبو المعالي الجويني على هذا الحديث قائلاً:

"ومما يدل على بطلانه، أنّ القرن الذي جاء من بعده بخمسين سنة، شرّ قرون الدنيا، هو أحد القرون التي ذكروها في النص، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصرت مكّة، ونقضت الكعبة وشربت خلفؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوّة الخمر، وارتكوا الفجور، كما جرى لزيد بن معاوية، ولزيد بن عاتكة، وللوليد بن يزيد، ورأقت الدماء الحرام، وقتل المسلمون وسبوا الحريم، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونفش على أيديهم كما ينقش على أيدي الروم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج.

وإذا تأملت كتب التاريخ وجدت الخمسين الثانية، شراً كلّها، لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنة، فكيف يصحّ هذا الخبر" (1).

نظرات في اتجاهات أهل السنة والشيعة ومناهجهم

قلتم: عند ذكر "نظرات في اتجاهات أهل السنة والشيعة ومناهجهم": والشيعة يفهم من عقيدتهم أنّ النبيّ بعث إلى علي رضي الله عنه)، وأنّ الله عزّ وجلّ قد أمر وأعاد في الوصية لعلّي وأنّ الأمر بالإبلاغ أي إبلاغ الوصية، فلا يجوز أخذ العلم إلاّ منه (رضي الله عنه) إذن كلّ الدين المبلّغ من غيره ليس ديناً.

(1) ابن أبي الحديد، شوح نهج البلاغة: ج 20 ص 29، والرسالة مبسوطة جدوة بالمطالعة.

حديث الوصاية تثبت منهج الإمامية

أقول: إنّ كان المراد من قولكم: أنّ الشيعة تعتقد بأنّ رسول الله قد بعث إلى علي وحده دون غيره، فهو باطل لم يذهب له أحد حتّى العوام من الشيعة.

وإنّ كان المراد بأنّ علياً هو الذي توبى على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو ثروة جهوده ومستودع علومه وتعاليمه والمتبّع لسننه وآدابه، فكان وصية والقائم مقامه من بعده فهذا هو الحقّ الذي تدلّ عليه الأخبار النبوية الصحيحة والآثار الثابتة عن الصحابة فقد وصف فيها بالوصاية والوراثة وإليك نماذج منها:

روى الطواني بإسناده عن سلمان، قال: "قلت يا رسول الله: إنّ لكلّ نبيّ وصياً قمن وصيك؟". إلى أن قال: . فإنّ وصيي

وموضع سوّي وخير من أتوك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني، عليّ بن أبي طالب" (1).

وروى أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: "قال وصيّي، وورثي، يقضي ديني، وينجز مواعيدي، عليّ بن أبي طالب"⁽²⁾. روى ابن عساكر عن برويدة، عن النبي (صلى الله عليه وآله): "لكلّ نبيّ وصيٌّ وورث، وإنّ عليّاً وصيّي وورثي"⁽³⁾.

- (1) المعجم الكبير: ج 6 ص 221، مجمع الزوائد: ج 9 ص 113، فتح الباري: ج 8 ص 114.
- (2) فضائل الصحابة: ج 2 ص 615 ح 1052، نشر جامعة أمّ القوي. بمكة المكرمة.
- (3) تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 392، المناقب للخوارزمي: ج 42، و 85.

الصفحة 174

روى الطواني عن الحسن بن علي (عليهما السلام)، قال: "خطب الحسن بن علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليّاً (رضي الله عنه) خاتم الأوصياء ووصي خاتم الأنبياء"⁽¹⁾.
رواه الهيثمي، وتعقبه قائلانورواه أحمد باختصار كثير واسناد أحمد وبعض طرق الزائر والطواني في الكبير حسان وروى قوياً منه أبو نعيم عن أنس⁽³⁾.

وروى الطواني عن علي بن علي الهلالي، عن أبيه، قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام): "وصيّي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك"⁽⁴⁾.
قال الهيثمي: "رواه الطواني في الكبير والأوسط، وفيه الهيثم بن حبيب قال أبو حاتم: منكر الحديث وهو متهم بهذا الحديث"⁽⁵⁾.

وقال في حديث آخر فيه الهيثم: "وأما الهيثم بن حبيب فلم أر من تكلم فيه غير الذهبي اتهمه بخبر رواه وقد وثقه ابن حبان"⁽⁶⁾.

فيقع التعرض بين روح أبي حاتم. وتبعه الذهبي. وتوثيق ابن حبان؛ لأنّ الذهبي قال في أبي حاتم وإذا ليين رجلاً أو قال فيه: لا يحتجّ به، فتوقّف حتى ترى ما قال غوه فيه، فإن وثقه أحد فلا تبني على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنّت في الرجال⁽⁷⁾.

- (1) المعجم الأوسط: ج 2 ص 336.
- (2) مجمع الزوائد: ج 9 ص 146.
- (3) حلية الأولياء: ج 1 ص 63، المناقب للخوارزمي: ج 42، تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 386.
- (4) المعجم الأوسط: ج 6 ص 327. المعجم الكبير: ج 3 ص 57، تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 130.
- (5) مجمع الزوائد: ج 9 ص 166.
- (6) مجمع الزوائد: ج 3 ص 190.

مضافاً إلى أنّ التضعيف الذي لم يذكر له مستند فغير مقبول.

كما قال النووي ولا يقبل الجرح إلاّ مفسواً، وهو أن يذكر السبب الذي به جرح، ولأنّ الناس يختلفون فيما يفسق به الإنسان، ولعلّ من شهد بفسقه شهد على اعتقاده⁽¹⁾ . وقريب منه عن ابن قدامة⁽²⁾ .

قال ابن حجر بعد تضعيف الدلقطني، يزيد بن أبي مريم: "هذا جرح غير مفسّر، فهو مردود"⁽³⁾ .

قال الخطيب: "سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطوي يقول: لا يقبل الجرح إلاّ مفسواً وليس قول أصحاب الحديث فلان ضعيف، وفلان ليس بشي، ممّا يوجب جرحه وردّ خوه، وانمّا كان كذلك لأنّ الناس اختلفوا فيما يفسق به، فلا بدّ من ذكر سببه لينظر هل هو فسق أم لا؟ قلت: وهذا القول هو الصواب عندنا واليه ذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقّاده مثل محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغوهما"⁽⁴⁾ .

حديث الوصاية في كلمات الأصحاب والتابعين

و قد تواتر عن الصحابة واللغوئين، إطلاق الوصيّ على علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما مرّ في رواية الطواني وغوه عن سلمان الفلسي⁽⁵⁾ ، وهكذا عن أبي أيّوب الأنصري⁽⁶⁾ وعليّ المكي الهلالي⁽⁷⁾ .

(1) المجموع: ج20 ص136 ونحوه في شرح مسلم: ج10 ص181.

(2) المغني: ج11 ص423.

(3) مقدمة فتح الباري: 453.

(4) الكفاية في علم الرواية: 135.

(5) المعجم الكبير: ج6 ص221 ، مجمع الزوائد: ج9 ص113، فضائل الصحابة: ج2 ص615 ح1052.

(6) المعجم الكبير: ج4 ص171 ، مجمع الزوائد: ج8 ص253.

(7) المعجم الكبير: ج3 ص57، المعجم الصغير: ج6 ص327 ؛ تزيخ مدينة دمشق: ج42 ص130.



وروى الخوارزمي عن علي(عليه السلام)، قال لعدّة أرسلهم معلوية إلى علي(عليه السلام): "معاشر الناس أنا أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصية"⁽¹⁾ .

وهكذا في كتابه(عليه السلام)إلى أهل مصر⁽²⁾ وفي احتجاجه على الخوارج⁽³⁾ ، وفي خطبته بعد انصافه من صفين⁽⁴⁾ .

وروى الحاكم والهيثمى عن الإمام الحسن(عليه السلام)⁽⁵⁾ ، وابن الأثير والطوي عن الإمام الحسين(عليه السلام)⁽⁶⁾ .

وروى ابن عساكر عن بريدة بن الحصيب بن عبد الله⁽⁷⁾ ، والخوارزمي عن ابن مردويه، عن أم سلمة⁽⁸⁾ ، والكنجي الشافعي وابن الصباغ المالكي عن أبي سعيد الخدري⁽⁹⁾ ، وأبي نعيم وغره عن أنس بن مالك⁽¹⁰⁾ ، واليعقوبي عن مالك بن الحارث الأشتر⁽¹¹⁾ ، والخوارزمي عن عمرو بن العاص⁽¹²⁾ والقنوزي عن عمر بن الخطاب⁽¹³⁾ ، والمسعودي عن ابن عباس⁽¹⁴⁾ .

(1) المناقب: ص222.

(2) شوح ابن أبي الحديد: ج6 ص71.

(3) تزيخ اليعقوبي: ج2 ص193.

(4) نهج البلاغة خطبة 2 ، شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج1 ص138.

(5) المستترك: ج3 ص172 ، مجمع الزوائد للهيثمى: ج9 ص146 عن الطواني وغره.

(6) الكامل لابن أثير: ج3 ص287 ط. المنويّة. مصر؛ تزيخ الطوي: ج4 ص322 ، ط. مؤسسة الأعلمي . بيروت،

أحداث سنة 61 هـ.

(7) تزيخ مدينة دمشق: ج42 ص392.

(8) مناقب الخوارزمي: 147، بتحقيق المحمودي.

(9) البيان للكنجي الشافعي: 501، الباب التاسع، الفصول المهمة: 295، الفصل الثاني عشر.

(10) حلية الأولياء: ج1 ص63 مناقب للخوارزمي: 42 ، تزيخ مدينة دمشق: ج42 ص386.

(11) تزيخ اليعقوبي: ج2 ص178.

(12) مناقب الخوارزمي: 199 . بتحقيق المحمودي، ط. مؤسسة النشر الإسلامي.

(13) ينابيع المودة: ج2 ص75.

(14) مروج الذهب: ج3 ص8.

(1) وهكذا روى الذهبي وابن حجر عن جابر بن يزيد الجعفي .

والعجب من الغزي، حيث روى عن سعيد بن منصور، قال: قال لي ابن عيينة: سمعت من جابر ستين حديثاً ما أستحل أن أروي عنه شيئاً، يقول: حدثني وصي الأوصياء. إلى أن قال: أقل ما في أمره أن يكون حديثه لا يحتج به، إلا أن يروي حديثاً يشركه فيه الثقات (2).

أقول: ما هو مراده من مشركة الثقات إياه؟ هل مراده أمثال حريز بن عثمان الحمصي؟ وهو من رجال البخاري، والأربعة (3) الذي يروي الغزي عن أحمد بن حنبل بأنه ثقة، ثقة، ثقة، وثقة، وليس بالشام أثبت من حريز. وهكذا نقل وثاقته عن يحيى بن معين والمديني والعجلي (4).

مع أنه كان يلعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) صباحاً ومساءً، كما قال ابن حبان فيه: كان يلعن علياً بالأعداء سبعين مرة، وبالعشي سبعين مرة، فقيل له في ذلك؟ فقال: هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي (5).
أو المراد من الثقات هو مثل إواهيم بن يعقوب الجوزجاني من أئمة الحرح والتعديل عند أهل السنة ومن رجال أبي داود، والترمذي والنسائي؟

-
- (1) (مزان الاعتدال: ج1 ص383 ، ترجمة جابر، تهذيب التهذيب: ج2 ص43 ، ويلاحظ ترجمة الحاكم النيسابوري في لسان المزان.
(2) تهذيب الكمال: ج4 ص470.
(3) تهذيب التهذيب: ج2 ص207.
(4) تهذيب الكمال: ج5 ص572، 573، 576.
(5) (المجروحين: ج1 ص268 ، هامش تهذيب الكمال: ج5 ص579 ، تهذيب التهذيب: ج2 ص210 ، الأنساب للسمعاني: ج3 ص50 مادة "الرحبي".

الصفحة 178

قال الغزي: إن أحمد بن حنبل يكرمه إكراماً شديداً وقال النسائي: ثقة، وقال الدارقطني: من الحفاظ المصنفين والمخوجين الثقات... وعدّه ابن حبان في الثقات، مع ذكوه بأنه كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل على علي وكان فيه انحراف عن علي (1) ، وقال ابن حجر في ترجمة (مصدع أبو يحيى الأعوج) والجوزجاني مشهور بالنصب والانحراف (2).
أو خالد بن عبد الله القسوي الذي روى عنه البخاري في خلق أفعال العباد وأبي داود (3) ، ذكوه ابن حبان في الثقات (4) ، قال أبو الفرج: "إن خالد القسوي أحد ولاية بني أمية طلب من أحدهم أن يكتب له السورة، فقال الكاتب: فإنه يمرّ بي الشيء من سورة علي بن أبي طالب أفأذكوه؟ فقال خالد: لا! إلا أن تراه في قعر جهنم!!" (5) ، قال ابن كثير: قال ابن خلكان: كان متهماً في دينه وقد بنى لأمه كنيسة في دره" (6).

أو عمران بن حطان من رجال البخاري وأبي داود والنسائي... قال العجلي: بصوي، تابعي، ثقة، وقال أبو داود: ليس في (7)

أهل الأهواء أصحّ حديثاً من الخورج، ثمّ ذكر عمران هذا وغوه... وذكره ابن حبان في الثقات .

- (1) تهذيب الكمال: ج2 ص249، تهذيب التهذيب: ج1 ص159 ترجمة الرجل.
- (2) تهذيب التهذيب: ج10 ص143.
- (3) تهذيب التهذيب: ج3 ص88.
- (4) الثقات: ج6 ص256.
- (5) الأغاني: ج21 ص25، طبعة بيروت . دار الفكر.
- (6) البداية والنهاية: ج10 ص23 ، بتحقيق علي الشوي، ط. دار إحياء التراث العربي . بيروت.
- (7) تهذيب التهذيب: ج8 ص113؛ تهذيب الكمال: ج22 ص322.

الصفحة 179

مع أنّ العقيلي صوّح بأنّ عمران بن حطان كان من الخورج⁽¹⁾ وهو المادح لابن ملجم بقوله المشهور:
يا ضوبة من تقي ما رُاد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضواناً⁽²⁾
قال ابن كثير: "وقد امتدح ابن ملجم بعض الخورج المتأخّرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد
ممن يروي عن عائشة، في صحيح البخاري فقال فيه: يا ضوبة من تقي..."⁽³⁾
قال ابن قدامة بعد نقل شعر عمران بن حطان في مدح قاتل علي بن أبي طالب: "وقد عرف من مذهب الخورج تكفير كثير
من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم وأموالهم واعتقاد التقرب بقتلهم إلى ربّهم"⁽⁴⁾
هؤلاء قسم من ثقات أهل السنة ورواة الصحاح السنة وكم لهم من نظير!!!

هناك وقفات وأسئلة؟

يا أخي العزيز! قد كان ببالي عدّة أسئلة، كلّما سألت إخواننا أهل السنة فلم يجيبوني بما تقنع به نفسي وأنفحصّ عنم يجيبني
متجرّداً عن العصبية ومستندا إلى الأدلة فأقول:

- (1) الضعفاء للعقيلي: ج2 ص204.
- (2) الاستيعاب بهامش الإصابة: ج3 ص62 ، تزيخ مدينة دمشق: ج43 ص495 ، سير أعلام النبلاء: ج4 ص215،
الإصابة: ج5 ص232 ، ترجمة الرجل.
- (3) البداية والنهاية: ج7 ص364.
- (4) المغني: ج10 ص85.

الصفحة 180

1 . كيف يوثق من سبّ علياً (عليه السلام)؟

كيف يمكن توثيق من لعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الرواية عنه في الصحاح التي هي الملاك في سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) والمدار في استنباط الأحكام؟

فأين ذهب قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من سبّ علياً فقد سبني".

وكيف خفي عنهم ما ورد عن أم سلمة، قالت لعبد الله الجدلي: أيسب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فيكم؟ قلت معاذ الله!! أو سبحان الله!! أو كلمة نحوها! قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول: من سبّ علياً فقد سبني⁽¹⁾. رواه الحاكم قائلاً: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه⁽²⁾ رواه الهيثمي وتعقبه زواه أحمد ورجال رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة⁽³⁾.

وما رواه الطواني عنها، قالت: "أيسب رسول الله فيكم على رؤوس الناس؟ فقلت: سبحان الله! وأنى يسب رسول الله؟ فقالت: أليس يسبّ علي بن أبي طالب ومن يحبه، فأشهد أن رسول الله كان يحبه"⁽⁴⁾.

قال الهيثمي: "رواه الطواني في الثلاثة وأبو يعلى ورجال الطواني رجال الصحيح غير أبي عبد الله وهو ثقة. وروى الطواني بعده بإسناد رجاله ثقات إلى أم سلمة عن النبي قال مثله"⁽⁵⁾.

(1) مسند أحمد: ج 6 ص 323 ؛ السنن الكوى، النسائي: ج 5 ص 133 ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: 99 ، فيض القدير للمنوي: ج 6 ص 190 ، تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 266 ، 533 ، أنساب الأشراف للبلازوي: 182.

(2) المستترك: ج 3 ص 121.

(3) مجمع الزوائد: ج 9 ص 130.

(4) المعجم الصغير: ج 2 ص 21 ، المعجم الأوسط: ج 6 ص 74 ، المعجم الكبير: ج 23 ص 323 ، مسند أبي يعلى: ج 12 ص 444 ، تزيخ بغداد: ج 7 ص 413 ، تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 267 ، المناقب للخوارزمي: 149 ، البداية والنهاية: ج 7 ص 391.

(5) مجمع الزوائد: ج 9 ص 130.

الصفحة 181

وما ذكوه ابن عبدربه عن أم سلمة زوج النبي إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله. فلم يلتفت إلى كلامها⁽¹⁾.

وبعد ذلك كله فانظر ما قيمة كلام ابن كثير، قائلاً: أسانيدنا كلها ضعيفة لا يحتج بها!⁽²⁾ فهل هذا إلّا جرح غير مفسر

مردود، ويا ليتته كان يعين أي من الرواة كان ضعيفاً فصلت الرواية به ضعيفة!

ولكنه قد نقل بعد ذلك: ما رواه مسلم عن زرّ بن حبيش قال: "سمعت علياً يقول: والذي فلق الحبة ورأى النسمة إنه لعهد

(3)

النبيّالي أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، ثم قال: وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم .

2 . كيف أفتي بقتل من سبّ أبا بكر ووثق من سبّ علياً (عليه السلام)؟

ما فوق بين علي بن أبي طالب وأبي بكر وعمر؟ حيث إنهم وثقوا من سبّ علياً (عليه السلام)!! ولكن حكموا بكفر من سبّ أبا بكر وعمر، وأفتوا بقتلهم؛ كما عن الفريابي: "من شتم أبا بكر فهو كافر، لا أصلي عليه، قيل له: فكيف تصنع به وهو يقول لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم لفعوه بالخشب حتى توروه في حوته"⁽⁴⁾ .

(1) (العقد الفريد: ج 5 ص 108 ، بتحقيق محمد سعيد العويان، ط. مكتبة الواضح الحديثية. (ج 2 ص 301، ج 4 ص 366)،

الوثائق السياسيّة والإدليّة العائدة للعصر الأموي: 166 ، للفاضل المعاصر الدكتور محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة .

بيروت.

(2) البداية والنهاية: ج 7 ص 391.

(3) البداية والنهاية: ج 7 ص 391.

(4) (المغني لابن قدامة: ج 2 ص 419 ، بتحقيق جماعة من العلماء، طبعة دار الكتاب العربي . بيروت، والشروح الكبير له:

ج 10 ص 64 ، الصلح المسلول لابن تيمية: 575.

الصفحة 182

3 . هل خرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الصحابة؟

هل إنَّ علي بن أبي طالب لم يكن من الصحابة؟ حتى يشمله فتوى أبي زرعة: "إذ رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) فاعلم أنه زنديق"⁽¹⁾ . وقول السرخسي: "من طعن فيهم فهو ملحد، منابذ للإسلام، نوؤه السيف، إن لم يتب"⁽²⁾ .

أو أنهم أفتوا بذلك لتكون وسيلة لقتل الشيعة فقط؟ كما قال ابن الأثير في حوادث (سنة 47 هـ): وفي هذه السنة قتلت الشيعة في جميع بلاد أفريقيا وجعل سبب ذلك اتّهامهم بسبّ الشيخين⁽³⁾ .

ولكن غير الشيعة حرّ في سبّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشتمه ولعنه في أعقاب الصلوات في الجمعة والجماعات، وعلى صهوات المنابر في شوق الأرض وغربها، حتّى في مهبط وحي الله، كما قال الحموي: "لُعْن علي بن أبي طالب على منابر الشوق والغرب... منابر الحرمين مكّة والمدينة"⁽⁴⁾ .

قال الرّمخثوري والحافظ السيوطي: "إنّه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية من ذلك"⁽⁵⁾ .

(1) الكفاية في علم الرواية: 67.

(2) أصول السرخسي: ج2 ص134.

(3) الكامل: ج9 ص110.

(4) معجم البلدان: ج3 ص191، في كلمة "سجستان".

(5) ربيع الأوار للمختوي: ج2 ص186، النصائح الكافية لمحمد بن عقيل: 79، عن السيوطي.

الصفحة 183

وهل سمع معاوية عن النبي (صلى الله عليه وآله) حديثاً في فضل سب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بحيث كان يقول لسعد: "ما منعك أن تسب أبا زاب؟"⁽¹⁾.

هذا في صحيح مسلم؛ ولكن فيما رواه ابن عساكر وابن كثير: "قال سعد لمعاوية: أدخلتني درك وأقعدتني على سورك ثم وقعت فيه تشتمه"⁽²⁾.

وفي كلام ابن أبي شيبة: "فأتاه سعد فذكروا علياً فقال منه معاوية فغضب سعد"⁽³⁾.

وهل يجب لنا أن نقول بأن نهي النبي (صلى الله عليه وآله) عن سب أصحابه عموماً وأما سب علي بن أبي طالب خصوصاً فيختص بغير المخاطبين في وقت خطاب النهي؟!

4 . كيف صار قاتل عثمان ملعوناً ولكن قاتل علي (عليه السلام) مجتهد متأول؟

ما فوق بين الذين قتلوا عثمان والذي قتل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حيث صار قاتل عثمان عند ابن حزم: هم فساق، ملعونون، محاربون، سافكون دماً حراماً عمداً⁽⁴⁾ وعند ابن تيمية: قوم خولج مفسدون في الأرض، لم يقتله إلا طائفة قليلة باغية ظالمة، وأما الساعون في قتله فكلهم مخطئون، بل ظالمون باغون معتنون⁽⁵⁾ وعند ابن كثير: أجلاف أخلاط من الناس، لا شك أنهم من جملة المفسدين في الأرض، بغاة خلجون على الإمام، جهلة، متعنتون، خونة، ظلمة، مفترون⁽⁶⁾.

(1) صحيح مسلم ج7 ص120، ط. صبيح و1871 ط. محمد فؤاد، ج2 ص360 ط. الحلبي بمصر. باب فضائل علي.

(2) تزيخ مدينة دمشق: ج42 ص119 والبداية والنهاية: ج7 ص376.

(3) المصنّف لابن أبي شيبة: ج7 ص496.

(4) الفصل لابن حزم: ج4 ص161.

(5) منهاج السنة: ج3 ص189، 206.

(6) تزيخ ابن كثير: ج7 ص176، 186، 187، 198، 208، حوادث سنة 35 هـ.

الصفحة 184

ولكن قاتل علي بن أبي طالب كان مجتهداً متأولاً كما صرح ابن حزم بقوله: "ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن ابن ملجم، لم يقتل علياً (رضي الله عنه) إلا متأولاً مجتهداً مقراً أنه على صواب، وفي ذلك يقول عمران بن حطان

يا ضربة من تقي ما رآد بها
إني لأذكوه حيناً فأحسبه
إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً
أوفى الوية عند الله مزانا⁽¹⁾

وهكذا في كتاب الأمّ للشافعي ومختصر الزني والمجموع للنووي ومغني المحتاج والجرهر النقي⁽²⁾.

حتى بلغ الأمر إلى ما صار قوام حكومتهم بسبب علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما روى ابن عساكر عن علي بن الحسين، قال: "قال مروان بن الحكم: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني علياً عن عثمان، قال قلت: فما لكم تسبونهم على المنبر، قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك"⁽³⁾.

قال البلاذري: "قال مروان لعلي بن الحسين: ما كان أحد أكفّ عن صاحبنا من صاحبكم. قال: فلم تشتمونه على المنابر!!؟ قال: لا يستقيم لنا هذا إلا بهذا!!!"⁽⁴⁾.

(1) المحلى لابن حزم: ج 10 ص 484.

(2) كتاب الأمّ للشافعي: ج 4 ص 229 ، مختصر الزني لإسماعيل الزني: 256 ، المجموع للنووي: ج 19 ص 197 ، مغني المحتاج لمحمد بن الشيبيني: ج 4 ص 124 ، الجهر النقي للمرديني: ج 8 ص 58.

(3) (تزيخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 42 ص 438 ، الصواعق المحرقة ص 33 ، النصائح الكافية ص 114 عن الدلقطني، شوح نهج البلاغة: ج 13 ص 220.

(4) أنساب الأشراف ص 184.

فأين ذهب قول الرسول (صلى الله عليه وآله) "سباب المسلم فسوق"⁽¹⁾ أو يحكمون بعدم إسلامه أو خروجه عن الإسلام نستجير بالله من شرور أنفسنا.

علي بن أبي طالب (عليه السلام) مدينة باب علم النبي (صلى الله عليه وآله) وأعلم الصحابة

أما قولكم: فلا يجوز أخذ العلم إلاّ منه (رضي الله عنه)، إذن كلّ الدين المبلغ من غوه ليس ديناً.

فنقول أولاً: هذا نصّ كلام النبي (صلى الله عليه وآله) بأنّ علياً باب علمه فمن رآده فليأت منه كما روى الطواني بإسناده عن ابن عباس قال: "قال رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت من بابها"⁽²⁾. وذكره الحاكم بعدة طرق

وصحّحه⁽³⁾ وهكذا ذكره المتقي في كنز العمال مع القول بصحّته⁽⁴⁾.

وهكذا قوله (صلى الله عليه وآله) لعلي: "أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي".

- رواه الحاكم عن أنس بن مالك، ثم عقبه: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" .
(6)
وتنزل قوله تعالى "وتعيها أذن واعية" فيه، كما ذكره الطوي والسيوطي والقوطبي وغيرهم .

- (1) صحيح البخاري: ج 1 ص 17، ح 48، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله.
(2) المعجم الكبير: ج 11 ص 55، وابن الأثير أسد الغابة: ج 4 ص 22، الخطيب في تزيخ بغداد: ج 3 ص 181، السيوطي في الجامع الصغير: ج 1 ص 415، وج 3 ص 60.
(3) المستترك: ج 3 ص 126.127.
(4) كنز العمال: ج 13 ص 149.
(5) المستترك: ج 3 ص 122، وواجه أيضاً: تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 387، المناقب للخوارزمي: 329.
(6) جامع البيان: ج 29 ص 69، ح 26955، الدر المنثور: ج 6 ص 260 (عن سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن مكحول، تفسير القوطبي: ج 18 ص 264، تفسير الزري: ج 30 ص 107، تفسير ابن كثير: ج 4 ص 413، روح المعاني: ج 29 ص 3).

الصفحة 186

- وروى ابن عساكر عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "تشدتكم بالله، أفيكم أحد دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) له في العلم، وأن تكون أذنه الواعية مثل ما دعا لي؟ قالوا: اللهم لا" .⁽¹⁾
وثانياً: روى البخاري عن عمر (رضي الله عنه)، قال: "أقرؤنا أبي وأقضاننا علي"، ولا شك بأن كونه أفضى الناس يدل على أوسعية علمه.
كما قال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد من الصحابة يقول (سلوني) إلا علي بن أبي طالب⁽²⁾ وقال ابن عباس: "لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شركهم في العشر العاشر"⁽³⁾.
وقال ابن عباس: "أعطي علي تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شركهم في العشر الباقي"⁽⁴⁾.
وعن ابن عباس أيضاً: "إذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره"⁽⁵⁾.
وثالثاً: لم يجرؤ أحد من الصحابة أن يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما روى الحاكم روى عامر بن واثلة، قال: "سمعت علياً (رضي الله عنه) قام فقال: سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي... هذا حديث صحيح، عال"⁽⁶⁾.

- (1) تزيخ دمشق: ج 3 ص 116.
(2) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ج 2 ص 646، أسد الغابة: ج 4 ص 22، تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 399، تزيخ

الخلفاء: 115 ، تهذيب الأسماء واللغات: ج 1 ص 317 ، المناقب للخوارزمي: ص 90.

(3) أسد الغابة: ج 4 ص 22، تفسير الثعالبي: ج 1 ص 52.

(4) الاستيعاب: 11044 ، تهذيب الأسماء واللغات: ج 1 ص 317.

(5) الاستيعاب: ج 3 ص 1104 ، أسد الغابة: ج 4 ص 22 . تهذيب الأسماء واللغات: ج 1 ص 344 - 346 - دار الكتب

العلمية - بيروت (ط. دار الفكر: ج 1 ص 317).

(6) (المستترك: ج 2 ص 353 بتحقيق الموعشلي، (ج 2 ص 383 ، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا) السنن الواردة في

الفتن لأبي عمرو عثمان بن سعيد الموقى المتوفى 444: ج 4 ص 838، ج 6 ص 1196، تهذيب الكمال: ج 17 ص 335، تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 400 و 397.

الصفحة 187

وقال سعيد بن المسيب: "لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلا علي بن أبي طالب"⁽¹⁾.

ورابعاً: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن⁽²⁾.

وقال: "ولا علي لهلك عمر"⁽³⁾.

وخامساً: قال النووي: "وسؤال كبار الصحابة ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات،

مشهور"⁽⁴⁾.

رجوع الأصحاب إلى علي(عليه السلام) وعدم رجوعه إليهم

وسادساً: ما ذكروا من جهل الأصحاب وكبلهم بالأحكام ورجوعهم إلى غرهم، وعدم رجوع علي إلى أحد من القوم، كما

قال ابن حزم: "ووجدناهم (الصحابة) رضي الله عنهم يقرّون ويعترفون بأنهم لم يبلغهم كثير من السنن، وهكذا الحديث

المشهور عن أبي هريرة إنّ إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإنّ إخواني من الأنصار كان يشغلهم القيام

على أموالهم، وهكذا قال الرّاء: أما كل ما تحدثتموه سمعناه من رسول الله، ولكن حدثنا أصحابنا وكانت تشغلنا رعية الإبل.

(1) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ج 2 ص 646 ، بتحقيق ط. وصي الله، أسد الغابة: ج 4 ص 22 ، تزيخ مدينة دمشق:

ج 42 ص 399 ، تزيخ الخلفاء للسيوطي: 135 ، تهذيب الأسماء واللغات: ج 1 ص 317.

(2) تهذيب التهذيب: ج 7 ص 337 ، الطبقات الكوى: ج 2 ص 339 ، أسد الغابة: ج 3 ص 22 23 ، تزيخ الخلفاء: 135،

ذخائر العقبى: ص 82.

(3) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ج 1 ص 162.

(4) تهذيب الأسماء واللغات: ج 1 ص 317 ط. دار الفكر - بيروت.

الصفحة 188

وهذا أبو بكر (رضي الله عنه) لم يعرف فرض مواث الجدّة، وعرفه محمد بن مسلمة، والمغوة بن شعبة، وقد سأل أبو

بكر (رضي الله عنه) عائشة في كم كفن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وهذا عمر (رضي الله عنه) يقول في حديث الاستئذان: أخفي علي هذا من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ألّهاني

الصفق في الأسواق.

وقد جهل أيضاً أمر إِمْلَاصِ الرّوأة وعوّقه غيره... وسأل عمر أبا واقد الليثي عما كان يقول به رسول الله (صلى الله عليه

وآله) في صلاتي الفطر والأضحى. وهذا وقد صلاهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعواماً كثيرة. ولم يدر ما يصنع

بالمجوس، حتّى ذكّره عبد الرحمن بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم⁽¹⁾.

ومع الغضّ عن جميع ذلك فلا شكّ عند أهل العلم المنصفين بأنّ علي بن أبي طالب أولّ من أسلم وتربى في حجر النبي

وعاش تحت كنفه قبل البعثة واشتدّ ساعده في حضنه وظلّ معه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، لم يفلقه لا في حضر ولا

في سفر، وهو ابن عمّه وزوج ابنته فاطمة سيّدة نساء العالمين وشهد المشاهد كلها سوى تبوك، ولو كان علي قد حفظ كل يوم

عن النبي - وهو الفطن اللبيب الذكي الحافظ - حديثاً واحداً، وقد مضى معه رشيداً أكثر من ثلث قرن، لبلغ ما كان يجب أن

يروى أكثر من اثني عشر ألف حديث.

(1) الأحكام: ج2 ص143 . 145.

الصفحة 189

ومع الغضّ عن جميع ذلك فلا شكّ في ذلك عند أهل العلم المنصفين كأبي رية، حيث قال: "أولّ من أسلم وتربى في حجر

النبي (صلى الله عليه وآله) وعاش تحت كنفه قبل البعثة واشتدّ ساعده في حضنه وظلّ معه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى،

لم يفلقه، لا في سفر ولا في حضر، وهو ابن عمّه وزوج ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام)... ولو كان علي (رضي الله

عنه) قد حفظ كلّ يوم عن النبي وهو الفطن اللبيب الذكي الحافظ، ربيب النبي، حديثاً واحداً وقد قضى معه رشيداً أكثر من ثلث

قرن، لبلغ ما كان يجب أن يرويه أكثر من اثني عشر ألف حديث... قد أسنوا له كما روى السيوطي 586 حديثاً، وقال ابن

خزم: لم يصحّ منها إلاّ خمسون حديثاً، ولم يرو البخاري ومسلم منها إلاّ نحواً من عشرين حديثاً⁽¹⁾.

ومع الأسف الشديد لم يرو البخاري عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلاّ تسعة وعشرين حديثاً⁽²⁾ وروى عن أبي

هوية أربع مائة وستة وأربعين حديثاً⁽³⁾.

لم تكن خلافة أبي بكر شوري بين المسلمين وإجماعاً عندهم

قلت: إنّ أهل السنة يعتقدون أنّ الإمامة أمر اصطلاحى شوروي، للأمة أن تختار من واه أهلاً لذلك، ليحكمها بالقوان

والسنة ولا حوج في الاختلاف في مجالات الفهم.

- (1) أبو هروة: 128 . ثم قال في الهامش: هذا ما في البخري ومسلم ولا نعلم شيئاً عن مقدار أحاديثه التي روتها الشيعة عنه، وكلّ قوم سنة وإمامها .
- (2) مقدمة فتح البلي: 476.
- (3) مقدمة فتح البلي: 477.

الصفحة 190

أقول:

وألاً: هذا مخالف لما جاء من كبار علماء أهل السنة كالموردي الشافعي المتوفى سنة 45، وأبي يعلى الحنبلي المتوفى سنة 458 : "قالت طائفة: لا تتعقد (أي الإمامة) إلا بجمهور أهل العقد والحلّ من كل بلد، ليكون الرضا به عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (رضي الله عنه) على الخلافة باختيار من حضوها، ولم ينتظر ببيعته قنوم غائب عنها"⁽¹⁾ .

وقال القوطي المتوفى سنة 671 : "فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت، ويؤم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس حيث قال: لا ينعقد إلا بجماعة من أهل الحلّ والعقد، ودليلنا: أن عمر (رض) عقد البيعة لأبي بكر"⁽²⁾ .

وقال إمام الحرمين المتوفى سنة 478 ، شيخ الغوالي: "اعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة، الإجماع; بل تتعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها، والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأن لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر منكر. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت عدد محدود ولا حدّ محدود، فالوجه الحكم بأن الإمامة تتعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد"⁽³⁾ .

وقال عضد الدين الإيجي المتوفى سنة 756 : "وإذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فاعلم أن ذلك لا يفنقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنتان من أهل الحلّ والعقد كاف، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان".

(1) الأحكام السلطانية للموردي: 33 والأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسن الفراء: 117.

(2) جامع أحكام القآن: ج1 ص269.

(3) الإرشاد في الكلام: 424 ، باب في الاختيار وصفته وذكر ما تتعقد الإمامة به، ط. القاهرة 1369 هـ.

الصفحة 191

إلى أن قال: "ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن اجتماع الأمة. هذا ولم ينكر عليه أحد، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا"⁽¹⁾ .

وقال ابن العربي المالكي المتوفى سنة 543 : "لا يؤم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك"⁽²⁾

هل هؤلاء الأعلام ليسوا من أهل السنة؟! "فاعتبروا يا أولي الأبصار!!!"

لماذا لم تفوض خلافة عمر بن الخطاب إلى الأمة؟

وثانياً: لو كانت الإمامة أمراً شورورياً للأمة وتختار من تراه أهلاً، لماذا لم يعمل بذلك أبو بكر، ولم يفوض الأمر . بعد خلافته . إلى الأمة؛ بل عين عمر بن الخطاب، مع ما ورد من اعتراض الصحابة عليه، كما روى ابن أبي شيبة: "أن أبا بكر حين حضوه الموت أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: تستخلف علينا فظاً غليظاً، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ، فما تقول لوبك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ قال أبو بكر: أربّي تخوفوني؟ أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك، ثم أرسل إلى عمر فقال: إني موصيك بوصية، الحديث" (3) .

وهكذا قال الإمام محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي المتوفى 763: لما استخلف أبو بكر عمر رضي الله عنهما، قال لمعيقب الدوسي: ما يقول الناس في استخلاف عمر؟ قال: كوهه قوم ورضيه قوم آخرون. قال: الذين كوهه أكثر أم الذين رضوه؟ قال: بل الذين كوهه... (4) .

(1) المواقف في علم الكلام: ج8 ص351، طبع مصر 1325 هـ.

(2) شرح سنن الترمذي: ج13 ص229.

(3) المصنف: ج8 ص574، بتحقيق سعيد محمد اللحام، تليخ مدينة دمشق: ج30 ص413.

(4) الآداب الشوعية: ج1 ص71، بتحقيق شعيب الأرنؤوط/ عمر القيام، مؤسسة الرسالة . بيروت.

الصفحة 192

فمع علمه بأنّ أكثرية الشعب كانت ناقمة عليه في هذا الأمر فكيف فرضه عليهم، ولم يمنحهم الحرية في انتخاب من شئوا لوئاسة الحكم، وكان الأجدر به أن يستجيب لعواطف الأكثرية الساحقة من المسلمين فلا يوليّ عليهم أحداً إلا بعد أخذ رضاهم واتفاق الكلمة عليه، أو يستشير أهل الحل والعقد عملاً بقاعدة الشورى.

ولماذا حصوها عمر في سنة وجعل شروطاً بحيث ينتهي الأمر إلى عثمان لا غيره؟ وهل يطلق عليه شورى الأمة؟ .

أمّ المؤمنين ترفض الشورى في الإمامة

وثالثاً: قولكم: "بأنّ أهل السنة يعتقدون أنّ الإمامة أمر اصطلاحي شوروي، للأمة" مخالف لما روى مسلم وغيره عن حفصة بأنها قالت لابن عمر: "أعلمت أن أباك غير مستخلف؟ إلى أن دخل على أبيه وقال: إنّي سمعت الناس يقولون مقالة فأليت أن أقولها لك، زعموا أنّك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل، أوراغي غنم ثم جاءك وتوكلها رأيت أن قد ضيع، فوعاية الناس أشد" (1) .

وهكذا قول عائشة أمّ المؤمنين لابن عمر: "يا بني! أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلاراع، استخلف عليهم

ولا تدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة، فأتى عبد الله فأعلمه" (2).

(1) صحيح مسلم: ج 6 ص 5 (ج 3 ص 1823)، كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه، مسند أحمد: ج 1 ص 47، المصنف لعبد الرزاق: ج 5 ص 448.

(2) الإمامة والسياسة: ج 1 ص 42 تحقيق الشوي، ج 1 ص 28 تحقيق الزيني؛ أعلام النساء: ج 3 ص 127.

الصفحة 193

السنة تنفي الشورى في الإمامة

ورابعاً: إذا كانت الإمامة شورى عند أهل السنة فماذا يقولون فيما ذكره ابن حبان وابن كثير وغوهما بأن النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً ليس له نصيب في تعيين الإمامة بل هي بيد الله فقط؟
نوأ معاً ما ذكر في هذه القضية:

"ثم أتى (أي النبي) (صلى الله عليه وآله) بني عامر بن صعصعة في منزلهم فدعاهم إلى الله، فقال قائل منهم: إن اتبعناك وصدقناك فنصرك الله، ثم أظهرك الله على من خالفك، أكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال رسول الله: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. فقالوا: أتهدف نحورنا للعب دونك فإذا ظهرت كان الأمر في غيرنا؟ لا حاجة لنا في هذا من أمرك" (1).

ما يدل على وصاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وقولكم: "وأما أهل التشيع فإنه يفهم من عقيدتهم أنه يجب على الله أن ينصب إماماً وأن هذا الإمام هو علي (رضي الله عنه) مع أنه لم يرد في القرآن، ولا في السنة أي لفظ في ذكر الإمامة أو الوصاية وإنما هي عمومات قابلة للتأويل على وجهه".
فقول: "أما ورود قضية إمامة علي بن أبي طالب في السنة، فمن راجع حديث "الدار يوم الإنذار" وحديث "المقولة" وحديث "الغدِير" وحديث "النقلين" وحديث "السفينة" وحديث "وهو وليّ كل مؤمن بعدي" وحديث "أنا مدينة العلم وعلي بابها" وحديث "المؤاخاة" وحديث "تبليغ سورة واءة" وحديث "سدّ الأبواب" وحديث "باب حطة" و"حديث الولاية" وغوها من عشرات، بل مئات النصوص في ذلك، يتيقن بنصّ النبي (صلى الله عليه وآله) على إمامة علي بن أبي طالب.

(1) الثقات لابن حبان: ج 1 ص 89؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 3 ص 171.

الصفحة 194

حديث الدار يثبت خلافة علي (عليه السلام)

وقد صوّح في بعض تلك الأحاديث على كونه خليفة من بعده، كحديث الدار الذي قال علي (عليه السلام): "فأخذ بوقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا!"، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن

(1)

تسمع لابنك وتطيع" .

هل هذا من العمومات القابلة للتأويل؟ لو كان كذلك لماذا لم تؤولها قريش؛ بل استفادوا منها النص في الخلافة، فطعنوا على أبي طالب.

نعم، هذا قابل للتحريف كما فعله محمد حسنين في كتابه حياة محمد (صلى الله عليه وآله)، حيث ذكر الحديث في كتابه (حياة محمد) ص 14 من الطبعة الأولى سنة 1354 هـ ولكنه في الطبعة الثانية (ص 139) وما بعدها من الطبعات قد مسح الحديث المذكور وحرف منه كلمة "وصيّي وخليفتي".

وجاء الحديث أيضاً بتمامه في الجريدة السياسية المصرية لمحمد حسنين هيكل، ملحق عدد 2751، بتاريخ 12 ذي القعدة 135 هـ ص 5. وملحق عدد 2785 ص 6.

(1) تزيخ الطوي: ج 2 ص 62، بتحقيق نخبة من العلماء، ط. مؤسسة الأعلمي . بيروت.

الصفحة 195

كما أنه ذكر ابن أثير الجزري في أسد الغابة: 4/25 طبعة الوهيبة بمصر، بأن قوله تعالى: **لَوْ مِّنَ النَّاسِ مَن يَشِيرُ نَفْسِهِ** **ابْتِغَاءَ مَوَاضِعَ اللَّهِ** ^ق قول في علي (عليه السلام) حين بات على فاش رسول الله. ولكن في تصوير هذه الطبعة بالأوفست في المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ (نسختها موجودة في مكتبتي)، بدلت باليد لا بالآلة الطباعة "بات على فاشه" إلى "بال على فاشه"!!!! إهانةً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإننا لله وأنا إليه راجعون! مما تصنع يد العدو والعناد والنصب.

تصحيح سند حديث الدار

وأما من حيث السند، فقد صوّح بصحته جمع من العلماء كابن جرير الطوي فيما نقله المتقي في كنز العمال: 13/128 ر 3648، والهيثمي في مجمع الزوائد: 8/32، وأبي جعفر الإسكافي كما في شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/243، والحاكم في مستترك الصحيحين: 3/132 والذهبي في تلخيص المستترك، . في حديث طويل. والشهاب الخفاجي في شوحه على الشفا للقاضي عياض، نسيم الرياض: 3/35، وورود الرواية في كتاب المختلة للضياء المقدسي الذي التزم فيه بأن لا يروي في كتابه هذا إلا الروايات الصحيحة المعنوة كما صوّح بذلك جمع، كعبد الله بن الصديق المغربي في رد اعتبار الجامع الصغير: 42، ومحققى كنز العمال فيه: 1/9، وقال ابن حجر: "ابن تيمية يصوّح بأنّ أحاديث المختلة أصح وأقوى من أحاديث المستترك"⁽¹⁾.

(1) فتح البلي: ج 7 ص 211.

الصفحة 196

حديث الولاية وخلافة علي (عليه السلام)

وهكذا حديث الولاية الذي صوّح بصحته الحاكم عندما ذكر قضية جيش اليمن وقصة الشكوى على علي وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي". قال: هذا حديث صحيح على شوط مسلم ولم

(1) يخرجاه .

وهل هذا من العمومات القابلة للتأويل؟ فما فوق بين هذه الكلمة في لسان النبي (صلى الله عليه وآله) وبين هذه في لسان

عمر بن الخطاب (رض)، حيث قال: "فلما توفي رسول الله - قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله، فجنّتما... فأيتماه كاذبا آثماً غاوراً خائناً... ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا ولي رسول الله - وولي أبي بكر، فأيتماني كاذبا آثماً غاوراً خائناً" (2) .

وهكذا في كلام أبي بكر في كتابته لخلافة عمر في موضه قائلاً: "إني قد وليت عليكم عمر" (3) . وفي كلام عمر بن خطاب أيضاً: "لو أتركت سالم مولى أبي حذيفة لوليته واستخلفته" (4) .

حديث الثقلين والإتقاد عن الضلالة

وهكذا حديث الثقلين: "إني ترك فيكم الثقلين كتاب الله وعتوتي أهل بيتي" الذي ورد في صحيح مسلم وصوّح بصحته

الحاكم والذهبي وابن كثير في التفسير والسورة والبغوي في المصابيح والألباني في الصحيح وغيرهم (5) .

(1) المستترك على الصحيحين: ج3 ص110.

(2) صحيح مسلم: ج5 ص152، كتاب الجهاد، باب 15، حكم الفيء حديث 49.

(3) (تزيخ الطوي: ج3 ص429 ، سورة عمر لابن الجوزي: 37 وتزيخ ابن خلدون: ج2 ص85.

(4) (تزيخ الطوي: ج5 ص33 ، طبقات ابن سعد: ج3 ص181 و248 والاستيعاب لابن عبد البر: ج2 ص161 وأسد

الغابة: ج2 ص246.

(5) صحيح مسلم: ج7 ص122 ، كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب، المستترك على الصحيحين: ج3 ص109

تفسير ابن كثير: ج4 ص122 والسورة النبوية له: ج4 ص416 مصابيح السنة: ج2 ص205 والأحاديث الصحيحة للألباني:

1761.

الصفحة 197

وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل بيته عدلاً للوآن والتمسك بهم منقذاً عن الضلالة؛ كما قال المنويّ: قوله: (إني

ترك فيكم) تلويح بل تصويح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصى أمة بحسن معاملتهما وإيثار حقهما على أنفسهما والاستمسك بهما

(1) في الدين" .

وقال النفتزاني بعد نقل حديث صحيح مسلم: "ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك

بهما منقذاً عن الضلالة، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلاّ الأخذ بما فيه من العلم والهداية فكذا في العوة" (2) .

(3)

قال الدكتور عصام العماد : "إننا نعتقد أنّ مذهب الاثني عشوية يطير بجناحين، أحدهما: حديث الثقلين، والجناح الآخر: حديث الاثني عشر. وما لم تترك الوهابية هذين الحديثين، لا يمكن لها أن تفهم حقائق وخصائص المذهب الاثني عشوي"⁽⁴⁾.

(1) فيض القدير: ج2 ص174.

(2) شوح المقاصد: ج2 ص221.

(3) الدكتور عصام العماد المولود سنة 1968 من طلاب قسم الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض وتلميذ مفتي المملكة السعودية الشيخ ابن باز وإمام أحد مساجد مدينة صنعاء والمرسّ فيه، للمؤلف كتاباً في تكفير الاثني عشوية سماه "الصلة بين الاثني عشوية وفوق الغلاة". ثمّ انتقل من الوهابية إلى مذهب الشيعة الإمامية سنة 1989، وألّف كتاباً باسم "رحلتي من الوهابية إلى الشيعة"، وله أيضاً كتاب آخر ألّفه بعد استبصره تحت عنوان: "المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابيين".

(4) كتاب المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابيين: ص155.

الصفحة 198

فلا شك أنّ العواد بأهل البيت هم الذين تولت فيهم آية التطهير وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، فلا يشمل غوهم من بني هاشم⁽¹⁾ كما لا يشمل نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله) لما صوّح بذلك في صحيح مسلم⁽²⁾.

كما نقله الترمذي وغوه عن أمّ سلمة، أنّ النبيّ (صلى الله عليه و سلم) جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثمّ قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي؛ أذهب عنهم الرجس وطهورهم تطهراً". فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنّك على خير. هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شيء روي في هذا الباب"⁽³⁾. رواه الحاكم قائلاً: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخجاه⁽⁴⁾. وقال بعد نقل رواية أخرى بعد ذلك: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخجاه⁽⁵⁾.

وهكذا رواه أحمد والطبراني والسيوطي عن أمّ سلمة أنّها قالت: "وقفت الكساء لأدخل معهم ف جذبته من يدي وقال: إنّك على خير"⁽⁶⁾.

فمن يقول بدخولهنّ فيهم فقد رآد أن يجذب الكساء من يد النبيّ (صلى الله عليه وآله) فيدخل نساءه تحته.

(1) كما ذهب إليه ابن تيميّة في منهاج السنة: ج7 ص394.

(2) صحيح مسلم: ج7 ص123 كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ط. محمد علي صبيح. شوح النووي: ج15

ص181 ط، مصر.

(3) سنن الترمذي: ج5 ص361.

(4) المستترك: ج2 ص416، ج3 ص146.

(5) المصدر نفسه: ج 2 ص 416.

(6) مسند أحمد: ج 6 ص 323 ، المعجم الكبير للطبراني: ج 3 ص 53 ، الدر المنثور: ج 5 ص 198.

الصفحة 199

حديث "علي مع الحق والحق مع علي"

وهكذا حديث "عليّ مع الحق والحق مع علي". رواه الهيثمي عن أبي سعيد الخوري، قائلًا: "ورجاله ثقاة" ⁽¹⁾ وروى أيضاً عن سعد بن أبي وقاص وأم سلمة ثم قال: "رواه الزوار، وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح" ⁽²⁾، وروى الخطيب عن أبي ثابت مولى أبي ذر ⁽³⁾ وروى أبو جعفر الإسكافي عن عمّار بن ياسر ⁽⁴⁾، وروى ابن كثير عن أبي سعيد وأم سلمة ⁽⁵⁾.

وروى الحاكم عن علي (رضي الله عنه) قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار"، ثم قال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ⁽⁶⁾.

وقال الإمام الفخر الرازي: "من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى؛ لقول النبي (صلى الله عليه وآله): اللهم أدر الحق مع علي حيث دار" ⁽⁷⁾.

روى الحاكم عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "علي مع القآن والقآن معه، لا يفترقان حتى يودا علي الحوض". ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون ولم يخرجاه" ⁽⁸⁾.

(1) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي: ج 7 ص 235 (ط. دار الكتب العلمية - بيروت). فيه: ومروى عن علي بن أبي طالب، فقال: "الحق مع ذا، الحق مع ذا".

(2) مجمع الزوائد: ج 7 ص 235.

(3) تزيخ بغداد: ج 14 ص 322 بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلميّة. تزيخ دمشق ج 42 ص 449 بتحقيق علي شوي، ط. دار الفكر.

(4) المعيار والمولنة: 119، بتحقيق محمد باقر المحمودي.

(5) البداية والنهاية لابن كثير: ج 7 ص 398.

(6) مستترك الحاكم: ج 3 ص 124 ح 4629.

(7) تفسير الكبير للرازي: ج 1 ص 205 و 207، المحصول: ج 6 ص 134، خصائص الوحي المبين للحافظ ابن البطريق: ص 31.

(8) المستترك: ج 3 ص 124 ح 628 وأوّه الذهبي، المعجم الأوسط للطبراني ج 5 ص 135، ج 5 ص 455 ح 4877

المعجم الصغير: ج 1 ص 255؛ الصواعق المحرقة: 74، ط. الميمنة بمصر و ص 124، ط. المحمدية. تزيخ الخلفاء للسيوطي:

ولرجا من سماحتكم أن تتظر بعين الإنصاف إلى كلام ابن تيمية حول هذه الرواية؛ حيث قال رداً على العلامة: "علي مع الحق والحق معه يدور حيث دار ولن يفتوقا حتى يردا علي الحوض، من أعظم الكلام كذباً وجهاً؛ فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبيلاً بإسناد صحيح ولا ضعيف"⁽¹⁾.

فتعرف بعد ما ذكرناه قيمة كلام ابن تيمية؛ إلا أن يقال بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعائشة وأم سلمة وسعد بن وقاص، لم يكونوا من الصحابة والهيثمي والحاكم وابن كثير والخطيب والولي، ليسوا من العلماء.

مقارنة منهج أهل السنة في قبول الروايات مع منهج الشيعة

قلتم:

منهج أهل السنة في قبول الروايات منهج حرّم فإنهم قد نوتوا تراجم جميع الرواة وحكموا عليهم من خلال مروياتهم، فما قبله مزان الجرح والتعديل قبلوه، وما خالفه رتّوه، وهذه قاعدة من خالفها أعانوه إليها. ولا يوجد لدى أهل التشيع مثل ذلك.

وبإمكانك أن تأخذ عدداً من أول أي كتاب من كتب التراجم لدى أهل السنة وعدداً مماثلاً من كتب التراجم عند الشيعة وقرن بين المعلومات المدونة عندهما... ثم أخذتم بمقارنة كتاب تهذيب الكمال مع كتاب مجمع الرجال.

(1) منهاج السنة: ج4 ص238.



أقول:

إنّ الكتب المؤلّفة في علم الرجال عند الفريقين مختلفة ومتنوعة، بعضها مختصّة يختصّ بذكر الروي ووثاقته أو ضعفه فقط، من دون ذكر مشايخه وتلاميذه ومؤلفاته وتاريخ ولادته ووفاته، كالتاريخ الكبير للبخاري المتوفى سنة 256 هـ، حيث

اكتفى في كثير من التّراجم بذكر الرجل فقط كما في ترجمة:

1 . إواهيم بن إسحاق، سمع الحسن قوله، سمع منه الوليد بن أبي الوليد.

2 . إواهيم بن إسحاق عن طلحة بن كيسان روى عنه علي بن أبي بكر.

3 . إواهيم أبو إسحاق عن ابن جريح سمع منه وكيع، معروف الحديث.

منها: كتاب (تاريخ الثقات) للعجلي المتوفى سنة 261 هـ.

منها: كتاب (تاريخ أسماء الثقات) لابن شاهين المتوفى سنة 385 هـ.

منها: كتاب (الضعفاء والمتروكين) لابن الجزري المتوفى سنة 597 هـ. وغير ذلك من الكتب.

كما أنّ بعض الكتب المؤلّفة في علم الرجال مفصلة، كتاريخ بغداد للخطيب المتوفى سنة 463 هـ، وتهذيب الكمال للزّي

المتوفى سنة 742 هـ وسير أعلام النبلاء، للذهبي المتوفى سنة 748 هـ وغيرها.

أمّا الكتب الرجالية عند الشيعة فهي أيضا فيها ما هو مختصر كرجال اليرقي المتوفى سنة 274 هـ، ورجال ابن داود

المتوفى سنة 77 هـ، وخلاصة الأثر للعلامة الحلّي المتوفى سنة 726 هـ.

ومتوسّط كرجال الشيخ الطوسي المتوفى سنة 46 هـ، المتضمّن لكلّ من روى عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)

وكتاب الفهرست له، ورجال النجاشي المتوفى سنة 45 هـ، المختصّان بذكر كلّ من له كتاب، ورجال الكشيّ المتوفى بعد سنة

3 هـ، المختصّ بذكر الروايات الواردة في حقّ الروي مدحا وذما، ومنهج المقال للاستزّاد المتوفى سنة 128 هـ، ونقد

الرجال للتوشّي 144.

ومفصّل كجامع الرواة للأردبيلي المتوفى 11 هـ، وتنقيح المقال للمامقاني المتوفى سنة 1351 هـ، وأعيان الشيعة للسيد

الأمين المتوفى سنة 1371 هـ، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي المتوفى سنة 1414 هـ.

أيّها الأخ العزيز من أراد المقارنة بين كتابين فلا بدّ أن تكون بين كتابين في مستوى واحد، والمقايسة بين كتاب مختصر

ومفصّل في فنّ واحد، بعيد عن الإنصاف.

فعلى هذا إذا أردتم المقارنة، فخذ كتاب تهذيب الكمال وكتاب معجم رجال الحديث، فقايس بينهما؛ وسوف يتبيّن لكم أنّ في

معجم الرجال ممّرات لا توجد لا في تهذيب الكمال ولا في غيره من الكتب الرجالية لأهل السنة.

ولا بأس أن نشير إلى بعض مختصات هذا الكتاب:

- 1 . ذكر في بداية الكتاب مقدّمة في الفوائد الرجالية التي لا غنى للباحث عنها.
 - 2 . قد نقل في ترجمة كلّ رجل، نصّ كلمات الرجاليين القدامى كالنجاشي والكشي والطوسي والعلامة وابن داود والوقفي بحيث يستغني الباحث عن مراجعة هذه الكتب.
 - 3 . تصدّى لذكر ما يستدلّ به على وثاقة الولوي أو ضعفه بنمط علمي دقيق بعد نقل كلّ ما ذكر من الأدلة والقوائن والمناقشة فيهما.
 - 4 . وإن لم يرد في حقّ راو توثيق ولا تضعيف، سكت عنه، وعنى بهذا أنه مجهول الحال.
 - 5 . ذكر ما كان للولوي من الأسماء والعناوين المتعدّدة الواقعة في الكتب الروائية والرجالية تحت رقم مستقلّ مع الإشارة عند كلّ اسم أو عنوان إلى أنه متحدّد مع الاسم أو العنوان الآخر أو محتمل الإتحاد مع آخر.
- كما قال في أحمد بن محمد بن خالد بأنّه متحدّد مع:

أحمد بن محمد بن خالد الرقي

أحمد بن محمد الرقي

أحمد بن محمد بن أبي عبد الله

الصفحة 204

أحمد بن أبي عبد الله.

أحمد بن أبي عبد الله الرقي

ابن الرقي.

(1)

الرقي .

6 . ذكر عند ترجمة كلّ راو، شيوخه وتلاميذه كافة مضافاً إلى عدد وروده في أسانيد الروايات، كما قال في أحمد بن محمد

بن خالد: "وقع بعنوان أحمد بن محمد بن خالد في أسناد جملة من الروايات تبلغ زهاء ثمانمائة وثلاثين مورداً:

فقد روى عن أبي إسحاق الخفاف، وأبي البخّري، وأبي الجوزاء و... وروى عنه سعد بن عبد الله، وسهل بن زياد، وعلى

(2)

بن إواهيم و...".

كذا قال في ذكر هذا الولوي بعنوان أحمد بن أبي عبد الله: "وقع بهذا العنوان في أسناد كثير من الروايات تبلغ ستمائة

رواية: روى عن أبي الحسن الوضا(عليه السلام)، وأبي أيّوب المديني و... وروى عنه أبو علي الأشعوي، وأحمد بن إدريس

(3)

و...".

7 . ذكر في آخر كلِّ مجلِّد، تحت عنوان (تفصيل طبقات الرواة): عنوان كلِّ رَّاو كثير الرواية، مع تعيين مواضع رواياته في الكتب الأربعة، (من الجزء ورقم الحديث أو الكتاب والباب) وجميع من روى عنه هذا الولاوي، وروى عن هذا الولاوي؛ بحيث يحصل به التمييز الكامل بين المشتوكات غالباً.

- (1) راجع: معجم رجال الحديث: ج 2 ص 260 رقم 857 و 858. و 226 رقم 789 و 30 رقم 412.
- (2) معجم رجال الحديث: ج 2 ص 266.
- (3) معجم رجال الحديث: ج 2 ص 30.

الصفحة 205

8 . أشار إلى اختلاف النسخ والكتب في أسامي الرواة وعناوينهم وما وقع فيها من التصحيف والتحرير وأثبت الصحيح منها استناداً إلى أدلة مقنعة.

أخوك:

د. الحسيني القرويني

1/ شعبان المعظم / 1424 هـ

الصفحة 206

لقاء آخر مع الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي

في اليوم السابع من شهر رمضان سنة 1425 هـ جاءني الدكتور حمدان إلى محل إقامتي واصطحبني إلى بيته، وقبل الإفطار جرى بيني وبينه كلام حول بعض المسائل نشير إليها باختصار:

قال: متى نُوتت الكتب الرجالية للشيعة؟

قلت: كتاب رجال الرقي أقدم كتاب رجالي للشيعة قد أُلّف قبل سنة 27 هـ، وهو مطوع، ويليه كتاب رجال الكشي الذي أُلّف حوالي سنة 3 هـ وكتاب رجال النجاشي المتوفى 45 هـ ورجال الشيخ الطوسي المتوفى سنة 46 هـ وأُلّفه قبل كتاب رجال النجاشي.

هذه هي الكتب المطبوعة والموجودة بين أيدينا، وأما الكتب المؤلفة في زمن الأئمة (عليهم السلام) ولتي لم تصل إلينا فهي كثرة جداً، فمثلاً: عبيد الله بن أبي رافع من التابعين وكان كاتباً لأمير المؤمنين (عليه السلام) له كتاب: (من شهد معه الجمل وصفين والنهروان من الصحابة).

ثم قال: إن اثنين من طلابي في جامعة أمّ القوي يريدان كتابة رسالة الدكتوراه حول (مصادر التلقي عند الشيعة) وأن الشيعة من أين يأخذون الدين؟

وهما وغبان بالوجه إلى المصادر الأصلية للشيعة، فأبيّ الكتب تُرشدون إليها حتى نوصيهم بواجبها؟

فقلت: أما الكتب الروائيّة للشيعّة فهي الكتب الأربعة (الكافي، من لا يحضوه الفقيه، التهذيب، الاستبصار) وكتاب وسائل الشيعة الذي يعد كتاباً أساسياً يرجع إليه فقهاء الشيعة في الأبحاث الفقهية، لدقته في التبويب الفقهي واستقصائه للروايات.

الصفحة 207

وأما الكتب الكلاميّة والعقائدية فمنها تأليفات الشيخ الصدوق في هذا المجال نظير كتاب التوحيد، وتأليفات السيّد المرتضى علم الهدى، والشيخ المفيد وغيرهم. وبالنسبة إلى الكتب الرجاليّة فمنها كتاب معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي، وقاموس الرجال للتستوي، وتنقيح المقال للمامقاني، بالإضافة إلى ما ذكرته لك من الكتب.

حوار حول التوسل

بعد تناول طعام الإفطار جرى بيني وبينه حوار حول التوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله) والصالحين.

حيث قال الدكتور أحمد الغامدي: باب الله مفوح للجميع فلا نحتاج إلى الوسطة، كما قال الله تعالى: **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**. ثم قال: فإذا قال الملك بأنّ بابي مفوح لمن أرادني فلا يحتاج أن نتوسل إلى رئيس مكتبه أو إلى أحد من الضباط لمقابلته، بل يعد ذلك التوسل من حماقات.

فأجبت: بأنّ هذا الكلام غير صحيح، بل الكتاب والسنة يثبتان خلاف ذلك حيث، زى أن إخوة يوسف طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم، بقولهم: **{ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا }**، فأجابهم: **{ سَوْفَ اسْتَغْفِرَ لَكُمْ رَبِّي }**⁽¹⁾. ولم يقل لهم إنّ باب الله مفوح فاستغفروا الله ليغفر لكم.

(1) يوسف: 97.

الصفحة 208

وهكذا قال الله عزّ وجلّ في حقّ النبي المكرم (صلى الله عليه وآله): **{ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ }** واستغفر لهم الرسول لوجوبوا الله تواباً رحيماً⁽¹⁾.

فقال الدكتور أحمد الغامدي: بأنّ هذه الآية توت في حقّ المنافقين.

قلت: هل أن باب الله المفوح، مغلق على المنافقين لو كتب عليه: "ممنوع دخول المنافقين".

ثم قال الدكتور: أنّ هذا مختصّ بمن يأتي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويطلب منه أن يستغفر له، بقوينة قوله تعالى: **لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ**، ولا يشمل الغائب، ولا الذين يتوسلون به بعد وفاته؛ لأنّه بعد وفاته لا يقدر على شيء.

قلت: إنّ كلامكم هذا مخالف لقولكم: "بأنّ باب الله تعالى مفوح ولا يحتاج أحد أن يتوسلّ بالنبي أو غيره للوصول إليه".

مضافاً إلى أن جميع المسلمين يقولون في صلاتهم: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله ورحمة"، والنبي (صلى الله عليه وآله) بإذن الله وقوته تعالى يسمع سلام المصلين ويجيبهم.

فإن الله الذي أعطاه هذه القوة قادر على أن يعطيه القوة لسمع استغاثة الناس من بعيد ليستغفر الله لهم.

فأجاب: عندنا روايات بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "ما من أحد يسلم علي إلا ردد الله عز وجل إلي روحي حتى أردد عليه السلام"⁽²⁾.

فقلت: يا دكتور ألا تشعر بأن في هذا القول إهانة وزجر للنبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنه في كل يوم يصلي ملايين المسلمين ويسلمون على النبي (صلى الله عليه وآله) في صلاتهم، وعلى قولكم هذا فإن الله تعالى سوف يرد إليه روحه في كل أن ملايين العرات ثم يرجعها إلى مكانها.

(1) النساء: 64.

(2) مسند أحمد بن حنبل: ج2 ص527؛ سنن أبي داود: ج1 ص453.

الصفحة 209

فقال: عندنا رواية عن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول فيها: "إن لله ملائكة سياحين يبلغون عن أمي السلام"⁽¹⁾.

قلت: يا دكتور! إن الملائكة السياحين الذين يأخذون سلام الناس ويبلغونه النبي (صلى الله عليه وآله) ويرون جوابه للمسلمين، غير عاجزين عن تبليغ توسل المتوسلين إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

مضافاً إلى وجود روايات في كتبكم تدل على توسل الأصحاب بقبر النبي (صلى الله عليه وآله)، وهي تدل على مشروعية التوسل، مثل هذه الرواية:

"أصاب الناس قحط في زمن عمر (رض)، فجاء رجل إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله هلك

الناس، استسق لأمتك، فأتاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام، إئت عمر فاقواه مني السلام، وأخوه أنهم مسقون،

وقل له: عليك الكيس.

قال: فأتى الرجل عمر فأخوه، فبكى عمر رض، وقال: يارب ما آوا إلا ما عجزت عنه"⁽²⁾.

(1) مجمع الزوائد: ج9 ص24، عبد الزاق، المصنف: ج2 ص215، المعجم الكبير للطواني: ج10 ص219.

(2) البيهقي، دلائل النبوة: ج7 ص47، باب ما جاء في رؤية النبي (صلى الله عليه وآله) في المنام؛ ابن أبي شيبة،

المصنف: ج7 ص482؛ تزيخ دمشق: ج44 ص346 وج56 ص489؛ الاستيعاب: ج3 ص1149؛ تزيخ الإسلام:

ص273، أحداث سنة ثلاث وعشرين؛ البداية والنهاية: ج7 ص105، واقعة سنة ثمان عشوة؛ الإصابة: ج6 ص216؛ فتح

البري: ج2 ص412، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا؛ كنز العمال: ج8 ص431.

فأجاب: لا يمكن تصحيح العقيدة بهذه الروايات الضعيفة.

قلت: لقد اعترف ابن حجر في فتح البري بصحة الرواية، قائلاً: **ثوروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح** (1) وقال ابن كثير في تزيحه بعد نقل الحديث وهذا اسناد صحيح (2).

فقال: أنا لا أقبل تصحيح ابن حجر وابن كثير وعندي دليل على ضعف الرواية.

قلت: ما هو دليلك على ضعف الرواية.

فلما بلغ الأمر إلى هذا، قال الدكتور: لقد قرب وقت صلاة العشاء، فلنقم لتتوضأ ونتهيأ للصلاة.

وفي هذه الأثناء ودّعتهم ورجعت إلى الفندق.

وبعد مضي عدة ليالٍ إلتقيته وأعطيته كراسة فيها أقوال علماء أهل السنة على مشروعية التوسل، ولم يجب عنها لحد الآن، وهذه هي الكراسة:

أقوال فقهاء أهل السنة في التوسل

جاء في كتاب الموسوعة الكويتية: اختلف العلماء في مشروعية التوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته كقول القائل: اللهم إنّي أسألك بنبيك أو بجاه نبيك أو بحق نبيك، على أقوال:

القول الأول: [جمهور الفقهاء المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية والحنابلة]

ذهب جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة) إلى جواز هذا النوع من التوسل سواء في حياة النبي أو بعد وفاته (3).

(1) فتح البري: ج2 ص412 ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

(2) البداية والنهاية: ج7 ص105 ، واقعة سنة ثمانى عشرة.

(3) شوح المواهب اللدنية لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي (ت1055): ج8 ص304 ، والمجموع للنووي: ج8 ص274 ، ومدخل الشوع الشريف على المذاهب الأربعة، لابن الحاج أبي عبد الله القيرواني المالكي (ت737): ج1 ص248 وما بعدها، وردّ المحتار المعروف بحاشية ابن عابدين (ت1252): ج5 ص254 ، والفتاوى الهندية: ج1 ص266 وج5 ص318 ، وفتح القدير للشوكاني (ت1250): ج8 ص497 - 498 ، والفتوحات الربانية على الأذكار النووية لمحمد بن علي العلان المكي الشافعي (ت1057): ج5 ص36.

قال القسطلاني (ت 923) (نوقد روي أن مالكا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي - ثاني خلفاء بني العباس - يا أبا عبد

الله أستقبل رسول الله وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم

عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله.>

وقد روى هذه القصة أبو الحسن علي بن فهر في كتابه (فضائل مالك) بإسناد لا بأس به، وأخرجها القاضي عياض في الشفاء من طويقه عن شوخ عدة من ثقات مشايخه (1).

وقال النووي (ت676) (في بيان آداب زيارة قبر النبي: ثم رجع الزائر إلى موقف قبالة وجه رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فيتوسل به ويستشفع به إلى ربه، ومن أحسن ما يقول (الزائر) ما حكاه الموردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالسا عند قبر النبي (صلى الله عليه و سلم) فجاءه أعوابي فقال: السلام عليك يا رسول

الله، سمعت الله تعالى يقول: (**لَوْلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا** رَحِيمًا) سورة النساء: 64 ، وقد جئتكَ مستغفواً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

(1) شوح المواهب: ص8 ج304 - 305 ، والمدخل: ج1 ص248، 252 ، ووفاء الوفاء: ج4 ص1371 وما بعدها، والفواكه النواني: ج2 ص466 ، وشوح أبي الحسن على رسالة القيرواني: ج2 ص478 ، والقوانين الفقهية: ص148.

الصفحة 212

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه

وطاب من طيبهن القاع والأكم فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وقال العز بن عبد السلام: ينبغي كون هذا مقصراً على النبي (صلى الله عليه و سلم)؛ لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله بغوه من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في روجته، وأن يكون مما خص به تنبيهاً على علورتيته.>

وقال السبكي (ت756) (نويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي إلى ربه.>

وفي إعانة الطالبين للدمياطي المكي (ت131) : "وقد جئتكَ مستغفواً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي" ما تقدم أوال المالكية والشافعية (1).

وأما الحنابلة، فقد قال ابن قدامة (ت62) (في المغني بعد أن نقل قصة العتبي مع الأعوابي نويستحب لمن دخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى...>، إلى أن قال: ثم تأتي القبر فتقول: ... وقد أتيتك مستغفواً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي...". ومثله في الشوح الكبير (2).

وأما الحنفية فقد صرح متأخروهم أيضاً بجواز التوسل بالنبي (صلى الله عليه و سلم)، قال كمال الدين المعروف بابن الهمام (ت861) (في فتح القدير: "ثم يقول في موقفه: السلام عليك يا رسول الله... ويسأل الله تعالى حاجته متوسلاً إلى الله بحضوره نبيه عليه الصلاة والسلام".

(1) (المجموع: ج8 ص274 ، وفيض القدير: ج2 ص134 - 135 ، وإعانة الطالبين: ج2 ص31 ، ومقدمة (التجريد

الصريح)، بتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغاص.

(2) كشف القناع: ج2 ص68 ، والمبدع: ج2 ص204 ، والفروع: ج2 ص159 ، والمغني مع الشرح: ج3 ص588 وما بعدها، والشوح الكبير مع المغني: ج3 ص494 - 495، والإنصاف: ج2 ص456.

الصفحة 213

وقال صاحب الاختيار فيما يقال عند زيارة النبي (صلى الله عليه و سلم): "جنناك من بلاد شاسعة... والاستشفاع بك إلى ربنا... ثم يقول: مستشفعين بنبيك إليك".

ومثله في هراقي الفلاح والطحوي على الدر المختار والفتوى الهندية.

ونص هؤلاء عند زيارة قبر النبي (صلى الله عليه و سلم): "اللهم... وقد جنناك سامعين قولك طائعين أمرك مستشفعين بنبيك إليك".

وقال الشوكاني: "ويتوسل إلى الله بأبيائه والصالحين" (1).

أدلة القائلين بالتوسل

وقد استدلوا لما ذهبوا إليه بما يأتي:

أ. قوله تعالى: **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** (2).

ب. حديث الأعمى المتقدم.

وفيه: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة... فقد توجه الأعمى في دعائه بالنبي عليه الصلاة والسلام أي بذاته" (3).

ج. قوله (صلى الله عليه و سلم) في الدعاء لفاطمة بنت أسد: "اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك لرحم الراحمين" (4).

(1) الاختيار ج1 ص174 - 175 ، وفتح القدير: ج2 ص337 وهاقي الفلاح بحاشية الطحوي: ص407 ، وحاشية الطحوي على الدر المختار: ج1 ص562 ، والفتوى الهندية: ج1 ص266 ، وتحفة الأحوذى: ج10 ص34 ، وتحفة الذاكرين للشوكاني (37).

(2) سورة المائدة: 35.

(3) حديث الأعمى سبق تخريجه ف: / 8 . (وفي ص154 النوع 8 جاء ما يلي في الهامش: حديث عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضویر البصر أتى النبي 0 ... أخرجه الترمذي: ج5 ص569 . ط الحلبي، وقال: حديث حسن صحيح.

(4) حديث دعاء النبي لفاطمة بنت أسد: أخرجه الطواني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد للهيثمي: ج9 ص257

. ط القدسي، وقال:

د . توسل آدم بنينا محمد عليهما الصلاة والسلام: روى البيهقي في دلائل النوة، والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفوت لي. فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟

قال: يارب، إنك لما خلقتني رفعت رأسي وأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب خلقك إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه فقد غفوت لك، ولولا محمد ما خلقتك" (1).

هـ . حديث الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان (رض): روى الطواني والبيهقي أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض) في زمن خلافته، فكان لا يلتفت ولا ينظر إليه في حاجته، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف، فقال له: إئت الميضاة فتوضأ، ثم إئت المسجد فصل، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك. فانطلق الرجل فصنع ذلك، ثم أتى باب عثمان بن عفان (رض)، فجاء اللواب فأخذ بيده، فأدخله على عثمان (رض) فأجلسه معه، وقال له: اذكر حاجتك، فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال: ما لك من حاجة فاذكروها. ثم خرج من عنده فلقني ابن حنيف فقال له: خراك الله خوفاً ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته لي، فقال ابن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) أتاه ضويرة فشكا إليه ذهاب بصره إلى آخر حديث الأعمى المتقدم (2).

(1) حديث (لما اقترف آدم الخطيئة...) أخرجه الحاكم: ج2 ص615 - ط داوئة المعرف العثمانية، وعنه البيهقي في دلائل النوة: ج5 ص489 - ط دار الكتب العلمية، وقال البيهقي: (توّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف)، وتعقب الذهبي تصحيح الحاكم في تلخيص المستدرک بقوله: (بل موضوع، وعبد الرحمن واه).
(2) المعجم الصغير: ج1 ص183. ط المكتبة السلفية.

أقول:

وألاً: إن المذكور في المزان هو شبيب لا شعيب.

وثانياً: إن الذهبي لم يذكر شيئاً في ترجمته ما يدل على ضعفه؛ بل قال: صدوق يوجب >.

وثالثاً: قال ابن حجر: قال ابن المديني: شبيب بن سعيد ثقة... كتابه صحيح، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال أبو حاتم:

كان عنده كتب يونس بن زيد وهو صالح الحديث لا بأس به، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن عدي: ولشبيب نسخة

الروهي عنده عن يونس عن الروهي أحاديث مستقيمة... وذكره ابن حبان في الثقات... وقال الدلقطني: ثقة، ونقل ابن خلفون: توثيقه عن الذهلي (1).

قال المبل كفوري: قال الشيخ عبد الغني في إنجاح الحاجة: ذكر شيخنا عابد السندي في رسالته: والحديث . حديث الأعمى . يدل على جواز التوسل والاستشفاع بذاته المكرم في حياته، وأما بعد مماته فقد روى الطواني في الكبير عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان... إلى آخر الحديث.

وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين: وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطي والمانع، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن (2).

(1) تهذيب التهذيب: ج 4 ص 269 واجع أيضاً ميزان الاعتدال: ج 2 ص 262.

(2) تحفة الأحوذى: ج 10 ص 34.

الصفحة 216

القول الثاني: في التوسل بالنبي بعد وفاته

جاء في التاوخانية مغزياً للمنفى زوى أبو يوسف عن أبي حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به (أي بأسمائه وصفاته) والدعاء المأنون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: **لَوْلِيَّةِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** (1).

وعن أبي يوسف أنه لا بأس به، وبه أخذ أبو الليث للأثر.

وفي الدر والأحوط الامتناع لكونه خبر واحد فيما يخالف القطعي، إذ المتشابه إنما يثبت بالقطعي (2).

أما التوسل بمثل قول القائل: بحق رسلك وأنبياك وأولياك، أو بحق البيت فقد ذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد إلى كراهته.

قال الحسكي وإنما يخص وحمته من يشاء من غير وجوب عليه.

قال ابن عابدين: قد يقال: إنه لا حق لهم وجوباً على الله تعالى، لكن لله سبحانه وتعالى جعل لهم حقاً من فضله، أو واد بالحق الحرمة والعظمة، فيكون من باب الوسيلة، وقد قال تعالى: **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** (3).

وقد عد من آداب الدعاء التوسل على ما في (الحصن)، وجاء في رواية: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق مشايي إليك، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً.." الحديث (4).

(1) سورة الأعراف: 180.

(2) ابن عابدين: ج 5 ص 254، والفتوى الهندية: ج 1 ص 266 وج 5 ص 318، وفتح القدير: ج 8 ص 497 - 498،

وحاشية الطحوي على الدر المختار: ج 4 ص 199.

(3) سورة المائدة: 35.

(4) حديث: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك.. سبق تخويجه ف/ 7 . (وجاء هناك ص154 الهامش 2 ما يلي: حديث أبي سعيد الخوري: ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك.. أخرجه ابن ماجة: ج1 ص256 . ط الحلي)، وابن السني في عمل اليوم والليلة: ص24 - ط دائرة المعارف العثمانية، وقال البوصوي في الزوائد: (هذا إسناد مسلسل بالضعفاء).

الصفحة 217

ويحتمل أن واد بحقهم علينا وجوب الإيمان بهم وتعظيمهم. وفي (اليقوبية): يحتمل أن يكون الحق مصوراً لا صفة مشبهة، فالمعنى بحقيقة رسلك، فليتأمل > أي: المعنى بكونهم حقاً لا بكونهم مستحقين.
أقول (أي ابن عابدين): لكن هذه احتمالات مخالفة لظاهر المتبادر من اللفظ، ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع... فلذا والله أعلم أطلق أئمتنا المنع، على أن رادة هذه المعاني مع هذا الإيهام فيها الإقسام بغير الله تعالى وهو مانع آخر،
تأمل (1).

هذا ولم نعثر في كتب الحنفية على رأي لأبي حنيفة وصاحبيه في التوسل إلى الله تعالى بالنبفي غير كلمة (بحق) وذلك كالتوسل بقوله: (بنيك) أو (بجاه نبيك) أو غير ذلك إلا ما ورد عن أبي حنيفة في رواية أبي يوسف قوله: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به (2).
أحوك في الله
أبو مهدي القرويني
14 رمضان المبارك 1425هـ

(1) ابن عابدين: ج5 ص254 ، والفتوى الهندية: ج1 ص266 وج5 ص318 ، وفتح القدير: ج8 ص497 - 498 ، وحاشية الطحوي على الدر المختار: ج4 ص199.
(2) الموسوعة الفقهية الكويتية: ج14 ص156.

WWW.AWKAF.NET/MOUSOAA-INDEX.HTML

[HTTP://ISLAM.GOW.KW/INDEX.PHP](http://ISLAM.GOW.KW/INDEX.PHP)

WWW.ANTIHABASHIS.COM

الصفحة 218



الفصل الثالث

تعقيب على كتاب الحوار الهادئ

تمهيد

موقف الشيعة تجاه الصحابة

الموقف الوهابي من كتب الشيعة

كتاب (لله ثم للتاريخ) ليس كتاباً شيعياً

أهل السنة داخل إوان

مكانة الشيعة في العالم

المنهج الخاطئ في الحوار والاحتجاج

الاتهام بترك الصحاح واعتماد مصادر التاريخ

الاتهام باعتماد أسلوب الانتقاء في الروايات وأحاديث الفضائل

الآيات الذامة لجملة من الصحابة وبعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله)

المنهج الخاطئ في فهم العقائد الشيعية

مقارنة موجزة بين الكليني والبخري وكتابيهما

تهم وافتراعات على المذهب الشيعي

التكفير المتبادل بين الجماعات السنية

النفاق والمنافقون

تمهيد:

ذكرنا في الفصل الثاني بأن بداية الحوار كانت في الليلة السادسة عشر من شهر رمضان المبارك عام 1423هـ، حيث ذهبت برفقة عدد من طلاب جامعة أم القوي إلى محل إقامتهم وسكناهم، وبعد أن تناولنا الطعام توجهنا إلى أحد المساجد لأداء صلاة العشاء، فصليت العشاء جماعة ولم أشترك في أداء صلاة التراويح؛ لعدم اعتقادي بمشروعيتها، فانشغلت بقراءة القرآن. وبعد أن أتموا صلاة التراويح توجهنا وكنت أتصور أننا ذاهبون إلى الشيخ محمد بن جميل بن زينو لكننا فعلاً ذهبنا إلى بيت الشيخ الدكتور أحمد الغامدي وهو من الأساتذة البارزين في جامعة أم القوي.

ثم بعد الترحيب تجاذبنا الحديث حول بعض المسائل الخلافية بين السنة والشيعة، وكان من تلك المسائل مسألة الإمامة والتقية وولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وبيعة الإمام علي (عليه السلام) والتكفير وغيرها من المسائل التي سنعرضها للقارئ الكريم.

وقد استمر الحوار إلى ساعة متأخرة من الليل، وبعد انتهاء اللقاء أصرّ الدكتور الغامدي على استتوار التواصل بيننا في المستقبل، وطلب مني أن اكتب له أسئلة لكي يجيب عنها عبر الفاكس بشكل مكتوب، وبعد أن ودعته ورجعت إلى مقر إقامتي في الفندق كتبت له بعض الأسئلة المختصة نزولاً عند رغبته في ذلك، واختصت ببعض المسائل التي تنور حول الصحابة.

الصفحة 222

وعند وصول أسئلتي إليه كتب الدكتور جواباً عنها وأرسلها إلي عبر الفاكس، فشكرته على ذلك في رسالة جوابية، لكن كثرة انشغالاتي بالترتيب والتحقيق لم أتمكن من الرد على أسئلته، وبقيت تلك الأسئلة في حوزتي على أمل أن أجيب عنها حين يتوفر لي الوقت الكافي، وقد حاولت جاهداً أن اقتطع من وقتي لكي أرد على رسالته وفاءً للمودة التي حصلت بيننا ولوقع بعض الإشكالات والالتباسات التي حوتها رسالته التي أرسلها إلي، فبدأت بالرد على ما أرسله، وحرصت على أن تكون أجوبتي على تساؤلاته موضوعية مدعومة بالأدلة والشواهد ومتبعاً فيها المنهج العلمي الصحيح في الحوار والمحااجة، وأن يكون أسلوب الرد أسلوباً منسجماً مع آداب المناظرة والحوار.

فكتبت رداً هو عبارة عن رسالة مختصة ذكرنا نصها في بداية الفصل الثاني وأرسلتها له عن طريق بعض الأخوة الذين ذهبوا إلى السعودية.

وبعد مضي مدة معينة ما يقرب السبعة أشهر سلّمني الدكتور رداً مفصلاً على شكل كراسة كود على ما أرسلته له، وقد اختزل في ذلك الرد ما دار بيننا فيه من حوار ولقاءات شفوية، وكانت لغة الرد لغة قاسية ولم تكن ودّية على الإطلاق بخلاف ما لمست من أخلاق سامية يمتاز بها الدكتور.

وكنت قد التقيت به في بيته في سنة 1426 هـ بمعية الأستاذ الهاوي وكزاده، واعترضت على الدكتور قائلاً: إن ما أرسلته إليّ من الودود والحررات لم تكن هادئة أصلاً، مضافاً إلى أنك قد حرفت ما جرى بيني وبينك في لقائنا الأول في بيتك، وفسوته بما يفيدك وحذفت ما يضحك.

فقال: اذكر لي مورداً مما ادعيت.

قلت: إنك لما أوردت على اعتقاد الشيعة في مسألة التقية، وأجبتك عن ذلك رفعت يديك قائلاً: قبول! قبول! ثم رميت ما كان بيدك من أوراق مصورة عن كتاب الكافي. فخجل الدكتور وكان ذلك بحضور ولاده.

وفي غمرة انشغالاتي في البحوث والتدريس في الجامعة والحزبة، بالإضافة إلى بعض الانشغالات الاجتماعية الأخرى لم أتمكن من تخصيص وقت أجيب فيه على أسئلة الدكتور التي كانت بحاجة إلى وقت يتناسب معها. وقد ساءني كثيراً حين رأيت هذه الحرات قد وضعت في أكثر من موقع من مواقع الانترنت والتي تعد من المواقع المتطوفة ضد الشيعة.

واستغوبت أكثر حين رأيت أن تلك الحرات قد أخذت منحى آخر، وذلك حين صدرت على شكل كتاب باسم (حوار هادئ مع الدكتور القرويبي الشيعي الاثني عشري)، وقد وصلتني نسخة من الكتاب، وتصفحتها، فوجدت أن الدكتور قد خالف في كتابه هذا أهم مبادئ الحوار وأسس المناظرة، أهمها:

أولاً: لم يكن الحوار هادئاً

إنّ الكتاب لا يكشف عن مضمون عنوانه، فلم يكن الحوار فيه هادئاً بل كان مشحوناً في بعض مواضعه بعدم الهوء والإثارة والاستواز للطرف الآخر.

ثانياً: عدم رعاية الأمانة العلمية

افتقد الكتاب أبسط مقومات البحث العلمي وهو رعاية الأمانة العلمية في النقل، والتي هي من أوليات أسس الكتابة والحوار، فضلاً عن كون ذلك من أخلاق الإسلام ومبادئه، ونشير فيما يلي إلى نماذج من ذلك:

1. لاحظت أن الكاتب قد حذف في كتابه المذكور أصل الحرات التي دلت بيننا وقام باختزالها مع أن تلك الحرات كانت من الأهمية بمكان، وقد أظهر الدكتور في كثير منها عجزه وعدم قدرته على الرد كما سنستعرض ذلك لاحقاً.
2. ذكر الدكتور في صفحة 11 ، بعد نقل رسالتي الأولى التي أعقبت لقائي الأول معه، قائلاً: هذه عبرته بنصها>.

والحال أنه حذف من كلامي ما يضر فهم المقصود.

فالعبارة التي نقلها في صفحة 10:

"ماذا تقول فيما جرى على بعض الأصحاب أو شك في قتله؟ هل يحكم فيهم بأنهم اجتهوا وأخطوا ولهم أجر واحد أم

لا؟"

مع أن العبارة التي رسلتها إليه هي:

<ماذا تقول؟ فيما جرى على بعض الأصحاب من الحدّ، هل يوجب ذلك فسقهم أم لا؟ لما ذا جرى الحدّ على بعضهم؟

ماذا تقول فيمن أمر بقتل عثمان من الاصحاب أو شوك في قتله؟ هل يحكم فيهم بأنهم اجتهدوا وأخطأو ولهم أجر واحد أم

لا؟>.

ألا يعد هذا خيانة علمية؟ أم أن منهجهم يجيز لهم ذلك؟.

الصفحة 225

3 . إن أقل ما كنت أرجوه منه، في كتابه (حوار هادئ)، أن ينقل رسالتي الأخوة التي أرسلتها إليه بتمامها، ثم يبدأ بنقدها والودّ عليها، ولكن المؤسف أنه اختار وانتقى ما شاء وحذف الكثير مما جاء فيها، ليبدو ما اقتطعه من سياقه العام ضعيفاً في نظر القارئ؛ وهذه خيانة علمية لاتليق بمسلم فضلاً عن أستاذ جامعي.

ثالثاً: تناقضات الكتاب

إن الذي يؤأ هذا الكتاب يلاحظ فيه الكثير التناقضات، ونشير فيما يلي إلى بعضها:

1 . قال في صفحة 77 من كتاب حوار هادئ: إنَّ المطلع على جميع كتب الشيعة بدون استثناء لا يرى إلاَّ التكفير أو التفسير لؤلاء العظماء>.

كما قال أيضاً في صفحة 55 : "ولم يبقَ منهم [أي الصحابة] أحد لم يكفراً أو يفسقَ إلاَّ أربعة أشخاص".

وقال في صفحة 66 : "إنَّ ادعاء كفر الصحابة أو فسقهم أو خيانتهم عن بكرة أبيهم ما عدا أربعة أشخاص أشدَّ غواية من القول بعدالتهم".

وفي صفحة 84 : "ولمَّا كان معتقد الشيعة أنَّ جميع الصحابة كفروا أو فسقوا إلاَّ أربعة أشخاص أو نحوهم فلم يبقَ إذن إلاَّ ذلك العدد".

وفي صفحة 145 : "كتب الشيعة الروائية لا يكاد يخلو كتاب من كتب الآثار المروية في العقائد أو التفاسير أو الرجال من تضليل الصحابة أو تكفروهم إلاَّ أربعة أشخاص".



وفي صفحة 222 : "هذا الجزء اليسير [أي الشيعة] اختار تكفير جميع الصحابة أو تضليلهم ما عدا أربعة أشخاص".
أقول: لا شك أن هذا الكلام مضافاً إلى أنه افتراء وكذب، يعرفه كل من اطلع على كتب الشيعة، قد التزم بمضمونه في كتابه هذا، ومن نماذج ذلك:

أ. قوله في صفحة 74 : "ثم إنَّ الناس الذين لم يتوبوا على مائدة النبوة ممن أسلم من أهل القوى والوادي البعيدة اهتز إيمان كثير منهم، وجَهِل كثير منهم فائض الدين، فحدثت ردةً عن دين الله عزَّ وجلَّ من بعضهم، وامتناع عن دفع الزكاة من البعض الآخر، ولم يبقَ على الدين سوى ثلاث مدن: (المدينة، ومكَّة، والطائف)، وما عداها فقد أعلنوا عصيانهم".

فهل أن المرتدين الذين يعيشون في غير هذه المدن الثلاث من الصحابة أم لا؟!!

ب. ما نقل في صفحة 75 عن ابن كثير للاستدلال على ما ادَّعي في العبرة الآنفه، وهو قوله: "وقد رتدت العرب إماماً عامة وإماماً خاصة، في كل قبيلة... ثم إنَّ الصديق (رض) أخذ يجهز الجيوش لحرب المرتدين".

ج. قوله في صفحة 244 . 245 : "وقد حدثت ردة بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله) من كثير من العرب ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ أقام أبا بكر (رضى الله عنه) لهذه الردة ومعه إخوانه من عظماء الصحابة فقاتلوا المرتدين حتَّى أعادهم إلى الدين. فإن قال الشيعة: إنَّ الردة قد وقعت وهي هذه وأقروا بالحقيقة فقد اعترفوا بفضل الصديق (رضى الله عنه).

وإن أنكروا فلا يستحقون المناظرة لأنَّ إنكار البديهيات يسقط أهلية المخالف للحوار.>

فهل أن هؤلاء المرتدين، كانوا من الصحابة العنول ثم رتتوا أم من غورهم؟

رابعاً: عبارات التنقيص للإمام علي (عليه السلام) في الكتاب

قلتم في صفحة 180 . في معوض الكلام حول حديث الحوض وقول النبي (صلى الله عليه وآله) بأنَّ بعض الصحابة يرتدون على أعقابهم من بعده :: "لو أراد شخص أن يحمل هذا الحديث على علي (رضى الله عنه) فقال: إنَّ علياً هو المقصود بالحديث ولفظه دال عليه وأنتم قد أوردتم النص من الصحيحين وفيه أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (إنهم مني). وهذا صحيح البخاري: 7/207، ومسلم: 7/65 . اللفظ يدل على أنَّ المقصود من أهل بيتي لأن لفظه: (مني) لا تحتل غير هذا. وفي رواية أسماء: (فأقول: يلب: مني ومن أمي) صحيح البخاري: 7/209، ومسلم: 7/66 . وهذا دليل على علي (رضى الله عنه) على الذين قاتلوا معه فأقروا الدماء بغير حق!! فهل تستطيع أن تود على هذه الدعوى بغير الاستدلال بمن اعتقدت أنهم رتتوا؟!!!".

وليس استدلاله في هذه العبرة إلا حكماً واضحاً بلرتداد علي (عليه السلام)، فإن اعتقاده بصحة الرواية من جهة، وإيمانه بأن لفظه (مني) في الحديث لا تحتل غير أهل البيت (عليهم السلام)، لا معنى له إلا الحكم على أهل البيت وعلى علي (عليه السلام) بالخصوص بالارتداد، وهذا هو النصب والعداء بعينه.

من هنا وجدت من الضروري أن أقوم بالورد على ما كتبه الدكتور الغامدي لأزيل بعض الشبهات التي أثارها ولاكتشف مدى ضعف الأدلة التي ساقها واستشهد بها؛ ولذا سوف أشوع بالورد والتعقيب على بعض ما جاء في الكتاب، وأترك باقي الأجوبة إلى الجزء الثاني إن وفقني الله إلى ذلك ومنحني الحياة.

الصفحة 228

التعقيب على كتاب

(حوار هادئ)

سنشير فيما يلي إلى أهم الملاحظات والإجابات على ما ورد من هفوات ومغالطات واستدلالات خاطئة وغير منهجية في كتاب الحوار الهادئ، تركين الجزء الأكبر من هذه الملاحظات إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب:

موقف الشيعة تجاه الصحابة

قلتم في ص 30 : "أذهلني موقفكم من الصحابة (رض) وعدم التوفيق بين الصحابي والمنافق مما كان وسيكون له أسوأ الأثر على دين الأمة".
قلت:

أولاً: لو أمعنت النظر في محتوى رسالتي السابقة إليكم لوجدت أنني قد ذكرت فيها أن الشيعة الإمامية وقفوا موقفاً معتدلاً يمليه العقل والمنطق والدين تجاه الصحابة، حيث فرقوا بين الصحابي الذي حسنت صحبته وبقي على العهد الذي قطعه على نفسه مع الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) والتزم بأوامره ونواهيه ووصاياهم بعد وفاته، وبين من نكث وبدل وغير من الصحابة الذين كان فيهم الخاطيء والمذنب والشاك والمنافق ومريض القلب كما سيأتي إثبات ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، شأنهم في ذلك شأن المجاميع البشوية، وإن كنا نؤمن بأن الوجود المبارك للنبي (صلى الله عليه وآله) ودعوته الخاتمة كان لها عظيم الأثر في إيجاد مجتمع صالح حمل مبادئ النوبة، ولكن ماذا فعل لما صدر من الصحابة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) من مشاجرات وخلافات أدت إلى لعن بعضهم لبعض وقتال بعضهم للآخر.

الصفحة 229

ثانياً: إن مسألة عدم التوفيق بين الصحابي والمنافق سيأتي بحثه مفصلاً، وسنذكر فيه أن من الصحابة من هو منافق ومريض القلب، حيث كانوا يشكلون فئة كبيرة وكتلة لها أسوأ الأثر على نفوس الكثير من المسلمين، ولاربط لذلك بهدم الدين بعد أن أشار القرآن الكريم إلى خطوهم وأبان تأثرهم السيئ.

الموقف الوهابي من كتب الشيعة

قلتم في ص 33 : إن كتبكم على قسمين، قسم كله روايات وآثار، وهذا القسم عندما يطلع عليه السني لا يرى فيه أثراً علمية

تستحق الاهتمام فهي أشبه ما تكون بالأساطير... ثانياً: الكتب المتأخرة المصنفة في المسائل المختلف فيها جل ما فيها . إن لم يكن كل ما فيها . أحاديث من كتب السنة... فإذا كان أصحابها أعرضوا عنها واتجهوا إلى كتب أهل السنة للاستدلال على عقائدهم فمن باب أولى أن يعرض عنها أهل السنة.

قلت:

أولاً: مما يؤسفني حقاً أن يصدر هذا الكلام من أستاذ يربي أجيالاً على أصول البحث والتحقيق واعتماد الموضوعية في تناول عقائد الفوق، خصوصاً وأنتك ملست الترييس في قسم حساس وخطير وهو قسم العقيدة، ويعد كلامكم عند جمهوركم كلاماً صاوراً من نوي الاختصاص، وإذا كان هذا حال أمثالكم ممن يدعي الاعتدال والموضوعية، فكيف بغيركم من المتطفلين على العلم وأهله المتعصبين والمتحجرين الحاقدين على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من السنة والوهابية؟! فهل من الإنصاف والموضوعية أن يقيم تراث طائفة كبيرة ويحتجم بهذه الطريقة السطحية والسادجة، تلك الطائفة العريقة ذات التراث الضخم والمتنوع والغير باعتراف مخالفيهم؟!

الصفحة 230

فأين الدليل على ما ذكرتموه وما هو الشاهد على التقسيم الساذج الذي أوردتموه؟ فهل حقاً أن كتب تلك الطائفة الكبيرة تتلخص بأساطير تأباها الفطرة السليمة؟ ألم تكن المكتبات الإسلامية ملى بكتبهم في مختلف فروع المعرف الإسلامية في التفسير والحديث والفقه وعلم العقائد والرواية والوجال، بل امتدت إلى التأليف في الفلك والطب والرياضيات، وكيفيك في هذا المجال نظرة موحزة في كتب المعاجم كموسوعة الزريعة للطهواني.

نعم، لأجل سياسة العداء ومخطط الإلغاء والاستئصال السلفي المورج ضد أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وتراثهم خلت المكتبات الوهابية من ذلك التراث، سوى كتب أعدائهم الطاعنين عليهم، حتى تناهى إلى أسماعنا أن كتب الشيعة في الجامعات السعودية وضعت في أماكن خاصة لا يسمح بالدخول إليها إلا لأفراد معدودين، وقد كتب عليها (كتب ضلال)!! ولعل ذلك هو الذي وُجد لديكم تلك الصورة المشوهة والنظرة المقلوبة عن كتب الشيعة.

ولو كانت كتب الشيعة أساطير كما ذكرت لما أخذت حوزها العلمي والاجتماعي في الأوساط الإسلامية، والذي لا ينكوه إلا مكابر.

ثانياً: إن الشيعة إنما يستقون عقائدهم وأحكام دينهم من الكتاب الكريم والسنة النبوية المبركة التي تلقوها عن أئمة الهدى من عزة النبي (صلى الله عليه وآله)، الذين يشكلون العدل الثاني للقرآن الكريم بنص حديث الثقلين المتواتر في كتب الشيعة وكذلك السنة أيضاً.

الصفحة 231

وأما ما ينكوه الشيعة في كتب الخلاف عن المجامع السننية، فليس للاستدلال بها على عقائدهم، وإنما للاحتجاج على المخالفين

والجدال والتي هي أحسن، إذ أن الأدعى في الحجة أن تحتج على الخصم لإثبات أحقيتك بما ورد في الكتب المعنوة لديه، كما أشار إلى ذلك ابن حزم بقوله: "لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتجّ الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الذي تقام عليه الحجة به"⁽¹⁾.

وهذا أمر طبيعي ومنطقي في كتب الخلاف والاحتجاج، ولذا زى أنك في كتابك هذا تحتج في كثير من الأحيان بكتاب الكافي والبحار والتهذيب والاستبصار وغيرها من كتب الشيعة، فهل هذا يعني أنك أعضت عن كتبكم السنية وأثبت عقيدتكم من كتبنا، وهل يصح بناءً على ذلك أن نحتج بالأولوية في الإعراض عن مطالعة كتبكم والنظر فيها!!!

وليس نسبة الصفر بالمائة عند أهل السنة. كما تدعي. حول صحة عقائد الشيعة إلا عند بعض من وقع تحت طائلة ذلك المنهج الخاطيء والسياسات المغرضة التي أثرونا إليها.

(1) ابن حزم، الفصل في الأهواء والملل والنحل: ج4 ص159.

الصفحة 232

وأما غير هؤلاء من أهل السنة ممن يمتلك الوعي والنظرة الموضوعية المنفتحة فنجد فيهم المعتدل الذي أنصف في تقييم واث هذه الطائفة الكبيرة كالأهر الشريف وغيره من المراكز العلمية، ومن ذلك قوى شيخ الأهر محمود شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعوي كبقية المذاهب الإسلامية الأخرى، بل وجدنا أن عدداً كبيراً من العلماء والباحثين والمحققين وأهل النظر من السنة قد اقتنع بعقائد الشيعة واعتنقها عن قناعة وفهم.

ثم إن اعتقاد شخص بكون دين من الأديان يسوي صوماً في المائة لا يغير من الواقع والحقيقة شيئاً، فلو اعتقد غير المسلم بأن نسبة صحة الإسلام عنده تكون صوماً لا يغير الحقيقة القائمة والرايين القاطعة على صحة الدين الإسلامي، وإثبات المذاهب أو إبطالها لا يكون بمثل هذا يا أخي العزيز.

كتاب (لله ثم للتاريخ) ليس كتاباً شيعياً

قلتم في ص33 حول كتاب (لله ثم للتاريخ): "هذا ليس كتاباً سنياً، بل هو كتاب شيعي".

قلت: إن قولك هذا يدل على أنك لم تطلع على الكتاب، أو أنك اطلعت عليه ولم تتأمل فيه جيداً.

فهو وإن زعم في بادئ الأمر أنه من الشيعة، ولكنه على فرض وجوده فإنه كاذب في ادعائه؛ لأنه يجهل أوليات المذهب الشيعي.

الصفحة 233

مضافاً إلى أننا سمعنا أنه كان مدسوساً من قبل بعض الجهات ليؤلف كتاباً للطن في الشيعة والافزاء عليهم، وقد رجع عن ذلك في الآونة الأخيرة واعتنق المذهب الشيعي⁽¹⁾.

أهل السنة داخل إوان

قلتم في ص 34 : "أما أهل السنة في داخل إوان فنحن نسمع أنهم يتعرضون للمضايقات، فكيف يستطيعون أن يحلروا؟!". قلت:

أولاً: إن الشيعة طالما يتعرضون في الدول العربية للمضايقات الكثيرة، وأوضح مثال على ذلك ما ذاقه الشيعة في العراق على مدى عقود من الزمن من ويلات الظلم والاضطهاد.

ثانياً: إنكم قد التقيتم بحضوري وحضور الأخ الفاضل الدكتور زمني وفضيلة الشيخ التوحيدي في مكة المكرمة في شهر رجب سنة 1426 هـ بعدد من علماء أهل السنة الإيرانيين، وتحدثتم معهم، وسألتموهم عما يجري على أهل السنة في إوان، وسمعتهم كلامهم حول الحرية التي يتمتع بها أهل السنة في إوان وفي جميع المجالات والحقول، حتى عجبت من كلام أحدهم حين قال لك: إني إمام الجماعة في مسجد كذا، وقال آخر: أنا خطيب الجمعة في مدينة كذا، وقال ثالث: أنا مدرس في مدرسة دينية لأهل السنة، وأخرج من جيبه بطاقة التتريس وعرضها عليكم.

ثم قلتم: إني سمعت بأن أهل السنة في إوان يتعرضون للمضايقة، وانتم تقولون بأننا أحرار في إوان، وأعجب كيف تسمح لكم الحكومة بالحضور في الجامعات العلمية وفتح المدارس والتتريس فيها؟!

(1) لاحظ ما تقدم من حوار مع الشيخ محمد بن جميل بن زينو في الفصل الأول.

الصفحة 234

وأجابك أحدهم بأن الشيعة والسنة يعيشون في إوان متحابين متوادين كالأخوة في بيت واحد. وانوى أحدهم قائلاً: إننا نشاهد في كل المكتبات الموجودة في إوان أن كتب أهل السنة تعرض للبيع، وفي المعرض الدولية التي تقام في إوان نجد أن جميع كتب أهل السنة متوفرة وفي متناول الجميع، ولكننا لما دخلنا السعودية وزرنا مكتبات المدينة المنورة ومكة المكرمة لم نجد كتاباً شيعياً واحداً!! بل وجدنا في هذه المكتبات بعض الكتب التي ألفت ضد الشيعة، ولما تصفحناها وجدنا فيها كذباً وافتراءً على الشيعة ونحن نعيش معهم ولم نجد كل هذا الكذب والافتراء. ووقائع هذه الجلسة موثقة عندي ومسجلة صوتياً.

مكانة الشيعة في العالم الإسلامي

قلتم في ص 34 : "وأما خرج إوان فالنظرة للشيعة الإمامية غير طيبة، لاعتقادهم بأن الشيعة الإمامية فرقة خرجة على الدين ولهذا يصعب قبول حولها". قلت:

أولاً: إن ما عرضته من صورة سيئة وقائمة عن الشيعة الإمامية في أوساط العالم الإسلامي مجانبة للحقيقة، فإن الكثير من الفرق الإسلامية الأخرى تربطها بالشيعة علاقات طيبة، وذلك بسبب النهج الوحدوي الذي يؤكد عليه الشيعة الإمامية، والذي أنتج الجامعات والمعاهد والمؤسسات المشتوكة بين الطوائف كدار التقريب بين المذاهب وغيرها.

مضافاً إلى التريخ المشرف للشيعة الإمامية في الدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين المصيرية كدورهم في ثورة العشرين، حيث دافعوا عن الحكومة (العثمانية) التي رفعت شعار التنسن واضطهدت الشيعة طيلة أيام وسنوات حكمها، وكدورهم المشرف في مقولة الصهاينة والتصدي لهم، في الوقت الذي نفضت الحكومات الإسلامية السنية يدها عن مسؤولية الجهاد ضد أعداء الإسلام، بل لاحظنا أن بعض علماء الوهابية وجَّهوا سهام فتواهم إلى المجاهدين من الشيعة في حزب الله لبنان فوقوا في ذلك في صف اليهود.

ثانياً: إن الحوار بين الشيعة والسنة كان ولال مفتوحاً على مصراعيه وعلى أعلى المستويات العلمية، كإقامة الندوات والحوارات والمؤتمرات والمكاتبات، ومن نتائج وثمار تلك الحوارات كتاب المراجعات بين شخصيتين كبيرتين من الطائفتين، السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ سليم البشوي.

ومن أوضح الأدلة على ذلك ما يجري بيني وبين الكثير من علمائكم، مع وجود الاحترام والتقدير المتبادل فيما بيننا، وما كتابكم هذا إلا وليد هذه الحوارات الطيبة، ولذا أسميته (حوار هادئ)، وإن تضمن الكثير من التجاوزات، التي سنشير إليها لاحقاً.

ثالثاً: إذا كانت هناك نظرة غير طيبة حول الشيعة الإمامية في بعض الأماكن المعروفة، فهي بسبب الأباطيل والافتراءات التي يبثها بعض متعصبي السلفية من الوهابيين، ممن يريد تويق الأمة وتمزيق شملها، وإحداث شوخ بين المسلمين، خدمة لأعداء الإسلام من المستعمرين والطامعين.

ثم إن النظرة السيئة حول طائفة من الطوائف لا يمنع من إجراء الحوار معها، وهذا القوان الكريم مملوء بمناظرات الأنبياء مع الشوائع الباطلة الناتجة عن تقليد الآباء والأجداد، فالتنوع بذلك عن ترك الحوار مما لا ينبغي صدره من باحث متخصص طالب للحقيقة.

المنهج الخاطئ في الحوار والاحتجاج

قلت في ص 34 : "إن الشبه التي أثرها الشيعة لا تكاد توجد شبيهة منها لم يتصد لها علماء السنة بالبيان، فقد ظهر عشرات المؤلفات، وإن كان أسلوب بعضها فيه شدة؛ لكنها قابلت إفاطاً واعتداءً من المخالف ومجزفات في الدعوى لم يتمالك معها بعض العلماء أنفسهم أثناء ردودهم عليها، ومن أوسع ما كتب في ذلك كتاب (منهاج السنة)". قلت:

أولاً: لا أوري كيف تسمي الاحتجاج بالصاح من كتبكم شبيهاً؟

ليس المهم أن يتصدى علماء السنة للرد، وإنما المهم أن يكونوا قد أجابوا عنها جواباً علمياً صحيحاً منسجماً مع أسس الحوار والموضوعية، مع أننا لم نجد بحسب ما تتبعناه في هذا المجال كتاباً يتناول الأدلة والواهين الشيعة بذلك المستوى المذكور.

ثانياً: إن أغلب الكتب الوهابية المؤلفة في مجال الود والحوار أو المناظرات ابتعدت عن روح الموضوعية والبحث العلمي، واتسمت بمنهج التشنج والانفعال والتحامل والعداء، مملوءة بعبوات الشتم والسب والتجريح والافتراء وكيل التهم والرمي بالبدعة والإلحاد والتكفير، ولكي يقف القارئ والباحث على هذه الحقيقة يكفيه مطالعة سريعة لعناوين الكتب التي ألفها الوهابية ضد الشيعة الإمامية في الفترة الأخيرة، من قبيل كتاب: (الشيعة الروافض طائفة شوك وردة) و (خيانات الشيعة) و (أذهبوا فانتم الرافضة) و (حقيقة الشيعة حتى لا ننخدع) و (وجاء دور المجوس) إلى غير ذلك من العناوين التي تحمل روح الحقد والعداء وتقصح عما يكنه القوم من ضغائن أذكى نراها وزاد أولها شيخ إسلامكم ابن تيمية الذي أسس لمنهج التكفير والعداء، ومنه انطلقت صيحات التكفير وقتل المسلمين وإبادتهم.

ولإلالم المسلمون يدفعون ضريبتها، وما زاه اليوم من مشاهد القتل على الهوية ليس إلا نتيجة طبيعة لذلك الفكر المنحرف الذي ابتدعه ابن تيمية في الإسلام، ويؤسفنا أنك لم تستطع التحرر عن هذا المنهج المتطوف، حيث طفح كتابكم . الذي لم يكن حوراً هادئاً . بألفاظ السب والشتم والتوهين وغوها من العبارات، التي أجهزت على ما كنت أتوسمه فيكم من الاعتدال والموضوعية.

ثالثاً: إن ما ذكرناه من منهج ابن تيمية وأتباعه واعترفتم به في ثنايا كلامكم يتنافى مع أسلوب الحوار والمناظرة في مسائل الخلاف الذي صوح به القرآن الكريم المبني على الإنصاف في تحوي الحقائق وروح النصح في مجال الهداية، قال تعالى: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** ⁽¹⁾ ،

(1) النحل: 114.

وقال عز وجل: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}** ⁽¹⁾ ، وهذا المنهج القواني السوي افتقدته كتبكم التي اختصت بهذا المجال.

رابعاً: وأما كتاب منهاج السنة لابن تيمية الذي دعوتني إلى قراءته بتأمل فيجيبك عنه ابن حجر العسقلاني، حيث قال في تقييمه للكتاب: "لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنه ردّ في رده كثراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها؛ لأنه كان لاتساعه في الحفظ ينكل على ما في صوره، والإنسان عامد للنسيان، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه" ⁽²⁾ ، وهذه شهادة صريحة من أحد كبار أعلام السنة في الطعن بكتاب السنة لابن تيمية، وهو يشير إلى أمرين مهمين يكفي أحدهما لإسقاط اعتبار الكتاب:

الأول: رده الكثير من الأحاديث الجياد، وهو دليل على جهله، أو عدم أمانته وعظيم حوائته في ردّ حديث رسول الله(صلى

الله عليه وآله) وشدة تعصبه وتحامله وميله عن الحق.

الثاني: تنقيص علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو دليل على نصبه وعداوته لعلي (عليه السلام)، وحسبك هذا موبقة ومهلكة لصاحبها، حيث صح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي (عليه السلام): "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"⁽³⁾.

(1) آل عمران: 64.

(2) ابن حجر، لسان المizan: ج6 ص320.

(3) أحمد بن حنبل، المسند: ج1 ص128.

الصفحة 239

مضافاً إلى أن الكثير من علماء أهل السنة ومحدثيهم وفقهائهم قد تنبهوا لخطورة منهجه وزيغته عن الإسلام، فوقفوا براءته موقفاً قوياً رادعاً فحكموا بكفوه وردته وزندقته، مما أدى إلى رميه في السجن والتضييق عليه، حتى مات على أثر ذلك. ولكن لاتخاذ فرقة الوهابية مسلك ابن تيمية ومنهجه في الفكر والعقيدة، ورفع كسعار وعنوان لهم في الآونة الأخيرة، والاعتماد عليه بشكل كبير دون غوه، وجعل كتبه مصوراً أساسياً في بناء مذهبهم، سوف نقف قليلاً للحديث عن حياته وبيان عقائده وآراء العلماء فيه وانحرف مسلكه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

التهام بتوك الصحاح واعتماد مصادر التاريخ

قلتم في ص35: فقد اتجهتم إلى كتب التورix ومصادر تعتبر من الدرجة الثالثة عند أهل السنة، وتوكلتم المصادر المعتمدة، وخاصة الصحيحين>.

قلت:

أولاً: إن ما ادعيتموه من عدم اعتمادي على الصحيحين جانبتم فيه الحقيقة والإنصاف، فإن رسالتي التي بعثتها إليكم حفلت بالاعتماد على الصحيحين، لاسيما في المباحث الأساسية من مسائل الخلاف، ويكفي القارئ مطالعة سريعة لهذا الجزء من الكتاب مع الرسالة الموقفة ليقف على صحة ما ذكرناه وبطلان ما ادعيتموه.

ثانياً: كان من الأنسب لك أن تلتزم في كتابك بما تطالب الآخرين من الالتزام به؛ إذ إننا وجدناك ترة تحتج علينا بما جاء في كتبكم، وهو ما يخالف المنهج الصحيح في الاحتجاج والمناظرة كما هو مسلك أهل التحقيق، وترة أخرى تتشبت ببعض الروايات الشاذة والضعيفة أو المرسلة الوردية في بعض مصادرها، كما سيقف القارئ على مواضعها في معرض الإجابة

والرد.

الصفحة 240

مضافاً إلى ما استشهدت به من أهوال الخصوم والمغرضين أو المجاهيل، وهذا إنما يكشف عن خلل كبير في منهج البحث

عندكم، ما يفضي إلى خلل في النتائج.

ثالثاً: إنّ السنة النبوية المباركة هي أجل وأعظم من أن يحويها ويستوعبها كتابا البخري ومسلم، فإن هناك الكثير من الروايات والأحاديث التي صوح البخري ومسلم بصحتها لم يوجها في كتابيهما، وقد نقل ابن حجر في كتابه التعليق أن البخري كان يقول: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صحّ وتروكت من الصحاح كي لا يطول الكتاب ⁽¹⁾.
وقال الحزمي: فقد ظهر أن قصد البخري كان وضع مختصر في الحديث وأنه لم يقصد الاستيعاب لا في الرجال ولا في الحديث ⁽²⁾.

وأما بالنسبة إلى مسلم فقد صوح بهذه الحقيقة في صحيحه في باب التشهد في الصلاة، الحديث (63) من كتاب الصلاة؛ وذلك عندما سأله أبو بكر ابن أخت أبي النظر عن حديث أبي هريرة في هذا الباب، فأجابه قائلاً: هو عندي صحيح، فقال: لم لم تضعه هاهنا؟ قال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه ⁽³⁾.

(1) ابن حجر، تعليق التعليق: ج5 ص420، المكتب الإسلامي . الأردن.

(2) نقلاً عن مقدمة صحيح ابن حبان: ج1 ص6، مؤسسة الوسالة . بيروت.

(3) مسلم، صحيح مسلم: ج1 ص304.

الصفحة 241

وذكر النووي في شروحه على صحيح مسلم، أن مسلماً قال: إنما أخرجت هذا الكتاب وقلت هو صحح، ولم أقل إن ما لم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف، وإنما أخرجت هذا الحديث من الصحيح ⁽¹⁾.

وفي تريب الولي: قال الإمام أحمد: صح سبعمائة ألف وكسر، وقال: جمعت في المسند أحاديث انتخبته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفاً ⁽²⁾ والتعابير في هذا المجال كثرة، وكلها صريحة في أن السنة الصحيحة لم يجمع منها في الصحيحين إلا نزر يسير جداً، وقد جمعت تلك الأحاديث في المجامع الحديثية الأخرى، فالعمدة في قبول رواية أو ردّها هو صحّتها، سواء وجدت في الصحيحين أو في أي كتاب آخر من كتب الأحاديث، كالمسانيد والسنن.

وأما تقسيم الكتب على درجات وراتب، فهو وإن أشار إليه بعض علمائكم، إلا أنه لا معنى له بعد أن كان الأساس في الاعتماد على الحديث أو تركه هو صحته أو ضعفه، وقد حاولت في رسالتي التي بعثتها إليكم أن اعتمد في أسس المسائل الخلافية على الصحيح، والمعتبر من الروايات.

ثم إنه لا أروي كيف تسوخ لنفسك أنه تحصر العلم وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) بالصحيحين، ويضيق صدرك بما تعتقده الشيعة من أن النبي (صلى الله عليه وآله) اختص علياً (عليه السلام) بعلمه، وأن الصحابة كانوا يرجعون إليه فيما أشكل عليهم في مسائل العقيدة والأحكام الشرعية!!

(1) النووي، شرح صحيح مسلم: ج 1 ص 26.

(2) السيوطي، ترتيب الروي: ص 75، دار الحديث . القاهرة.

الصفحة 242

رابعاً: إننا وإن كنا لا نعتمد بالدرجة الأساس على كتب التريخ في معرفة الحقيقة، ولكن ليس من الصحيح علمياً إسقاطها من مصادر المعرفة؛ ولذا نجد أن للتريخ علمه ومناهجه الخاصة، وقد اهتمت به المراكز العلمية منذ القدم، وأسست لرواسته أقساماً وفروعاً في شتى الجامعات والمعاهد، وليس ذلك إلا لدور التريخ البالغ في رسم بعض معالم الحقيقة؟ ولو لم يكن التريخ وعلمه منتجاً في الوقوف على بعض الحقائق لأصبحت رواسته لغواً وعبثاً، ولزم من ذلك إسقاط جميع كتب التريخ بما فيها تريخ الطوي وابن كثير وابن الأثير وابن عساكر وتريخ الذهبي والعاصم من القواصم وغوها من كتب التريخ التي لها مكانتها الخاصة في المذهب السني.

خصوصاً وأن الكثير من كتب التريخ تعتمد على منهج أهل الحديث في نقل الروايات، كذكر أسانيدنا وطوقها وتصحيحها في كثير من الأحيان والتعرض لرواتها في النقد أو التوثيق، نظير كتريخ الخطيب البغدادي وتريخ ابن كثير وغوها. أضف إلى ذلك أن بعض الحوادث التريخية أو جملة من الروايات المذكورة فيها وإن كانت ضعيفة على منهج أهل الحديث: إلا أنها تصلح كقوية وشاهد تضم إلى الروايات والقوائن الأخرى، فيقوي بعضها بعضاً، وتشكل بمجموعها دليلاً يورث الاطمئنان بثبوت حقيقة من الحقائق، لها تأثيرها المباشر على المعرف الدينية بما فيها العقائد. وهذا هو المنهج الصحيح في التعامل مع كتب المعرفة الدينية لا منهج الإسقاط والإلغاء من الأساس.

الصفحة 243

الالتهام بالاعتماد على الروايات الضعيفة

قلتم في ص 35 :> ثم توسعتم في الاستدلال بالأحاديث الضعيفة، وأعرضتم عن الأحاديث الصحيحة التي تثني على أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله)>.

قلت:

أولاً: إن اتهامك لي بالاعتماد على الأحاديث الضعيفة جانبت فيه الصواب كثراً، وأترك الحكم في هذه النقطة إلى القارئ الكريم لوى مدى بطلان ما ذكرتموه.

ثانياً: إننا لم نجد حديثاً صحيحاً على مبانيكم يثني على جميع الصحابة، ولو كان هناك حديث في هذا المجال فلا بأس بترويدنا به.

قلتم في ص 35: ثم أبطلتم دلالات الآيات التي تثني على الصحابة أو قيدتموها لتتفق مع معتقداتكم.>

قلت: إنني لم أقيد الآيات المادحة لبعض الصحابة من تلقاء نفسي، وإنما هي مقيدة بنفسها؛ إذ لم نجد . كما ذكرنا وسيأتي

أيضاً . آية واحدة مطلقة تثني على جميع الصحابة، فإن كانت هناك آية مطلقة ومنفق على إطلاقها فوجو أن نطلعونا عليها.

وأما ما ذكرتموه في كتابكم من آيات زعمتم أنها مطلقة وشاملة لجميع الصحابة، فمضافاً إلى أنني أجبت عنها في رسالتي سأجيب عنها مفصلاً في كتابي هذا.

الصفحة 244

الاتهام باعتماد أسلوب الانتقاء في الروايات

قلت في ص 35 : ثم واهتم القرئ بأن أكثر أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله) منافقون إن لم يكن جميعهم، ثم واهتم القرئ بأنه لا يمكن معرفة المؤمنين من المنافقين على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله)... إلى آخر الاستدلالات الانتقائية.>

قلت:

أولاً: لماذا يا أخي هذا التجني والافتراء!؟

وأين تلك العيلة التي توهم بأن أكثر أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله) منافقون!؟

ونحن وإن كنا نعتقد أن المنافقين كانوا يشكلون طائفة كبيرة في مجتمع الصحابة، كما دلت على ذلك الآيات والروايات على ما سنأتي الإشارة إليه لاحقاً، ولكن لا نعتقد أن أكثر أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله) أو جميعهم منافقون - كما اتهمتنا. فإن هذا لا يؤمن به مسلم منصف، كيف ذلك وفيهم النجباء والأخيار والمجاهدين والشهداء!؟

ثانياً: إن مسألة عدم معرفة المنافقين في عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) سيأتي الحديث عنها لاحقاً، حيث سنذكر في محله . بحسب مصادركم . أن الله تعالى لم يطلع نبيه الأكرم(صلى الله عليه وآله) على جميع المنافقين، وإنما كان يعرف بعضهم. ثالثاً: وأما اتهامكم لي بانتهاج أسلوب الانتقاء في الأخذ من مصادركم، يفصح عن عدم معرفتكم بأساليب الاحتجاج والمناظرة في مسائل الخلاف؛ فإن مقتضى ذلك أن الخصم إذا أراد أن يؤم الطرف المقابل بأحقية ما يعتقد أو يبرز مواضع الخطأ والتناقض في عقيدة الخصم، أن يتمسك ويحتج بما يصح عند خصمه، ولا يعد هذا انتقاء.

الصفحة 245

الاتهام بالانتقائية في أحاديث الفضائل

قلت في ص 3635 :الواقف على رسالتكم روى منهاجاً غريباً... فقد تركتم الراجح الأصلية عند أهل السنة والأحاديث التي نثي على عظماء الصحابة وتركيبهم... ثم عمدتم إلى أحاديث ضعيفة أو موضوعة زعم وجود وصية خانها هؤلاء.>

ثم أوردتم روايات في مدح أبي بكر (رض) كنموذج لذلك.

قلت:

أولاً: ذكرنا لكم أن هذا ليس من الانتقاء في شيء، بل هو ما يقتضيه منهج الاحتجاج في المناظرة.

ثانياً: ما ذكرتموه من أحاديث في مدح أبي بكر من كتبكم ليس من الصحيح حسب ما قررناه من المنهج في الاحتجاج أن

تحتج بها عليها، لأننا لا نعتقد بصحة هذه الأحاديث لأنها لم تود من طرفنا.

ثالثاً: أما ما أوردته من روايات المدح في بعض كتبنا، فهي عيلة عن روايات ضعيفة جداً على المباني الحديثية والوجالية عندنا، مضافاً إلى خلو الكثير منها عن عبارات المدح.

رابعاً: لا يخفى عليكم أن مسألة تنوين الحديث مرت بعوالم وتقلبات متباينة، فقد منع الحديث والتنوين ما يقرب قون من الزمان، ثم دون الحديث تحت إشراف ورعاية السلطة الأموية بكل ما تحمله من حقد وعداء لعلي وأبنائه (عليهم السلام) وشيعته، فعمدوا إلى طمس فضائلهم، ونقل الأحاديث التي وردت في حقهم وفضلهم إلى غروهم من الصحابة، مضافاً إلى الأحاديث التي وضعوها كذباً وزوراً للتغطية على مسألة أحقية علي (عليه السلام) في الإمامة والخلافة؛ ولذا عد باب الفضائل أول باب طوقه الوضع والدس.

الصفحة 246

فقال ابن تيمية في مقام استعراض طوائف الوضاعين: ومثل الذين كذبوا أحاديث في فضائل الأشخاص والبقاع والأرمنة، وغير ذلك، لظنهم أن موجب ذلك حق أو لغرض آخر⁽¹⁾.

فعلى الباحث المنتور أن يقف متأملاً عند هذه الحقيقة، وأن يدرس ويحلل ويستنتج ما مر به تليخ تنوين الحديث وما تدخلت به من سياسات مغوضة وحكومات ظالمة.

خامساً: إن ما ذكرته من أحاديث الفضائل استخدمت فيه أسلوب الانتقاء الذي اتهمتنا به، حيث انتقيت من طرفنا روايات ضعيفة سنداً وغير ظاهرة دلالة، وتوكت الروايات الصحيحة الأخرى الواضحة في خلاف ما ذكرته، كما انتقيت أيضاً روايات الفضائل من كتبكم وأعرضت عن الروايات الأخرى التي انتقدت الخليفة أبا بكر (رض) في الكثير من مواقفه، والتي تعرض روايات الفضائل، فكان الأجدر بك أن تعالج ذلك التعرض والتناقض. ومن أمثلة روايات الانتقاد:

1 . ما قاله عمر لعلي (عليه السلام) والعباس عندما جاءا يطلبان حقهما في المراث:

<فقال أبو بكر: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما نورث ما تركناه صدقة فأيتماه كاذباً أثماً غاوراً خائناً⁽²⁾.

(1) ابن تيمية، رء التعرض: ج3 ص329 . دار الكنوز الأدبية والوياض.

(2) مسلم، صحيح مسلم: ج3 ص1378.

الصفحة 247

2 . ما أخرجه الصنعاني والطواني⁽¹⁾ وابن سعد⁽²⁾ وابن كثير⁽³⁾ وغوهم . واللفظ للأول . أن أبا بكر خطب قائلاً: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كلها، ولوددت لو أن فيكم من يكفيني، فتظنون أنني أعمل فيكم سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا لا أقوم لها، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وأني لي شيطاناً يعزوني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أوتر في أشعلكم، ولا أبشركم ألا فاعوني ! فإن أستقمت فأعينوني، إن زغت فقوموني⁽⁴⁾.

وهذا اعتراف من أبي بكر بأنه لا يتميز عن غوه من الصحابة بما ذكرته من الفضائل، بل هو كسائر الناس، فله شيطان

يورده مولد الخطايا والزلل والزيغ.

3 . ما أخرجه البخري في صحيحه عن ابن أبي مليكة في سبب قول قوله تعالى: **{لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}**، حيث قال: كاد الخوان أن يهلكا، أبو بكر وعمر، لما قدم على النبي (صلى الله عليه وآله) وفد بني تميم، أشار أحدهما بالأقوع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغوه، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلفي، فقال عمر: ما أردت خلفك، فلرفعت أصواتهما عند النبي (صلى الله عليه وآله) ⁽⁵⁾ فقلت الآية.

(1) (الطوي، تزيخ الطوي: ج2 ص460.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج3 ص212، دار صادر . بيروت.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية: ج6، ص334، دار إحياء التراث العربي.

(4) عبد الزق الصنعاني، المصنف: ج11 ص336، منشورات المجلس العلمي.

(5) البخري، الجامع الصحيح: ج4 ص394، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

الصفحة 248

4 . ما أخرجه البخري أيضاً عن عائشة قالت: <إن فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) أرسلت إلى أبي بكر تسأله موآتها إلى أن قالت: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرتة، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر ⁽¹⁾.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حق فاطمة: إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ⁽²⁾.

وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني ⁽³⁾، وقال ابن حجر في فتح البلي حول هذه

الرواية: استدلل به السهيلي على أن من سبها فانه يكفر، وتوجيهه أنها تغضب ممن سبها، وقد سوى بين غضبها وغضبه، ومن أغضبه (صلى الله عليه وآله) يكفر ⁽⁴⁾.

وغير ذلك من الروايات الكثرة، التي لم نقلها راية للاختصار، وهي تشكل علامات استفهام حول ما يذكر من كتبكم في

الفضائل.

(1) البخري، الجامع الصحيح: ج3 ص77، كتاب المغزي.

(2) مسلم، صحيح مسلم: ج4 ص1903، كتاب فضائل الصحابة.

(3) البخري، الجامع الصحيح: ج2 ص446، كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) ح3714.

(4) ابن حجر، فتح البلي: ج7 ص82..

الصفحة 249

الآيات الدائمة لجملة من الصحابة وبعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله)

قلت في ص 44 : "فإن الصحابة (رض) قد مدحهم الله عز وجل ولم يذمهم وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن لم يرد فيهن ذم".

قلت: الجواب على الشبهة المذكورة يقع ضمن العناوين التالية:

أولاً: الآيات الدائمة لبعض الصحابة

إن قولكم: "فإن الصحابة رض" قد مدحهم الله عز وجل" ليس دقيقاً؛ لأن الآيات الواردة في مدح الصحابة مجملة، والمدح فيها مشروط باستئثارهم على الإيمان والطاعة والإلتحاق للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وسيأتي تفصيل الكلام في هذه النقطة لاحقاً.

وأما قولك: "بأن الله تعالى لم يذم الصحابة" فهو خلاف التحقيق والتتبع؛ إذ أن الآيات المبركة التي تعرضت لذم بعض الصحابة كثرة جداً مع توقع واختلاف ألفاظ الذم والتوقيع، ونشير فيما يلي إلى بعض تلك الآيات تاركين التفصيل إلى الكتب التي اختصت بهذا المجال ⁽¹⁾ :

1. قوله تعالى: **لَوْ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ⁽²⁾ ، فإن هذه الآية المبركة تولت في بعض من أسلم ورأى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

(1) راجع: الصحبة والصحابة، حسن بن فوحان المالكي؛ نظرية عدالة الصحابة أحمد حسين يعقوب؛ الصحابة في حجمهم الحقيقي، الهاشمي بن علي.

(2) الحج: 11.

الصفحة 250

ذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم، بسنده عن ابن عباس قال: "كان ناس من الأعراب يأتون النبي (صلى الله عليه وآله) فيسلمون، فإذا رجوا إلى بلادهم فإن وجنوا عام غيث و عام خصب و عام وولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا لصالح تمسكوا به، وإن وجنوا عام جنوبية و عام وولاد سوء و عام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأقول الله على نبيه: **لَوْ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ** ⁽¹⁾ ، وقد أخرج هذه الحادثة البخاري أيضاً في صحيحه بألفاظ أخرى ⁽²⁾ .

ومن الواضح أن أولئك الأعراب هم من الصحابة؛ لكونهم مشمولين بتعريف البخاري وأحمد والنووي وابن حجر وغوهم؛ وذلك لأنهم كانوا يأتون إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ويرونه ويسلمون ويهتنون على يديه، وهذا القدر كاف في احتساب الشخص من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحسب تعريف هؤلاء الأعلام.

قال البخاري في صحيحه: "ومن صحب النبي (صلى الله عليه وآله) أوراها من المسلمين فهو من أصحابه" ⁽³⁾ .

(4)

وقال أحمد بن حنبل: "كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة ورآه فهو من أصحابه له الصحبة" .
وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: "فأما الصحابي فكل مسلم رأى رسول الله ولو لحظة، هذا هو الصحيح في حده،
وهو مذهب أحمد بن حنبل وأبي عبد الله البخاري في صحيحه والمحدثين كافة"⁽⁵⁾ .

(1) ابن كثير، القآن العظيم: ج3 ص219 ، دار المعرفة . بيروت.

(2) البخاري، صحيح البخاري: ج3 ص224، كتاب، التفسير باب، 190 ، دار الفكر . بيروت.

(3) البخاري، صحيح البخاري: ج2 ص406 ، كتاب، الفضائل، باب التفسير، دار الفكر . بيروت.

(4) أحمد بن حنبل، أصول السنة: ص40، دار المنار . السعودية.

(5) النووي، شرح صحيح مسلم: ج1 ص35.36 ، دار الكتاب العربي . بيروت.



ولا شك أن الآية المبركة واضحة في أشد أنواع الذم والتوبيخ والتوبيخ على عبادتهم السطحية ومعرفة الساذجة عن

الإسلام، بل الآية صريحة في لتداد أولئك الصحابة من الأعواب والحكم عليهم بالخسوان المبين في الدنيا والآخرة.

2. قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}**⁽¹⁾، ولا يخفى

أن المقت هو أشد البغض والغضب والبعد عن رحمة الله تعالى، كما هو صريح كلمات اللغويين⁽²⁾ والمفسرين⁽³⁾، وهل هناك

تعبير أدل على الذم والتوبيخ من التعبير بألفاظ البغض والغضب والطرد عن الوحمة الإلهية؟!

والآية المبركة كما هو صريح كلمات المفسرين وغوهم قد تولت في بعض الصحابة الذين كانوا يقولون ما لا يفعلون،

ولاشك أن هذه صفة ذميمة من صفات المنافقين.

قال الطوي في تفسيره:

(1) الصف: 32.

(2) انظر: الجوهر، الصحاح: ج1 ص266، دار العلم للملايين؛ لسان العرب: ج2 ص90، دار صادر.

(3) (الطوي، جامع البيان: ج22 ص172، دار الفكر . بيروت؛ معاني القرآن، النحاس: ج5 ص462، جامعة أم القوي .

السعودية.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أتت هذه الآية، فقال بعضهم: أتت توبيخاً من الله لقوم من المؤمنين تمنوا

معرفة أفضل الأعمال فعرفهم الله إياه، فلما عرفوا، ففوتوا بهذه الآية... وقال آخرون: بل أتت هذه الآية في توبيخ قوم من

أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان أحدهم يفتخر بفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول: فعلت كذا، وكذا،

فعدلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذباً⁽¹⁾، وهذا البيان الذي ذكره الطوي، من أن الآية دالة على توبيخ الصحابة وأنه

عتاب وعدل من الله تعالى، دال بوضوح على أن العتاب قد يتضمن التوبيخ، بل أشد أنواع الذم كما هو واضح من معنى المقت

الذي أشرنا إليه.

وقال ابن كثير في هذا المجال:

"عن ابن عباس في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}** قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَفُوضَ

الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال: إيمان به لا

شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما قرأ الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره،

فقال الله سبحانه وتعالى: **{لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}** "وهذا اختيار ابن جرير".

وقال مقاتل بن حيان:

"قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، فدلهم الله على أحب الأعمال إليه، فقال: **{إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ**

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِفًا} فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك، فولوا عن النبي (صلى الله عليه وآله) مدبرين، فأقول الله في ذلك: **{يَا**

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}"⁽²⁾.

(1) ابن جرير الطوي، جامع البيان، ج 28 ص 107.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4 ص 382. 383، دار المعرفة . بيروت.

الصفحة 253

واختار ابن جرير في تفسيره أن الآية تزلت في المؤمنين دون المنافقين، معللاً ذلك بقوله: "لأن الله جل ثناؤه خاطب بها

المؤمنين، فقال: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}** ولو كانت تزلت في المنافقين لم يسوا ولم يوصفوا بالإيمان"⁽¹⁾.

3. قوله تعالى: **{إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَأَدْرَأَتْ أَبْصَارُ الْخُلُوفِ الْحُنَّاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا *}**

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلُوزُوا أُولَ الْأَشْدِيدَا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا

غُرُورًا}"⁽²⁾.

قال القرطبي في تفسيره للآية وبيان سبب نزولها:

"وذلك أن طعنة بن أبيرق ومعتب بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلاً قالوا يوم الخندق: كيف يعدنا كنوز كسرى

وقيصرو ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز؟"⁽³⁾.

وقد عد أصحاب الزاحم طعنة بن أبيرق الأنصري من الصحابة وذكروا أن معتب بن قشير ممن شهد بواً وأحداً

وأوجه في عداد الصحابة أيضاً"⁽⁴⁾.

فإن كان أولئك الصحابة من المنافقين، فذمهم وتوقيعهم في القرآن لا يحتاج إلى بيان، فقد ذمهم الله في مواضع عديدة في

كتابه العزيز، بل أقول الله تعالى سورة كاملة في ذمهم ومسمّاة باسمهم، وإن كانوا من الذين في قلوبهم مرض، فقد قال الله

تعالى في حقهم: **{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَوُادَّتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ *}**

*** وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَوُادَّتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رُجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}**"⁽⁵⁾، ولا تجد أضح في الذم من هذا البيان

الورد في الآية المبركة.

(1) ابن جرير الطوي، جامع البيان، ج 28 ص 108.

(2) الأخواب: 12.10.

- (3) القوطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج14 ص147 ، مؤسسة التريخ العربي . بيروت .
 (4) لاحظ: الإصابة في تمييز الصحابة: ج3 ص420؛ الطبقات، ابن سعد: ج3 ص463.
 (5) التوبة: 124. 125.

الصفحة 254

4 . قوله تعالى: **لَوْ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْتُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا**⁽¹⁾ .
 فهل يعد هذا البيان في الآية مجرد عتاب خال من كل أشكال القدرح والذم والتأنيب؟
 قال البغوي في تفسيره للآية: "قلت في رجل من أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله) قال: لئن قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأنكحن عائشة، قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله، فأخوه الله عز وجل أن ذلك محرّم، وقال: **إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا** أي: ذنباً عظيماً"⁽²⁾ .
 وقال الألوسي في تفسيره للآية:

" **إِنَّ تَوْثُورَ رَسُولِ اللَّهِ** أي: تفعلوا في حياته فعلاً يكرهه ويتأذى به.... **لَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا** من بعد وفاته أو فواقه، وهو كالتخصيص بعد التعميم، فإن نكاح زوجة الرجل بعد فواقه إياها من أعظم الأذى"⁽³⁾ .

إذن كان بعض الصحابة ممن كانت له صحبة طويلة وهجرة وجهاد كطلحة وغوه يؤنون النبي(صلى الله عليه وآله) بأقوالهم وأفعالهم، مما أدى إلى نزول قرآن وآيات مبكرة توبخهم على ذلك، وقد ذمت آيات قرآنية أخرى الذين يؤنون النبي(صلى الله عليه وآله) ولعنتمهم وتوعدتهم بالعذاب المهين، قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**⁽⁴⁾ .

(1) الأخاب: 53.

(2) البغوي، تفسير البغوي: ج3 ص541.

(3) الألوسي، روح المعاني: ج22 ص72.

(4) الأخاب: 57.

الصفحة 255

هذه بعض الآيات المبكرة التي ذمت ووبخت جملة من الصحابة، وهناك آيات كثيرة أخرى ذكرت بعضها في الرسالة التي بعثتها إليك وهي مرفقة في هذا الكتاب، كما أن هناك آيات وافرة في هذا المجال سنذكرها في الأجابة اللاحقة، مضافاً إلى ما تول بحق المنافقين الذين سنبين أنهم من الصحابة أيضاً، وآيات ذم المنافقين لا تخفى على سعادتك.

ويضاف إلى ذلك كله جملة من الروايات المتضافرة والأحداث التاريخية الحافلة بتجاوزات بعض الصحابة وإيذائهم

للنبي(صلى الله عليه وآله) وما بدر من ذم وتوقيع شديدين من قبله(صلى الله عليه وآله) لهم، فإن إنكار ذلك لا يخلو عن

ثانياً: الآيات الذااة لبعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله)

إن قولكم: "وأهات المؤمنن (رض) لم يرد فهن ذم" لا يصدر من أستاذ فاضل مثلكم، درس ودرس العلوم الإسلامية فرة طويلة من الزمن في الجامعات الدينية والأكاديمية، لأنه لا يخفى على فضيلتكم أن هناك آيات مبركة عديدة، صريحة الدلالة في ذم وتوبيخ وتهديد بعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله) بأشد عبارات الذم وأغلظها، ونشير فيما يلي إلى بعض تلك

الآيات على سبيل الاختصار:

1. قوله تعالى: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَفَكُنَّ أَنْ يَبَدِلَةَ أَزْوَاجًا خَوْاٰ مُنَّكِنَّ﴾** (1).

(1) التهريم: 5.4.

الصفحة 256

إن هاتين الآيتين قولتا في عائشة وحفصة باتفاق المفسرين والمحدثين، وذكروا أنهما قد آذينا النبي (صلى الله عليه وآله) وتعاونتا على معصيته وإغضابه، فاعتزلهن مدة من الزمن، فأقول الله تعالى هذه الآيات المبركة تطالبهن بالتوبة على فعلتهن، وفي غير هذا الحال فقد توعدهن الله تعالى وهدهن بالتظاهر عليهن وتطبيق النبي (صلى الله عليه وآله) لهن، وهذا البيان في الآيات المبركة بالإضافة إلى تضمنه الذم والتقريع والوعيد لهما، فإن ما ذكره المفسرون في سبب نزول الآيات صريح في إيذاء حفصة وعائشة للنبي (صلى الله عليه وآله) ومعصيتهما له، وقد قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي**

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

قال السمرقندي في تفسيره:

"**﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾** يعني: تعاونا على أذاه ومعصيته، فيكون مثلكما كمثل امرأة فوح وامرأة لوط، تعملان عملاً تؤذيان بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)" (1).

وقال القوطي في تفسيره:

"**﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾** أي: تتظاهرا وتتعاونان على النبي (صلى الله عليه وآله) بالمعصية والإيذاء" (2).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب (رض)، قال:

(1) السمرقندي، تفسير السمرقندي: ص446.

(2) القوطي، الجامع لأحكام القرآن: ج18 ص189، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

الصفحة 257

"فدخلت على عائشة، فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقالت: مالي ومالك يا بن الخطاب، عليك بعيبتك، قال: فدخلت على حفصة بنت عمر، فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله، والله لقد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يحبك، ولولا أنا لطلقك" (1).

2. قوله تعالى: **لَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** (2).
قال القوطبي في تفسيره لقوله تعالى: **لَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ**.

قال المفسرون: تولت في امرأتين من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت خصوبها بسببية وهي ثوب أبيض، ومثلها السب، وسدلت طرفيها خلفها فكانت تحوها، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه كانت سخريتهما.

وقال أنس وابن زيد: تولت في نساء النبي (صلى الله عليه وآله) عيون أم سلمة بالقصر، وقيل: تولت في عائشة أشلرت بيدها إلى أم سلمة، يا نبي الله إنها لقصوة، وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفة بنت حبي بن أخطب أتت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالت: يا رسول الله، إن النساء يعرونني ويقلن لي يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله): هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد" (3).

والآية المبركة كما هو واضح تضمنت جملة من ألفاظ الذم والتهمم والنهي والتهديد والتوعّد بسوء العاقبة، حيث عبرت بلفظ (بئس) الذي هو من أساليب الذم في اللغة العربية، ونهت الذين نعتهم بالإيمان عما بدر منهم من السخرية واللمز والتناز بالألقاب وأسماء الفسوق وأمرتهم بالتوبة، وتوعدتهم أن يكونوا مع الظالمين إن لم يكفوا عن فعلهم الشنيع.

(1) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج2 ص1105، كتاب الطلاق، باب الإيلاء ح 1479، دار الفكر . بيروت.

(2) الحوات: 11.

(3) القوطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج16 ص326.

ولا أجد أسلوباً أشد من هذه الأساليب في بيان ذم الشخص وتوبيخه، ولو أنكرنا دلالة هذه التعابير على الذم والتوبيخ فإنه لا يثبت لنا ذم لفاسق أو منافق أو كافر في القرآن الكريم؛ لأن الآيات التي وردت في ذمهم وتوقيعهم لا تتجاوز هذه الألفاظ الواردة في هذه الآيات المبركة في حق نساء النبي (صلى الله عليه وآله) وبعض الصحابة.

قال الفخر الرازي في تفسيره:

"**وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ**؛ أمرهم بالتوبة عما مضى وإظهار الندم عليها مبالغة في التحذير وتشديداً في الجزر" (1).

وقال البيضاوي في تفسيره أيضاً:

"فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب .

وقال الشوكاني في تفسيره:

"وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} لِإِتِّكَابِهِمْ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَامْتِنَاعِهِمْ عَنِ التَّوْبَةِ، فَظَلَمُوا مِنْ لِقْوِهِ، وَظَلَمَهُمْ أَنْفُسُهُمْ بِمَا لُؤِمَهُمْ مِنَ الْإِثْمِ"⁽³⁾ .

(1) (الفخر الوري، تفسير الفخر الوري: ج28 ص133.

(2) (البيضوي، تفسير البيضوي: ج5 ص218، دار الفكر . بيروت.

(3) (الشوكاني، فتح القدير: ج5 ص64، عالم الكتب.

الصفحة 259

وهناك آيات أخرى تصوح بعصيان بعض نساء النبي وإيذائهن لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وذنم الله عز وجل لهن⁽¹⁾ . وقد أكد هذا المعنى الكثير من الروايات المتضافرة التي تنص على إيذاء عائشة لرسول الله(صلى الله عليه وآله) في مواطن كثيرة، فلطالما آذته في التجاوز على من يحب من نسائه حسداً منها، فقد كانت تدم خديجة (عليها السلام) وتتهجم عليها بألفاظ قاسية وهي لم تها، كل ذلك حسداً منها لما زاه من متولة ومحبة خاصة لخديجة في قلب النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)، وكان ذلك يؤذي رسول الله(صلى الله عليه وآله) ويغضبه، وهذا ما أخرجه المحدثون في مجامعهم بأسانيد معتوة. فقد أخرج أحمد في مسنده بسند صحيح عن عائشة، قالت: "ذكر رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوماً خديجة فأطنب في الثناء عليها، فأركني ما يترك النساء من الغوة، فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجز من عجائز قريش حمراء الشدقين، قالت: فتغير وجه رسول الله تغوراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي وعند المخيلة⁽²⁾ حتى يعلم رحمة أو عذاب"⁽³⁾ .

وفي لفظ آخر: "فتمعر⁽⁴⁾ وجهه تموراً ما كنت رآه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينظر لرحمة أم عذاب"⁽⁵⁾ ،

(1) (الأخاب: 28. 30 ، راجع الطوي والقوطني وغوهما في تفسير هذه الآيات.

(2) (المخيلة: السحابة المخيلة والمخيل والمختالة التي تحسبها ماطرة، الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ج3 ص372.

(3) (أحمد بن حنبل، المسند: ج17 ص542 ، دار الحديث . القاهرة، تحقيق: حوزة أحمد الزين، وقد حكم على الحديث بأن إسناده صحيح.

(4) (تمعر: وتمعر لونه عند الغضب: تغير، الجوهري، الصحاح: ج2 ص818.

(5) (أحمد بن حنبل، المسند: ج17 ص532 ، دار الحديث . القاهرة، تحقيق: حوزة أحمد الزين، وقد حكم على الحديث بأن إسناده صحيح.

وقد أخرج الحاكم في المستدرک أيضاً، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي قائلاً: "على شرط مسلم" (1)، وقال الهيثمي: "رواه أحمد وإسناده حسن" (2)، وقال ابن كثير في تعليقه على سند الحديث: "وهذا إسناد جيد" (3)، والحديث رواه البخاري (4)، ومسلم (5)، وابن حبان (6)، وغيرهم بألفاظ مختلفة.

فهذه الآيات الشريفة وغيرها والأحاديث النبوية الصحيحة تبين لنا مدى المعاناة التي كان يكابدها النبي (صلى الله عليه وآله) والأذى الذي كان يتحمله من المقربين إليه في متولاه، والذي يعتبر من أعظم الأذى عليه، بل هو يعتبر أيضاً توجمة حية للحديث النبوي الشريف المعروف: "ما أؤذي أحد ما أؤذيت في الله" (7).

ثالثاً: العتاب المتضمن للذم والتوبيخ

لقد استغوبت كثيراً من قولكم: نعم، وردت آيات عتاب لا تنقص من مكانتهم التي ثبتت في عثوات الآيات المادحة، وتسمية ذلك ذماً من أعجب الكلام، فليس كل عتاب في القرآن يكون ذماً.

- (1) الحاكم، المستدرک على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص: ج4 ص318، دار الكتب العلمية . بيروت.
- (2) الهيثمي، مجمع الزوائد: ج9 ص224، دار الكتب العلمية . بيروت.
- (3) ابن كثير، البداية والنهاية: ج3 ص158، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
- (4) البخاري، صحيح البخاري: ج2 ص444، ح3750، دار الفكر . بيروت.
- (5) مسلم، صحيح مسلم: ج4 ص1889، كتاب الفضائل ح2437، دار الفكر . بيروت.
- (6) ابن حبان، صحيح ابن حبان: ج15 ص468، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، وقال في حكمه على الحديث: إسناده صحيح على شرط مسلم.
- (7) الألباني، صحيح الجامع الصغير: ج2 ص976، نشر المكتب الإسلامي، وقال عنه الألباني: حسن.

فإنه مما تقدم اتضح أن الآيات المبلركة استعملت أشد ألفاظ الذم والتوبيخ والتهديد في حق جملة من الصحابة وبعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك كالحكم على بعضهم بالارتداد والخسوان المبين والمقت والغضب والطرد عن رحمة الله تعالى واللعن في الدنيا والآخرة، وغير ذلك مما تقدم من ألفاظ الذم والتوبيخ، التي لا يمكن حملها على مجرد العتاب واللوم، بل إن حمل تلك الألفاظ الشديدة على العتاب والملامة الخفيفة تحكّم وبلا دليل.

ويضاف إلى ذلك ما ذكرناه من أن العتاب ذاته قد يتضمن في كثير من الأحيان الذم والتوبيخ، ويفهم ذلك من الكلام الصادر في مقام العتاب المشتمل على ألفاظ الذم، وكذا يفهم من مقام حال المتكلم والظرف والواقعة التي صدر الكلام لبيانها والحكم

عليها، ولا يخفى ذلك على من لاحظ الاستعمالات العربية في هذا المجال، حيث وادف في كثير من الأحيان بين لفظ العتاب وألفاظ الذم والتوبيخ والتوبيخ، وقد قلتم في تقرير هذه الحقيقة: "فليس كل عتاب في القرآن يكون ذماً" مما يعني أن بعض العتاب قد يكون ذماً أيضاً، وهو ما أثبتناه في الآيات السابقة في حق بعض الصحابة ونساء النبي (صلى الله عليه وآله)، ووضح به القوطي أيضاً فيما تقدم من كلامه.

آيات عتاب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)

قلتم في ص 45 : "فإن الله قد عاتب من هو أفضل من الصحابة ومن أمهات المؤمنين وما كان ذلك ذماً؛ فقد عاتب نبينا محمداً في عدة مواطن ولم يكن ذلك ذماً. عاتبه في الأعمى، وعاتبه في الأسوى، وعاتبه في موضوع هولاء زيد، وعاتبه في تحريم ما أحل سبحانه، ولم يكن ذلك ذماً، أو منقصاً من مكانته صلوات الله وسلامه عليه".

الصفحة 262

قلت: الجواب على ما بينتموه من إشكال يتضمن الأمور التالية:

أولاً: التباين بين عتاب النبي (صلى الله عليه وآله) وعتاب غيره

لو افترضنا جدلاً أن الله تعالى عاتب نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فإن عتابه يختلف تماماً عن ألفاظ الذم والتوبيخ التي خاطب الله تعالى بها بعض الصحابة، فإن خطاب الله تعالى لنبيه الأكرم بلفظ: **{عَفَاَ اللَّهُ عَنْكَ}** وأما خطابه لبعض الصحابة فقد جاء بألفاظ: **{وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْفَلَبْ عَلَى وَجْهِهَا خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ}** وأمثالها من ألفاظ الذم أو ما يسمى بالعتاب المتضمن للتوبيخ والتوبيخ، وهذا ما لم يتضمنه خطاب الله تعالى مع نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله) إذا افترضنا أنه من ألفاظ العتاب.

ثانياً: لا يوجد عتاب للنبي (صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم

نحن نعتقد أن المورد التي ذكرتها في حق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) خالية عن كل أشكال العتاب واللوم في حقه، وإنما العتاب فيها متوجه إلى مخاطبين آخرين كالصحابه وغيرهم.

1. آيات العتاب على الأعمى

أما بالنسبة إلى مسألة الأعمى في قوله تعالى: **{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى}**⁽¹⁾، فإن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير هذه الآية مبني على أن المخاطب بالآيات المبركة شخص آخر كان حاضراً في المجلس، والشواهد على ذلك من نفس الآيات المبركة كثرة جداً:

(1) عبس: 21.

الصفحة 263

منها: إن الصفات المذكورة في الآيتين الكريميتين تضمنت بعض الصفات الأخلاقية الذميمة، التي لا يمكن أن يكون

النبي(صلى الله عليه وآله) هو المعني بها؛ لأن العبوس والصدّ عن الفقاء مع الإقبال على الأغنياء . كما هو صريح الآيات اللاحقة في السورة المباركة . ليس من صفات النبي(صلى الله عليه وآله)ولا تشبه أخلاقه الكريمة وتحننه وعطفه وسماحته مع أصحابه.

ومنها: إنّ الله تعالى قد أشاد بخلق النبي(صلى الله عليه وآله)وعظمه، إذ قال قبل نزول سورة عبس: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ** ، فهذه الآية تولت في بداية البعثة المباركة، فكيف يعقل أن يعظم الله خلقه في أول بعثته بإطلاق القول في ذلك، ثم يعود ثانية فيعاتبه عتاباً شديداً على سوء بعض أعماله وصفاته الخلقية ويذمه على ذلك!؟

ومنها: ما ورد أيضاً في قوله تعالى: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ *وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** ⁽¹⁾، وهذه الآية بوقينة ورودها في سياق إنذار العشوة تكون نزلة في أوائل الدعوة الإسلامية، وكذلك قال تعالى في آية أخرى: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** ⁽²⁾ ، وقد تولت هذه الآية في بداية الدعوة العلنية للإسلام، وعليه فكيف يتصور أنه(صلى الله عليه وآله) خالف تلك الأوامر الإلهية بالعبوس في وجه المؤمنين والإعواض عنهم والإقبال على المشركين، الذي يتنافى مع خفض الجناح للمؤمنين والإعواض عن المشركين، وقد أمر(صلى الله عليه وآله) بهما!؟

(1) الشواء: 215.214.

(2) الحجر: 94.

الصفحة 264

مضافاً إلى أن الإعواض عن الفقاء وتقطيب الوجه في استقبالهم مع الإقبال على الأغنياء من المشركين قبيح لدى العقل والعقلاء ومناف لكوائم الخلق الإنساني، ولا نحتاج لبيان وجوب التجنب عنه إلى نهي صريح في القوان الكريم، فكيف يخالف النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) و يرتكب أمراً واضح القبح والذم عند العقل والعقلاء. فالصفات الذميمة التي سطوتها الآيات العشر الأول من سورة (عبس)، إنما هي من فعل شخص ثالث كان جالساً بحضرة النبي(صلى الله عليه وآله)، وقد خاطبه الله تعالى بالذم والعتاب الشديد، ترة بتوجيه الخطاب إليه مباشرة عن طريق ضمير الغائب، وأخرى بتوجيه الخطاب إليه عن طريق مخاطبة النبي(صلى الله عليه وآله)؛ لتشديد الإنكار عليه ولبيان أنه لا يستحق أن يخاطبه الله تعالى مباشرة، وإن كان الخطاب في سياق الذم.

وقد نص على هذه الحقيقة بعض المفسرين وغوهم من أعلام الطائفة السنية ⁽¹⁾.

2. آيات العتاب على الأسرى

وأما مسألة الأسرى في قوله تعالى: **﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تَرْيُدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** ⁽²⁾ ،

(1) لاحظ: الزركشي، الوهان: ج 2 ص 243 ؛ القاضي عياض، الشفا بتعويض حقوق المصطفى: ج 2 ص 167.

(2) الأنفال: 67.

الصفحة 265

فالعتاب فيها أيضاً غير متوجه إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وإنما هو متوجه إلى بعض صحابة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لأن ظاهر الآية المبلركة هو العتاب على أخذ الأسوي لا على أخذ الفدية منهم، حيث جاء التعبير فيها بـ **{مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْوَى حَتَّى يَثخنَ فِي الْأَرْضِ}** ولا تَوَجِدُ أَي دلالة فيها على أخذ الفدية، كي يعود العتاب على النبي (صلى الله عليه وآله)، وبقوينة ضمير الجمع في قوله: **{ثُرِيدُونَ}** يظهر من الآية المبلركة أنها وردت في مقام تنبيه المسلمين على نقطة مهمة في الحرب، وهي أن عليهم أن لا يفكروا ولا ينشغلوا بأخذ الأسوي قبل اندحار العدو بالكامل، حيث كان بعض المقاتلين من المسلمين يسعون للحصول على أكبر عدد ممكن من الأسوي، لكي يأخذ منهم مبلغاً أوفر من المال براء الإفواج عنهم، وهذا ما يشغل المسلمين عن القتال ويفسح المجال أمام العدو لجمع قواه ومعاودة القتال، كما وقع ذلك في غزوة أحد.

ومن هنا ألفت الآية باللوم على الذين خالفوا الأمر، قائلة: **{ثُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ}** بمعنى أن الاهتمام بالجانب المادي والغفلة عن الهدف النهائي وهو الانتصار على العدو، من المخاطر السيئة التي لا بد أن يتوه عنها المسلمون. وقد أكد هذه الحقيقة جملة من علماء الطائفة السنية⁽¹⁾.

3. آيات العتاب في طلاق زيد لزوجته

(1) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط: ج 4 ص 514 ؛ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج 2 ص 164. 165.

الصفحة 266

وأما قضية زيد ومسألة زواجه وطلاقه في قوله تعالى: **{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ}**⁽¹⁾، فهي خالية من العتاب واللوم أيضاً؛ لأن هذه الآية المبلركة تتعرض لمعالجة ظاهرة اجتماعية غير مشروعة في الإسلام كان يملسها الناس في الجاهلية، وجروا عليها بعد البعثة أيضاً، وهي تحريم نكاح أزواج الأعداء، وكان زيد بن حارثة دعي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وربيبه، وكانت زوجته زينب بنت جحش، فوحي الله تعالى إلى نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن زيد بن حارثة سيأتيه طالباً لطلاق زوجته، وأمره عز وجل أن يتزوجها بعد فراق زيد لها؛ ليكون ذلك ناسخاً لسنة من سنن الجاهلية في التحريم، فلما حضر زيد مخلصاً زوجته وعزماً على طلاقها، أشفق الرسول (صلى الله عليه وآله) من الإمساك عن وعظه وتذكوره، لاسيما وأنه كان المتصرف والقائم على تدبير أموره، خصوصاً وأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعلم أن الموجفين من المنافقين سيسئون له بالقول ويقذفونه بحبه لزينب بنت جحش وأن التطلاق كان بتدبيره،

مضافاً إلى أن الناس كانت ترى أن الوبيب كالابن الصلبي فيشنعون على من ينكح زوجة الوبيب بعد تطليقه لها؛ ولذا قال النبي(صلى الله عليه وآله) لزيد: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ"، ولم يكن النبي(صلى الله عليه وآله) مأموراً بتترك إبداء الموعظة لزيد، وكذا لم يكن مأموراً بإبداء ما أخوه الله تعالى به، من أن زينب ستكون من أزواجه، فلم تتضمن الآية أي عتاب أو استنكار على فعل خالف فيه نبي الإسلام أمراً من الأوامر الإلهية، وإنما تضمنت الآية نسخاً لسنة جاهلية واخبراً عن وقوعها مع حفظ الله تعالى وعصمته لنبيه الأكرم ودينه الخاتم من كيد المنافقين.

(1) الأخاب: 37.

الصفحة 267

وهذا ما أكدته جملة من المفسرين، ففي تفسير القوطبي: "فإن قيل: كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم أن الفواق لا بد منه، أو هذا تناقض؟

قلنا: بل هو الصحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة ومعرفة العاقبة، ألا ترى أن الله تعالى يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن، فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً، وهذا من نفيس العلم، فتبينوه وتقبلوه"⁽¹⁾.

والمفسرون وغيرهم الذين نفوا وجود العتاب في هذه الآية كثيرون يمكن مراجعة أهوالهم⁽²⁾، والبحث في هذه الآية المباركة طويل وعميق موكل إلى محله.

4. آيات العتاب في تحريم الأزواج

وأما تحريم ما أحل الله سبحانه في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**⁽³⁾، فالعتاب فيها أيضاً متوجه إلى بعض نساء النبي(صلى الله عليه وآله)، والتحريم الذي تضمنته الآية ليس تحريماً شريعياً، بل هو قسم من قبل الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله)، ومن المعروف أن القسم على ترك بعض المباحات ليس فيه ما يوجب العتاب، وقوله تعالى: **لِمَ تُحَرِّمُ** لم تأت كتوبيخ وعتاب للنبي(صلى الله عليه وآله)، وإنما هي نوع من الإشفاق والعطف، كما تقول لمن يجهد نفسه كثيراً لتحقيق العلم مثلاً: لماذا تتعب نفسك وتجهدها في تحصيل الخير؟ وكقوله تعالى:

(1) القوطبي، تفسير القوطبي: ج14 ص169.

(2) لاحظ: تفسير الواحدي: ص866، تفسير البغوي: ص354؛ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج2 ص194.

(3) التحريم: 1.

الصفحة 268

{طه * مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْقَوْلَ أَنْ تَشْفَى} وليس في ذلك عتاب، بل عطف وإشفاق، والعفو والغفوان الورد في آخر الآية

المبركة إنما هو لمن يتوب من زوجات الرسول بقراءة الآية اللاحقة وهي قوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} (2) ، هذا هو نظر أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير هذه الآية المبركة، فلا يصح الاستشهاد والتنظير بها لما ورد من ذم وتوبيخ بعض الصحابة.

المنهج الخاطيء في فهم العقائد الشيعية

قلتم تحت عنوان "نماذج من عقائد الشيعة الإمامية" في ص 45 رداً على ما أرسلته إليكم من الجواب حول بعض المقولات التي ذكروتموها بين عقيدة الشيعة والسنة: "لا أظن أن المعنى غير واضح من كلامي، فإني لم أنسب الكلام إلى أحد ولا إلى كتاب من كتبكم، وإنما قلت لكم: (يفهم من عقيدة الشيعة كذا) ولم أقل: قال فلان، ولعلكم لورجعتم إلى العيلة لتبين لكم العواد". قلت: مع أنكم تكلمتم كثيراً في كتابكم عن صحة المنهج وخطئه إلا أنكم لم تلتزموا بما ذكروتموه، وهذا ما يتجلّى فيما نبينه من النقاط التالية:

أولاً: ترك المصادر الشيعية

إنّ المعنى العواد من كلامكم وإن كان واضحاً كما ذكرت، إلا أن المؤسف فيه أنه تضمن الخراف من التهم والدعوى من دون أن تستنوا فيها إلى مصدر أو مقال أو كتاب من كتب الشيعة الإمامية، ولا أوري كيف فهمت من عقيدة الشيعة كذا وكذا من دون أن تأخذه من أحد علمائنا أو كتاب من كتبنا!؟

(1) طه: 2.1.

(2) التوحيد: 4.

الصفحة 269

وإننا لنوبأ بجنابكم أن تحكم حكماً مسبقاً على طائفة كبيرة من الطوائف الإسلامية من دون الرجوع إلى مصاويرها المعتمدة في بيان عقائدها وأحكامها.

ثانياً: الاستنتاجات الشاذة في الفكر الوهابي عن المذهب الشيعي

لقد صدقتم فيما قلتموه من أن فهمكم عن عقيدة الشيعة لم تكن منسوبة إلى كلام أحد ولا إلى كتاب من كتبنا؛ لأن النتائج التي استنتجتموها من عقائد الشيعة لا تمت إلى عقيدتهم بصلة، كقولكم: إن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث إلى علي، فإن هذا لا يؤمن به مسلم يتلوا قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} (1) ، وقولكم هذا ينم عن قلة اطلاعكم على حقيقة الإمامة عند الشيعة وأبعادها، والتي تعني قيادة الإمام المعصوم للأمة في أمور الدين والدنيا، وحفظ مسورة الرسالة الخاتمة عن التلاعب والتريف.

ومما استنتجتموه قولكم: "إن أهل الشيعة تشترط وجود معصوم يرجع إليه، وهذا يعني لابد أن يكون في كل بقعة معصوم ليرجع إليه" إلى آخر كلامكم.

ونحن نجل شخصكم الكريم عن هذا الاستنتاج الضحل الذي لا يتناسب ومكانتكم العلمية، فإن المسلمين بكافة فقههم يؤمنون بضرورة وجود النبي (صلى الله عليه وآله) في زمانه وضرورة عصمته لإبلاغ الشريعة لجميع الأمة وكل من أراد الإسلام، مع أنه لم يؤزم من ذلك القول بضرورة وجود نبي في كل بقعة ليرجع إليه؟!!

(1) سبأ: 28.

الصفحة 270

إلى آخر استنتاجاتكم الشاذة التي أجبنا عنها في الرسالة التي رُفِقناها مع كتابنا هذا، وستأتي الإجابة عن كثير منها في ثنايا بحوث الكتاب.

الاعتماد على الروايات الضعيفة في فهم العقائد الشيعية

ثم إنكم ذكروا في كتابكم ص 46 : "إن الشيعة الإمامية فسرت القرآن خطاباً للأئمة وشيعتهم، فما كان من خير وإيمان فهو للشيعة وما كان من كفر وضلال فهو للمخالف، ثم الجنة لهم والنار لأعدائهم".

وذكروا بعد ذلك نماذج من الروايات من كتبنا للتدليل على ما زعمته.

قلت: إن الذي يؤسفنا أن ما ذكرته سعادة الدكتور بجانب لروح البحث والتحقيق العلمي، ويظهر ذلك مع ملاحظة ما يلي:

1 . إنكم أكدتم وفي أماكن متعددة من كتابكم (حوار هادئ) على أن الاستناد على الروايات الضعيفة من الخلل الجسيم في المنهج، مما يؤدي إلى الخلل الكبير في النتائج، وقد رفعت هذا الشعار على غلاف الكتاب، ولكن عندما أردت الاستدلال على ما فهمته عن الشيعة من مصارنا استندت إلى بعض الروايات الضعيفة أو المرسلة والمقطوعة الأسناد، فالرواية الأولى مرسلة عن داود بن فوقد عن ذكره وكذلك الرواية الثالثة فإنها مقطوعة السند، بل لا سند لها.

وأما الرواية الثانية فهي ضعيفة السند بسهل بن زياد⁽¹⁾ وعبد الله بن

(1) قال النجاشي في رجاله ص 158 : سهل بن زياد أبو سعيد الأدمي الوري، كان ضعيفاً في الحديث، غير معتمد عليه

فيه، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب وأخرجه من قم إلى الري وقال السيد الخوئي في معجم الرجال ج 9 ص 356 : وكيف كان فسهل بن زياد الأدمي ضعيف جزمياً أو أنه لم تثبت وثاقته.>

الصفحة 271

(1)

محبوب .

ولا أوري كيف تطالبنا بالاستناد إلى الروايات الصحيحة والمعتمدة من كتبكم ولا تلتزم أنت بهذا الأسلوب والمنهج عندما

2 . إن المضمون الذي جعلتموه غرضاً لإشكالاتكم، وهو أن القَوَانِ الكريمِ قولُ أثلثاً أو رباعاً قد جاء أيضاً في كتبكم بعبيرات وألفاظ مختلفة.
ومن تلك المضامين:

أ . ما ذكره ابن تيمية في الفتوى عن أبي الفوج بن الجوزي بإسناده عن حسان بن محمد الفقيه يقول: "سألت أبا العباس بن سريج، قلت: ما معنى قول النبي(صلى الله عليه وآله): (قل هو الله أحد تعدل ثلث القَوَانِ)؟ قال: إن القَوَانِ أتول على ثلاثة أقسام، فثلث أحكام وثلث وعد ووعيد وثلث أسماء وصفات، وقد جمع في قل هو الله أحد، أحد الأثلث وهو الصفات"⁽²⁾ .
ب . وفي تفسير القوطبي: "وقيل: إن القَوَانِ أتول أثلثاً، ثلثاً منه أحكام، وثلثاً منه وعد ووعيد، وثلثاً منه أسماء وصفات"⁽³⁾ .

ج . ما أخرجه الطوي بسنده عن ابن عباس، أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: "أتول القَوَانِ على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفوه العرب، وتفسير تفوه العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب"⁽⁴⁾ .

(1) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث: ج11 ص312.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتوى: ج17 ص104.

(3) القوطبي، الجامع لأحكام القَوَانِ: ج20 ص247، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(4) الطوي، جامع البيان: ج1 ص54، دار الفكر . بيروت.

الصفحة 272

د . ما أخرجه البيهقي في الشعب بسنده عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله(صلى الله عليه وآله):... فإن القَوَانِ على خمسة أوجه، حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال"⁽¹⁾ .

هـ . ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال: "...وقول القَوَانِ من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال"⁽²⁾ .

وهذه الروايات وإن كان هناك من يחדش في بعض أسنادها، ولكن أوردناها تماشياً مع ما انتهجته في الاستدلال برواياتنا، وهي كما ترى قد قسّمت القَوَانِ وصنّفته أثلثاً ورباعاً وأخماساً وأسباعاً وربما أكثر، ومنها ما خص فهمه بالعرب، ومنها ما خص فهمه بالله تعالى ولا يعلمه إلا هو، فعطلت قسماً كبيراً منه، ولم يبق منه إلا ما دل على الحلال والحرام، مع أن الروايات التي نقلتها من طوقنا أوسع من ذلك بكثير، فإنها بالإضافة إلى ما ذكرته من آيات الحلال والحرام، نصت أيضاً على الآيات التي اختصت بأهل البيت(عليهم السلام) ومحبيهم وأعدائهم، ومن الواضح أن الناس ما بين محب لأهل البيت(عليهم السلام) وما

بين مبغض وعدو لهم، إذ المبغض لهم يعد منكراً لضرورة من ضرورات الدين الإسلامي، قال تعالى: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ**

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ.

ثم إن التوجيه الذي تذكرونه نفسوا لرواياتكم يصلح جواباً أيضاً لرواياتنا التي قسمت القوآن أثلاثاً ورباعاً.

وأما قولكم: "ولا ننوي أي التقسيمين هو المعتمد؟ رباعاً أو أثلاثاً!!"

(1) البيهقي، شعب الإيمان: ج2 ص427، دار الكتب العلمية . بيروت.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان: ج3 ص20، مؤسسة الوسالة . بيروت.

الصفحة 273

فإننا أيضاً لا ننوي أي التقسيمات في رواياتكم هي المعتمدة؟ أثلاثاً أم رباعاً أم أخماساً أم أسباعاً!!!

أضف إلى ذلك أن مضامين الروايات التي أوردتها من كتبنا ولدة بألفاظها في بعض المصادر السنية، بغض النظر عن

ضعفها أو صحتها.

من تلك الروايات ما أخرجه الحاكم الحسكاني (1) في الشواهد بسنده عن علي(عليه السلام) قال: "قول القوآن رباعاً، فربع

فينا وربع في عدونا وربع سنن وأمثال، وربع فائض وأحكام، فلنا كرائم القوآن رواه جماعة عن محمد بن الحسن كما

رويت، وجماعة عن زكريا" (2).

وورد بالألفاظ ذاتها ما أخرجه ابن المغزلي الشافعي (3) في المناقب (4)، والقنوزي (5) الحنفي في الينابيع (6)، وأخرج الحاكم

عن علي(عليه السلام) أيضاً،

(1) الحسكاني: الإمام المحدث، البلوغ، القاضي، أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن

حسكان القوشي، العامري، النيسابوري، الحنفي، الحاكم، ويعوف أيضاً بابن الحذاء، من نزية الأمير الذي افتتح خراسان، سير

أعلام النبلاء، الذهبي: ج18 ص268 . 270.

(2) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ج1 ص57 ص59.

(3) قال محمد بن عبد الله الحضومي: (كان محدثاً يسند إليه في زمانه، روى عنه الكثير، وهو عن جماعة، وكان ثقة،

أميناً، صدوقاً، معتمداً في منولاته مسندا إليه في مروياته، له كتب منها: ذيل تليخ واسط لأسلم المشهور ببحتل؛ وكتاب في

مناقب سيدنا علي كرم الله وجهه، جمع فيه فروعاً، نقل فيه عن ثقات الرواة) الميزان القاسط في ترجمة مؤرخ واسط:

ص19، عن طبقات الحضومي.

(4) ابن المغزلي، مناقب علي بن أبي طالب: ص328 . 329.

(5) القنوزي: سليمان بن خوجه إواهيم قبلان الحسيني الحنفي النقشبندي القنوزي: فاضل، من أهل بلخ، مات في

القسطنطينية. له (بنابيع المودة) في شمائل الرسول 0 وأهل البيت، الأعلام، خير الدين الزركلي: ج 3 ص 125.

(6) القنذوي، بنابيع المودة: ج 1 ص 378.

الصفحة 274

قال: "قول القآن أثلاثاً، ثلث فينا وثلث في عدونا وثلث فرائض وأحكام وسنن"⁽¹⁾.

3 . إن الروايات التي نقلتها من كتبنا على ضعفها ليس فيها أي دلالة على ما استنتجتموه من أن القآن قول في الشيعة وفي أعدائهم وهم أهل السنة، فإن في قولكم هذا مغالطة واضحة؛ لأن الروايات لم تذكر أن القآن قول في الشيعة ولا أن أعداءهم هم أهل السنة، وإنما قالت: إن القآن قول في الحلال والحرام والسنن والأمثال وفي أهل البيت (عليهم السلام) ومحبيهم، ويدخل في المحبين جميع المسلمين ممن لم يبغض أهل البيت ولم ينصب العدو لهم، ويدخل في أعداء أهل البيت (عليهم السلام) الكافرون والمنافقون والناصبون العدو لهم (عليهم السلام) وقد تلت في هؤلاء آيات كثيرة جداً كما هو واضح، وأهل البيت (عليهم السلام) يمثلون الخط الصحيح والأصيل في الإسلام وهم الذين أمر الله تعالى بمودتهم وأمر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بهم في حديث الثقلين وغوه، وجعلهم كسفينة فوح في أمته من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

قال الملا علي القلي في الوقاة: (ألا إن مثل أهل بيتي) بفتح الميم والمثلثة، أي: شبههم (فيكم مثل سفينة فوح) أي: في سببية الخلاص من الهلاك إلى النجاة، (من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) فكذا من الترم محبتهم ومتابعتهم نجا في الدرلين، وإلا فهلك فيهما"⁽²⁾.

(1) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ج 1 ص 58.

(2) ملا علي القلي، وقاة المفاتيح: ج 9 ص 3988.

الصفحة 275

4 . ثم إنه لا يوجد تناف بين مدلولي الروايتين؛ وذلك لأن التقسيم الثلاثي وكذا الرباعي الورد فيهما لا يخلو من التداخل في أقسامه، إذ أن آيات الأحكام تتضمن أيضاً جملة من السنن والأمثال، كما تتضمن كذلك ذكر محبي أهل البيت (عليهم السلام) أو مبغضيهم والعكس في الأقسام الأخرى أيضاً صحيح، فعندما نعوض الأقسام التي ذكرت في الروايتين على الآيات الكريمة نجدتها متداخلة، وإذا لاحظنا هذا التداخل يتضح أن الإمام (عليه السلام) عندما يروم أن يذكر تقسيماً من التقسيمات قد يلاحظ أساساً واعتباراً في القسمة فيغلب جانباً على آخر من الجوانب المتعددة في الآيات المبركة، ومن هذا المنطلق نجد أن الأقسام قد تكون مختلفة ومتفاوتة من حيث كمية العدد بالنسبة إلى مجموع الآيات، ولكن مع حفظ ماهية وحقيقة وعنوان كل قسم من الأقسام المذكورة في الرواية، غاية الأمر إن القسم قد يكون ثلث القآن من لحاظ خاص، كما قد يكون ربع القآن أيضاً من لحاظ آخر، وقد يكون أقل من ذلك بلحاظ واعتبار ثالث.

مقارنة موجزة بين الكافي وصحيح البخاري

قمتم في ص48 بإجراء مقارنة بين كتاب (صحيح البخري) وكتاب (الكافي)، وخلصتم من خلالها ليس إلى تفضيل البخري على الكافي فحسب، بل الطعن في الكافي وأنه تضمن أكاذيب وخرافات.

قلت: إنّ ما ذكرتموه من مقارنة وموزنة بين الكتابين افتقرت في كثير من جوانبها إلى الحيادية والتحرر عن الإسقاطات والمسبّقات الفكرية، مما أدى بكم إلى إغفال المؤاخذات الفاضحة والإخفاقات الواضحة التي تضمنها كتاب البخري، مع تسليط الضوء على ما ادعي أنها من محاسن الكتاب، كما أغفلتم أيضاً ما يتمتع به كتاب الكافي من نقاط مشرقة ومضيئة وركّتم الكلام عنه فيما استوحشتموه من روايات صاورة عن أهل بيت العصمة والطهارة(عليهم السلام).

الصفحة 276

ولكي تكون المقارنة متوازنة نكمل ما أغفلتموه في مقارنتكم، ليتسنى للقارئ الحكم بصورة أدق على واقع المقارنة بين الكتابين.

وما زاه صحيحاً في الموزنة والمقارنة الحقيقية هو أن نقرن أولاً بين شخصية مؤلفي الكتابين، ثم ننتقل بعد ذلك إلى المقارنة بين كتابيهما؛ لأن محتوى الكتاب إنما يعكس مكانة المؤلف العلمية ومستواه الفكري وقدرته في معرفة الرجال وتضلّعه في الحديث وغير ذلك من الجوانب المعرفية.



الشخصية العلمية للكليني والبخري

مقارنة موجزة

1. الشخصية العلمية للكليني

لقد اتفقت كلمة الشيعة وعلماهم من الرجاليين وغيرهم على جلاله قدر ثقة الإسلام الكليني وعلو مقامه ومثولته وامتياله بأعلى درجات الوثاقه والحفظ والإتقان والضبط والفقاهاة، وأنه كان متمزاً على أوانه من العلماء، متضلماً في الحديث وأنقدهم له وأعرفهم به.

قال النجاشي في رجاله في ترجمة الكليني: "شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم" (1).

وقال السيد رضي الدين بن طولوس: "الشيخ المتفق على ثقته وأمانته محمد بن يعقوب الكليني" (2).

وقال أيضاً: "محمد بن يعقوب أبلغ فيما يرويه وأصدق في الرواية" (3).

وقال الشيخ الجليل حسين البهائي: "شيخ عسوه ووجه العلماء والنبلاء، كان أوثق الناس في الحديث وأنقدهم له وأعرفهم به" (4).

وقال الشيخ محمد تقي المجلسي الأول: "والحق أنه لم يكن مثله فيما رأينا من علمائنا" (5).

(1) النجاشي، رجال النجاشي: ص 377، مؤسسة النشر الإسلامي . قم.

(2) ابن طولوس، كشف المحجة: ص 158، المطبعة الحيرية . النجف الأشرف.

(3) ابن طولوس، فوج المهموم: ص 90، منشورات الرضي . قم.

(4) الشيخ حسين البهائي، وصول الأختيار إلى أصول الأخبار: ص 85، مجمع الذخائر الإسلامية.

(5) نقلاً عن مقدمة أصول الكافي، الكليني: ج 1 ص 18، دار التعارف . بيروت.

إلى غير ذلك من عبارات المدح والإطراء والتوثيق التي أجمع على ذكرها علماء الشيعة.

ثم إنه لم يقتصر مدحه وبيان مثولته وعلو مقامه على علمائنا فحسب، وإنما نص على تلك المثولة العظيمة جملة من أعلام

من ذلك ما ورد عن ابن الأثير الجزري في معوض شوحه لما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"⁽¹⁾ ، فإنه بعد أن استعرض العلماء والفقهاء الذين ينطبق عليهم ما جاء في الحديث من الوصف وأنهم يجددون للأمة دينها، قال:

"وأما من كان على رأس المائة الثالثة... وأبو جعفر محمد بن يعقوب الوري من الإمامية"⁽²⁾ .

وقال في موضع آخر من كتابه جامع الأصول: "محمد بن يعقوب: هو أبو جعفر محمد بن يعقوب الوري، الفقيه، الإمام على مذهب أهل البيت، عالم في مذهبهم، كبير وفاضل عندهم، مشهور، له ذكر فيمن كان على رأس المائة الثالثة"⁽³⁾ .
وقال الذهبي في تزيخ الإسلام: "محمد بن يعقوب أبو جعفر الكليني الوري، شيخ فاضل شهير، من رؤوس الشيعة وفقهائهم"⁽⁴⁾ .

وقال أيضاً في سير أعلام النبلاء: "الكليني شيخ الشيعة وعالم الإمامية صاحب التصانيف، أبو جعفر محمد بن يعقوب الوري الكليني"⁽⁵⁾ .

(1) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول: ج11 ص319. 320، دار الفكر . بيروت.

(2) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول: ج11 ص323.

(3) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول: ج13 ص895.

(4) الذهبي، تزيخ الإسلام، حوادث وفيات: ص321. 330، دار الكتاب العربي . بيروت.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج15 ص280، مؤسسة الرسالة . بيروت.

وقال ابن حجر في اللسان: "محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني . بضم الكاف وإمالة اللام ثم ياء ونون . الوري، سكن بغداد وحدث بها عن محمد بن أحمد بن عبد الجبار وعلي بن إواهيم بن هاشم وغوهما، وكان من فقهاء الشيعة والمصنفين على مذهبهم"⁽¹⁾ .

وقال ابن عساكر: "محمد بن يعقوب... من شوخ الواضحة قدم دمشق وحدث ببلبك عن أبي الحسين محمد بن علي الجعفي السمرقندي"⁽²⁾ .

وقال الأبيدي في تاج العروس: "أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني من فقهاء الشيعة ورؤوس فضلائهم في أيام المقتدر"⁽³⁾ .
ومن مجموع هذه الكلمات يتبين أن الكليني كان عظيم الشأن واسع الشهرة، طبقت شهرته الآفاق، وقد شهد على ذلك المؤلف والمخالف، لا يجد الباحث فيه مغزواً أو طعناً في وثاقته وعلمه وعلو مقامه وفضله ورياسته وبقاها، فهو من كبار الفقهاء والمحدثين والمجددين في عصوره صاحب التصانيف المعروفة والمشهورة.

وأما شخصية البخري، فإننا نجد أن كثراً من علمائكم ومحدثكم والرجاليين من أهل التحقيق على مذهبكم طعنوا فيه وغمزوا من قناته في مجمل جوانب وأطراف شخصيته العلمية، كاعتقاده وفقاهته ومعرفته بالحديث وغير ذلك.

(1) ابن حجر، لسان المizan: ج5 ص433، مؤسسة الأعلمي . بيروت.

(2) ابن عساكر، تليخ مدينة دمشق: ج56 ص297، دار الفكر . بيروت.

(3) الأبيدي، تاج العروس: ج8 ص482، دار الفكر . بيروت.

الصفحة 280

ونشير فيما يلي إلى بعض تلك الجوانب:

أ . الطعن في عقيدته

من المسائل التي طعن بها أهل السنة على عقيدة البخري رأيه في مسألة خلق القرآن، الذي خالف فيه المذهب العام للسنة وهو القول بقدوم القرآن الكريم، وهو ما يعدّ من ضروريات مذهبهم ويكفرون كل من يخالفه.

فقد رماه شيخه الذهلي بأنه مبتدع واتهمه في دينه وعقيدته، قال التهاوي: "فهذا إمام المحدثين البخري (هـ) لم يسلم من الرمي بالبدعة أيضاً، فقد رماه الذهلي في مسألة القرآن بالقول بالخلق"⁽¹⁾.

وقال ابن أبي حاتم: "سمع منه أبي وأبو زرعة، ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري الذهلي، أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق"⁽²⁾.

وقال ابن حجر: "قال أبو حامد ابن الشريقي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه، وقال الحاكم: ولما وقع بين البخري وبين الذهلي في مسألة اللفظ انقطع الناس عن البخري إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة، قال الذهلي: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا"⁽³⁾.

(1) التهاوي، قواعد في علوم الحديث: ص240، مكتبة المطوعات الإسلامية . القاهرة.

(2) الورلي، الحرح والتعديل: ج7 ص109، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(3) ابن حجر، مقدمة فتح البلي: ص492، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

الصفحة 281

ولأجل ذلك كله امتنع جملة من رواة الحديث عن الرواية عنه كما تقدم، وقال الذهبي في المizan في ترجمة علي المدني شيخ البخري: "علي بن عبد الله بن جعفر بن الحسن الحافظ، أحد الأعلام الأثبات، وحافظ العصر، ذكوه العقيلي في كتاب الضعفاء فبئس ما صنع... وكذا امتنع مسلم عن الرواية عنه في صحيحه لهذا المعنى، كما امتنع أبو زرعة وأبو حاتم من

ب. وهنه في الحديث والرجال

إنّ البخري الذي يعدّه جملة من المتأخرين من أئمة الحديث والنقاد في الرجال، حتى قيل: إن من أخرج عنه البخري في الصحيح فقد جاز القنطرة، سجلت عليه مؤاخذات كثيرة وسقطات كبوة في هذا المجال، ذكرها جماعة من أرباب النظر والتحقيق، نشير فيما يلي إلى جانب منها:

أولاً: تدليس البخري

إن تدليس البخري من الأمور الواضحة والمشهورة، حتى عدّه ابن حجر في طبقات المدلسين، قال ابن حجر: "محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخري الإمام، وصفه بذلك أبو عبد الله بن مندة في كلام له، فقال فيه: أخرج البخري، قال: فلان، وقال: أخبرنا فلان، وهو تدليس"⁽³⁾ .
وأرجه سبط بن العجمي في كتابه (أسماء المدلسين)⁽⁴⁾ .

(1) محمد بن إسماعيل البخري.

(2) الذهبي، ميزان الاعتدال: ج3 ص138.

(3) ابن حجر، طبقات المدلسين: ص24 رقم 23، مكتبة المنار . الأردن.

(4) سبط ابن العجمي، التبيين لأسماء المدلسين: ص177 رقم 64، دار الكتب العلمية . بيروت.

الصفحة 282

ومن أمثلة تدليس البخري هو تدليسه في شيخه محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري، الذي كان من أكثر المشنعين عليه كما تقدم، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء عند ترجمته للذهلي: "رؤى عنه خلائق، منهم:... ومحمد بن إسماعيل البخري ويدلسه كثراً، لا يقول محمد بن يحيى، بل يقول محمد فقط، أو محمد بن خالد، أو محمد بن عبد الله وينسبه إلى الجد، ويعمي اسمه، لمكان الواقع بينهما، غفر الله لهما"⁽¹⁾ ، وقال ابن حجر في ترجمته للذهلي أيضاً: "وعنه البخري ويدلسه"⁽²⁾ ، وبنفس البيان ما نص عليه المبلر كفوري في تحفة الأحوذى⁽³⁾ ، وقال الذهبي أيضاً في ترجمة عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري: "وقد روى عنه البخري في الصحيح على الصحيح، ولكنه يدلسه، فيقول: حدثنا عبد الله لا ينسبه وهو هو"⁽⁴⁾ .
إذن اتضح من ذلك أن تدليس البخري من قسم تدليس الشيوخ، وهو من أنواع التدليس المذمومة التي أوجب جرح الكثير من الرواة وتضعيفهم عند الرجاليين.

قال ابن حجر: "وأما تدليس الشيوخ فهو أن يصف شيخه بما لم يشتهر به من اسم أو لقب أو كنية أو نسبة؛ إيهاماً للتكثير غالباً، وقد يفعل ذلك لضعف شيخه، وهو خيانة ممن تعمد، كما إذا وقع ذلك في تدليس الإسناد والله المستعان"⁽⁵⁾ ، وأخرج

الخطيب البغدادي في الكفاية بسنده عن الشافعي،

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج12 ص275 ، مؤسسة الرسالة . بيروت.

(2) ابن حجر، لسان المزان: ج7 ص507 ، مؤسسة الأعلمي . بيروت.

(3) المبلكرغوري، تحفة الأحوذى: ج3 ص217 ، دار الكتب العلمية . بيروت.

(4) الذهبي، مزان الاعتدال: ج2 ص442 ، دار المعرفة . بيروت.

(5) ابن حجر، طبقات المدلسين: ص16 ، مكتبة المنار . الأردن.

الصفحة 283

قال: "قال شعبة بن الحجاج: التدليس أخو الكذب... وقال غندر: سمعت شعبة يقول: التدليس في الحديث أشد من الزنا، ولأن أسقط من السماء أحب إلي من أن أدلس... المعافى يقول: سمعت شعبة يقول: لأن رُني أحب إلي من أن أدلس"، ونقل الخطيب البغدادي عبارات أخرى في التدليس كـ "خرب الله بيوت المدلسين، ما هم عندي إلا كذابون" و"التدليس كذب"⁽¹⁾.

ثانياً: ضعفه في الرجال

لقد استترك جملة من العلماء على أحكام البخري وتصحيحه وتضعيفه في الرجال، وقاموا بإحصاء أوهامه وأخطائه وعدم معرفته بالرجال واعتماده الضعاف وتخريجه لرجال في الصحيح ضعفهم في تزيخه، وألّفوا في هذا المجال كتباً، من قبيل (الإلزامات والتتبع) للدلقطني، و (بيان خطأ البخري) لابن أبي حاتم الرري، و(موضع الأوهام) للخطيب، مما يدل على أن البخري لا خوة له في الرجال، ونذكر فيما يلي جملة من تلك الأقوال والشواهد:
قال الذهبي: "والبخري ليس بالخبير ورجال الشام، وهذه من أوهامه"⁽²⁾.

وقال ابن رجب الحنبلي: "وقد ذكر البخري في تزيخه: إن يحيى بن أبي المطاع سمع من العرياض اعتماداً على هذه الرواية، إلا أن حفاظ أهل الشام أنكروا ذلك، وقالوا: يحيى بن المطاع لم يسمع من العرياض ولم يلقه، وهذه الرواية غلط، وممن ذكر ذلك زرة الدمشقي، وحكاه عنه دحيم، وهؤلاء أعرف بشيوخهم من

(1) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية: ص395 ، دار الكتاب العربي . بيروت.

(2) الذهبي، تزيخ الإسلام: وفيات 101 . 120 ، دار الكتاب العربي . بيروت.

الصفحة 284

(1) غروهم، والبخري (ه) يقع له في تزيخه أوهام في أخبار أهل الشام"⁽¹⁾.

وقد أخرج في صحيحه عن جماعة كبوة من الرجال الذين ثبت ضعفهم في الكتب الرجالية لأهل التحقيق في هذا المجال،

وقد أحصى ابن حجر في مقدمته أكثر من ثلاثمائة روي ضعفهم الرجاليون"⁽²⁾.

وقال الخطيب في الكفاية: "فإن البخري قد احتج بجماعة سبق من غوه الطعن فيهم والروح لهم كعكومة مولى بن عباس

(3)

في التابعين وكإسماعيل بن أبي أويس وعاصم بن علي وعمرو بن مرزوق في المتأخرين" .
 ومنهم على سبيل المثال مروان بن الحكم، فقد أخرج له 23 حديثاً في مختلف أبواب الفقه، وقال عنه الذهبي: "وله أعمال موبقة نسأل الله السلامة، رمى طلحة بسهم وفعل وفعل" (4).
 وقال بدر العيني: "في الصحيح جماعة جرحهم بعض المتقدمين" (5).
 وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في شوحه لألفية السيوطي: "وقد وقع في الصحيحين أحاديث كثيرة من رواية بعض المدلسين" (6).
 نعم حاول ابن حجر جاهداً أن يدافع عن أولئك الضعفاء، ولكنه تعسف في الإجابة وابتعد عن روح التحقيق والإنصاف، واشتمل كلامه على المتناقضات في هذا المجال، فإنه عندما ذكر يحيى بن يعلى المحلبي مثلاً

(1) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: ص 259، دار المعرفة . بيروت.

(2) ابن حجر، مقدمة فتح البلي: ص 550. 650.

(3) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية: ص 136.

(4) الذهبي، ميزان الاعتدال: ج 4 ص 89.

(5) بدر العيني، عمدة القلي: ج 1 ص 8، دار إحياء التراث العربي _ بيروت.

(6) أحمد محمد شاكر، شوح ألفية السيوطي: ص 36.

الصفحة 285

في شوحه على البخلي يقول: "هو كوفي ثقة من قدماء شوخ البخلي" (1)، وإذا ذكره في طريق حديث في مناقب أهل البيت يقول: "هو واه"، كما ذكر ذلك في ترجمة زياد بن مطوف في حديث: "من أحب أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي وهي جنة الخلد فليتل علماً ونزيبته من بعده، فإنهم لم يخرجوكم باب هدى ولن يدخلوكم باب ضلالة"، يقول بعد ذكر الحديث: "في إسناده يحيى بن يعلى المحلبي وهو واه" (2).
 مضافاً إلى أن البخلي قد احتج بجماعة ضعفهم بنفسه وأوردتهم في الضعفاء.

قال الذهبي في ترجمة صالح بن عائذ: "وكان من الموجئة، قاله البخلي وأورده في الضعفاء لإرجائه، والعجب من البخلي يغضه وقد احتج به" (3).

وقال أيضاً في ترجمة محمد الكوفي: "ومع كون البخلي حدث عنه في صحيحه ذكره في الضعفاء" (4).

ومقسم بن بجة روى له البخلي في صحيحه في كتاب المغلبي وتفسير القآن، قال أبو زرعة العاقي: "ذكره البخلي في الضعفاء وأخرج له في الصحيح، وضعفه ابن حزم" (5)، وقال الذهبي: "والعجب أن البخلي أخرج له في صحيحه وذكره في كتاب الضعفاء" (6).

(1) ابن حجر، الإصابة: ج 2 ص 485، دار الكتب العلمية . بيروت.

(2) ابن حجر، فتح البلي: ج 7 ص 346.

(3) الذهبي، ميزان الاعتدال: ج 1 ص 289.

(4) المصدر نفسه: ج 1 ص 366.

(5) أبو زرعة، البيان والتوضيح: ص 271، دار الجنان . بيروت.

(6) الذهبي، ميزان الاعتدال: ج 4 ص 176 رقم 8745.

الصفحة 286

والشواهد في هذا المجال كثرة جداً يجدها الباحث عند تتبعه لكتب البخري.

وهناك مؤاخذات كثرة في عقيدة البخري، وجوانب في شخصيته من جهات أخرى ستتضح عند مقارنة كتابه مع الكافي.

ثالثاً: نقله الحديث بالمعنى

اشتهر لدى الباحثين أن البخري يعتمد في الحديث على النقل بالمعنى ويتحرز عن اللفظ، ولذلك قالوا: إنه لا يكتب الحديث عند السماع من الشيخ.

قال ابن حجر في مقدمته: "قال محمد بن الأهر السجستاني: كنت في مجلس سليمان بن حرب، والبخري معنا يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخري ويكتب من حفظه"⁽¹⁾.

وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن أحمد بن أبي جعفر والي بخري، قال: "قال محمد بن إسماعيل يوماً: ربّ حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، وربّ حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، قال: فقلت: يا أبا عبد الله بكماله؟ قال: فسكت"⁽²⁾.

(1) ابن حجر، مقدمة فتح البلي: ص 479.

(2) الخطيب البغدادي، تزيخ بغداد: ج 2 ص 11، دار الكتب العلمية . بيروت.

الصفحة 287

وفي تريب الولوي عن أبي عبد الله الأخرم، قال: "والذي يظهر لي من كلام أبي علي أنه قدم صحيح مسلم لمعنى آخر غير ما يرجع إلى ما نحن بصده من الشوائب المطلوبة في العصمة، بل لأن مسلم صنف كتابه في بلده بحضور أصوله في حياة كثير من مشايخه، فكان يتحرز في الألفاظ ويتحرى في السياق، بخلاف البخري، فربما كتب الحديث من حفظه ولم يميز ألفاظ رواته، ولهذا ربما يعرض له الشك"⁽¹⁾.

ثم إنه لا يخفى ما للنقل بالمعنى من آفات خطيرة على إيصال مضمون الحديث بصورة كاملة وبأمانة تامة وتريهة، ويعتبر النقل بالمعنى ظاهرة غير سليمة ولا صحيحة عند نقاد الحديث، ولذا حاولوا أن يقننوا هذه الظاهرة ضمن ضوابط خاصة،

كالقوة الفائقة على الحفظ والإتقان والضبط وعدم الشك وإن طال الزمن وبعدت المسافات، وهذا ما افتقده البخري بشهادة ما ذكرناه من أقوال العلماء فيه، فربما أخذ الحديث من البصرة وكتبه بالشام وهذه المسافة الشاسعة، مع ما تتطلبه من مدة زمنية طويلة لقطعها مع أهوال السفر ومتاعبه، مما يؤثر على ذاكرة الولي وإن كان معروفاً بالإتقان والحفظ؛ لأن الإنسان مهما كان لا يخرج عن طبيعته الإنسانية، خصوصاً مع ملاحظة كثرة الروايات وتداخلها وتشعبها.

ومن منطلق ما ذكرناه يتضح السبب في جملة من المشاكل الآتية التي توفر عليها كتاب البخري كالمكررات والموجات السندية والمنتية والزيادة أو النقيصة في كثير من الأحاديث بالمقارنة مع نظائرها في المصادر الحديثية المعتوة الأخرى، وكذا إخراج الحديث في صحيحه تماماً بإسناد واحد بلفظين أو ذكر الحديث في غير بابيه وعقد الباب في غير كتابه، إلى غير ذلك من المشاكل التي تضمنها صحيح البخري بسبب نقله بالمعنى.

(1) (السيوطي، تريب الولي: ص70 ، دار الحديث . القاهرة.

الصفحة 288

وهذا على خلاف ما اشتهر عند الشيعة وغيرهم عن الكليني في الكافي من ضبطه وإتقانه، فمع أن عدد أحاديثه يبلغ ويناهاز الستة عشر ألف حديث، في أكثر من ألفي باب، وهو أضعاف ما في صحيح البخري، فلا ترى فيه حديثاً مذكوراً في غير بابيه، أو أنه عقد باباً في غير كتابه، وقلماً يوجد فيه باب غفل عن ترجمته ولا ترى فيه خرواً من أصل واحد بسند واحد بلفظين. وإنك إذا تتبعت كلمات العلماء وكتبهم لا تعثر على من ينسب إلى الكليني تصرفه في لفظ الحديث أو نقله بالمعنى أو أنه رواه عما حفظه.

رابعاً: ضعفه في الفقه وفتواه العجيبة

ومما يكشف عن ضعف الشخصية العلمية للبخري هو ضعفه في المسائل الفقهية، وقد نقلت عنه في هذا المجال فتوى عجيبة خالفت إجماع الفقهاء والمشهور بينهم، مماوجب الود عليه من قبل العلماء وردعه عن ارتكاب تلك المخالفات الفاضحة، التي تكشف عن قصر نظره وباعه في هذا المجال، والشواهد على ذلك كثير ننقل منها ما يتناسب مع هذا المختصر:

ثبوت الحرمة بالوضاع من لبن البهائم

قال السوخسي في المبسوط: "ولو أن صبيين شربا من لبن شاة أو بقة لم تثبت به حرمة الوضاع؛ لأن الوضاع معتبر بالنسب، وكما لا يتحقق النسب بين آدمي وبين البهائم فكذلك لا تثبت الوضاع بشرب لبن البهائم، وكان محمد بن إسماعيل البخري صاحب التلخيص (رض) يقول: تثبت الحرمة، وهذه المسألة كانت سبب إخراجه من بخري، فإنه قدم بخري في زمن أبي حفص الكبير (هـ) وجعل يفتي فيها أبو حفص، وقال: لست بأهل له، فلم ينته حتى سئل عن هذه المسألة فأفتى

الصفحة 289

(1) بالحرمة فاجتمع الناس وأخروه".

وقال قاضي القضاة الإسكندراني: "بلغني عن الإمام أبي الوليد الباجي أنه كان يقول: يسلم للبخري في علم الحديث ولا يسلم له في علم الفقه، ويعلل ذلك بأن أدلته عن تراجمه متقاطعة، ويحمل الأمر على أن ذلك لقصور في فكرته وتجاوز عن حدّ فطوته، وربما يجنون الترجمة ومعها حديث يتكلف في مطابقته لها جداً ويجنون حديثاً في غوها هو بالمطابقة أولى وأجدى، فيحملون الأمر على أنه كان يضع الترجمة ويفكر في حديث يطابقها فلا يعن له ذكر الجلي فيعدل إلى الخفي، إلى غير ذلك من التقادير التي فوضوها في التراجم التي انتقوها فاعترضوها"⁽²⁾.

عدم وجوب الغسل بالجماع

فقد أخرج البخري في صحيحه في باب "غسل ما يصيب من فوج المرأة" رواية عثمان بن عفان، ينكر فيها وجوب الغسل مع الجماع وعدم الإيماء، وفتواه على ذلك، بينما الإجماع على خلاف ذلك، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: "اعلم أن الأمة مجتمعة الآن على وجوب الغسل بالجماع وإن لم يكن معه إزال وعلى وجوبه بالإزال"⁽³⁾، وقال ابن حجر: "واستشكل ابن عربي كلام البخري، فقال: إيجاب الغسل أطبقت عليه الصحابة ومن بعدهم، وما خالف فيه إلا داود ولا عوة بخلافه، وإنما الأمر الصعب مخالفة البخري وحكمه بأن الغسل مستحب"⁽⁴⁾.

(1) السرخسي، المبسوط: ج30، دار المعرفة . بيروت.

(2) ناصر الدين الإسكندراني، المتولي على تراجم أبواب البخري: ص36. 37، مكتبة المعلا . الكويت.

(3) النووي، شرح صحيح مسلم: ج4 ص36، دار الكتاب العربي . بيروت.

(4) ابن حجر، فتح البلي: ج1 ص340، دار المعرفة . بيروت.

المقارنة بين كتابي الكافي والبخري

بعد أن انتهينا من استعراض مقارنة موجزة سلطنا فيها الضوء على الشخصية العلمية لكل من الكليني والبخري، ننتقل إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب العلمية لكتابي الكافي والبخري والتي أغفلها الدكتور في مقارنته المختصة.

1. وقفة مع كتاب الكافي

لقد وقف علماء الشيعة وفقهؤهم من كتاب الكافي موقفاً يتسم بالعقلانية والاعتدال والابتعاد عن جانبي الإفراط والتفريط وبعيداً عن التقديس والإسراف في المغالاة، فتعاملوا مع الكتاب بحدود كونه روايات وأحاديث وراء اجتهد الكليني في جمعها وتلقيها عن الرواة والمشايخ وتبويبها وتصحيحها بمقدار وسعه وفترة البشوية في هذا المجال، فأدخله ضمن الآليات العلمية في قبول الحديث أو رده وتصحيحه أو تضعيفه، فحفظوا له حسناته وأشأوا بها وأكبروا فيه الدقة والأمانة وروح التحقيق العالية، ولم يمنعم ذلك من تخطئته في بعض المولد التي للاجتهاد فيها مجال واسع، وهذا ما يكشف عن حيوية المذهب

الشيوعي وتحرره وقرته الكبيرة على كثة العطاء والقابلية على الوام والاستوار .
ونشير فيما يلي إلى بعض الجوانب الوضاء التي تضمنها كتاب الكافي :

أ . اهتمام الكتاب بمسائل العقيدة:

الصفحة 291

جعل الكليني كتابه الكافي مؤلفاً من قسمين أساسيين هما: أصول الدين وفروعه، مما يكشف عن نظره الثاقبة والشمولية لمنظومة الشريعة الإسلامية، وقد أعطى مساحة واسعة للفكر والعقيدة وأودد للأصول كتبه وأوابه الخاصة، ثم عالج الكليني كثيراً من الأمور والمسائل الكلامية ذات العلاقة الوطيدة بالعقيدة الإسلامية، وذلك عبر رواياته المتضافرة في أصول الكافي، وهو لم يتوك الروايات التي أخرجها في هذا المجال خالية عن التعليق والتعقيب، فكشف عن قوة عالية في بيان رأيه الكلامية في مواطن متعددة من كتابه، كالأحاديث الوردية في صفات الذات وصفات الفعل، معقباً عليها بكلامه تحت عنوان: (جملة القول ما في صفات الذات وصفات الفعل) مبيناً الفرق بينهما باعتبار أن صفات الذات هي عين الذات الإلهية المقدسة، ولما كانت ذاته تعالى مما لا ضد لها فاستحال أن يوصف الله عز وجل بضدها كالعلم والقوة والحياة والغوة والحكمة والحلم والعدل، مع إمكان اتصافه تعالى بأضداد صفات الفعل كالرضا وضده السخط، والحب وضده البغض، وهكذا في صفات الفعل الأخرى.

وحيث إن كل باحث لابد أن يؤسس لنظريته في المعرفة ويؤصل ويقعد المبادئ التي ينطلق منها ويستند إليها في بنائه الفكري والمعرفي، ليقف على أرضية صلبة في معرفة التوحيد وباقي الأصول الأخرى، فلذا نجد أن الكليني قدّم في مبحث أصول الكافي كتاب العقل والجهل وكتاب العلم، ثم انطلق من الرؤية التي قدم بيانها وأسس بنيانها إلى المسائل العميقة والشريفة في علوم التوحيد من خلال عقد باب خاص في أحاديث توحيد الله تعالى أسماه ب (كتاب التوحيد)، ثم أعقبه بما يقوم به على الناس الحجة لله تعالى وهم الأنبياء والوسل والأوصياء، فبين من الأحاديث

الصفحة 292

عن أهل البيت (عليهم السلام) معالم النوات وشوائع الوسل ومناهج الأوصياء (عليهم السلام)، ثم انتقل إلى بيان مبادئ الإيمان والإسلام والحدود التي تخرج الإنسان عن الدين أو تدخله فيه مع بيان صفات المؤمنين والمسلمين واختلافها عن صفات الفاسقين والمنافقين والكافرين، ثم ذكر بعد ذلك فضل القآن وثواب قاءته وحمله وتعلمه وختمه وشفاعة القآن لأهله. وختم أصوله بما يوطد عوى العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين ويشيع ثقافة التعايش بين المسلمين، حيث أودد لذلك كتاباً أسماه ب (كتاب العثرة).

وهذا كلّه يدل على سعة الأفق الفكري للكافي والتسلسل العقلاني والمنطقي لأصول الدين في فكر الكليني.

ب . متانة أسناد الكافي:

لقد سلك الكليني في الكافي (أصلاً وفروعاً) في أسناد الأحاديث وطرقها ورجالها مسلماً يكشف عن قابلية نائرة واطلاع

واسع وعلم غزير في تتبع روايات أهل البيت (عليهم السلام) والالتزام التام في ذكر سلسلة السند كاملة في رواياته إلا ما ندر منها.

ومن منهجه في هذا المجال هو التتبع والتحري عن أكثر من طريق واحد للرواية، ولم يكتف بالمنهج السائد والمتبع وهو الالتزام في أغلب الأحيان بالطريق الواحد، فإذا ما توافر للكليبي طريقان وكل منهما ينتهي إلى واحد من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ذكرهما معاً في السند، وذلك بعطف الثاني على الأول مع الإشارة إليهما بعبارة (جميعاً)، بل قد يتعدى الكليبي إلى ذكر ثلاث طرق للرواية الواحدة.

الصفحة 293

ومن منهجه كذلك أن يروي عن أكثر من راو واحد في كل طبقة من طبقات السند، وأكثر ما يكون هذا التعدد في طبقة شيوخه أو الطبقة التي تروي عن الإمام من أهل البيت (عليهم السلام)، وفي هذا دليل على كثرة سماعه من الشيوخ ومصاحبه لهم، ولهذا المنهج فوائده الجمة، منها تلافي ضعف الرواية الناشئ من السند لأسباب مختلفة، كضعف أحد روايتها أو وجود عبارات مجهولة في السند، مثل (عمن حدثه) أو وجود مجهول لم تذكره كتب الرجال أو غير ذلك من أسباب التضعيف. ولكل ما ذكرناه شواهد وأمثلة، أعرضنا عن ذكرها رعاية لجانب الاختصار.

كما أن للكليبي رواية واسعة بأسماء الرجال وبلدانهم وألقابهم وكناهم، وتظهر هذه المعرفة جلية فيما ذكره عن رجال سنده في أحاديث الأصول والفروع من الكافي، حيث لا يقتصر فيها على أسمائهم، بل يضيف لهذه الأسماء ما تعرف به من كنية أو نسب أو لقب، كالنسبة إلى مدينة أو صناعة أو حرفة أو غير ذلك، كقوله: "عن الهيثم أبي روح صاحب الخان"⁽¹⁾، وأمثلة ذلك كثيرة أيضاً.

وكل من تتبع أسانيد الكافي في نقل الحديث وروايته تظهر له أمانة الكليبي في نقل الحديث وروايته، وذلك بالتمسك بألفاظ الحديث وألفاظ مشايخ السند واحداً عن آخر ونقلها كما هي، ولذا قال المحدث النوري في مستكره في حديثه عن الكافي: "ويمتاز عما سواه من كتب الحديث بقرب عهده إلى الأصول المعول عليها والمأخوذ عنها وما فيه من دقة الضبط وجودة الترتيب وحسن التبويب وإيجاز العناوين، فلا ترى فيه حديثاً ذكر في غير باب، كما أنه لم ينقل الحديث بالمعنى أصلاً، ولم يتصرف فيه، كما حدث للبخري مرات ومرات.

(1) الكليبي، الكافي: ج 7 ص 154.

الصفحة 294

ومع جلالته وقوته وعلو شأنه بين الأصحاب، لم يقل أحد بوجوب الاعتقاد بكل ما فيه ولم يسم صحيحاً كما سمي البخري ومسلم"⁽¹⁾.

ج . الثروة العلمية في أحاديث الكافي:

تمتاز متون أحاديث الكافي بتوسطها وتحليلها بالآيات القوانية الكريمة بنحو وافر جداً، وفي بعضها تكثيف واضح بالآيات، فهو بحكم موضوعه العقائدي والفقهية يتطلب مراعاة آيات العقيدة والأحكام والاستشهاد بها، مما يمكن اعتبار ذلك من المميزات المهمة لمتون روايات الكافي، وقد تضمنت الآيات الجانب الاستدلالي والتفسيري والتركيز على أسباب النزول، وهذا ما ينفع في تطبيق الآيات القوانية وتفعيلها في جانب الأحكام والعقيدة.

د . تعقيب الأحاديث بالآراء والاجتهادات:

لقد تضمنت روايات الكافي آراء واجتهادات كثرة، هي غالباً ما تكون للكلياني نفسه أو أحد الرواة المشهورين من أصحاب الأئمة، كابن أبي عمير و زرارة بن أعين والفضل بن شاذان ومعاوية بن عمار ويونس بن عبد الرحمن وأوابهم، وقد تأتي هذه التعقيبات . الاستفادة من وحي الآيات والروايات . توضيحاً لمرامي النص وأهدافه، أو بياناً للموقف تجاه الروايات التي قد يظهر منها التعرض في بعض متونها وبيان وجه الجمع فيما بينها أو غير ذلك.

(1) الميرزا النوري، مستترك الوسائل: ج1 ص29.28، مؤسسة آل البيت . قم.

الصفحة 295

وقد أبدى الكلياني راعة فائقة في تعقيباته على المتون، والتي جاءت تذييلاً لما قد يعثري بعض النصوص من الغموض والتعقيد على الفهم العام، وذلك باتباع منهج الشرح والإيضاح، أو دفع إيهام التعرض في المرويات ورأيه واجتهاده في ذلك، وأمثلة هذا المنهج في الكافي واضحة لمن طالع الكتاب ⁽¹⁾ .

هـ أبواب الفروع وقوة الفقاهاة:

تضمن الكافي بالإضافة إلى ما ذكرناه في تويب الأصول أبواباً مفصلة في بيان الفروع من الأحكام الشرعية، وقد احتلت القسم الأكبر من الكتاب، حيث وزعها الكلياني على ستة وعشرين كتاباً، تبدأ بكتاب الطهارة وتنتهي بكتاب الإيمان والنذور والكفريات، ثم قسم الكلياني هذه الكتب إلى عدد كبير من الأبواب بلغ مجموعها التقريبي ألفاً وسبعمائة وستة وسبعين باباً، وقد روى في هذه الكتب بأوابها (عشرة آلاف وتسعمائة وأحد عشر حديثاً) وهي مع الأصول ستة عشر ألفاً ومائة وتسع وتسعون حديثاً.

ولا يخفى أن هذا التويب والترتيب لتلك المجموعة الكبيرة من الأحاديث جاء نتيجة لنظرة الكلياني الفقهية الثاقبة باعتباره فقيهاً مجدداً في عصوره، واستطاع بمهلهته الفقهية أن يوفر بكثرة الأبواب الجهد لمن أراد الاطلاع على الأحكام الشرعية من خلال أحاديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) بسهولة ويسر، وذلك باستنباطه عناوين الأبواب من مضامين أحاديثها والأحكام الواردة فيها.

(1) لاحظ: الكافي: ج3 ص289. 290، وج6 ص134 وج7 ص290.

2. وقفة مع كتاب البخري

انتهج أعلام الطائفة السنية في الأعم الأغلب منهجاً اتسم بالغلو والإفراط في تعاملهم مع كتاب البخري، فأوصوا بذلك آفاق الموضوعية والبحث العلمي والتحرر الفكري وجمّوا حركة العلم وأوقوا سفينته على أعتاب كتاب البخري، مما اضطرهم إلى اللجوء في سبل التأويل والتوقيع والتمحلات والتوجيهات الباردة البعيدة عن المنطق والتي يمجهما النوق والعقل السليم، وتكفيك نظرة إجمالية لشروح البخري لتخرج بتلك الفكرة وذلك الانطباع.

وفيما يلي لمحة عن مغالاة بعض أعلام السنة في كتاب البخري:

أ. قال السيوطي في شرحه لعبارة النووي في التريب: "وذكر الشيخ . يعني ابن الصلاح . إن ما رواه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه"⁽¹⁾ ، وقد أوطأ أبو الصلاح فشط بعيداً وذهب إلى عصمة البخري عن الخطأ وأنه يفيد القطع والعلم اليقيني النظري، فإنه بعد أن ذكر ما نقلناه عنه، ذكر القول المخالف قائلاً: "خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن وإنما تلقته الأمة بالقبول؛ لأنه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطأ، وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قوياً، ثم بان لي أن المذهب الذي

(1) السيوطي، تريب الووي: ص102 ، دار الحديث . القاهرة.

اخترناه وألاً هو الصحيح؛ لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ"⁽¹⁾ . وهكذا ترى يا سعادة الدكتور كيف أنكم بعد أن سلبتم العصمة المطلقة من الخطأ وغره عن أصفياء وأولياء مرتبطين بالسماء وهم الأنبياء والرسول، نحلتم هذه الصفة إلى أناس عاديين وأعطيتوهم شعراً عريضاً ووصفاً واقفاً أسميتوهم بـ (الأمة) لكي يكون له وقعاً في نفوس البسطاء من عموم المسلمين، وعندما نأتي للتعرف على مفهوم الأمة لا نجد يتجاوز فئات وأواد وصفتموهم بأهل العلم أو أهل الحل والعقد، ثم سوّقتم هذا المبدأ وأخذ ينتشر انتشار النار في الهشيم في مجمل متبنياتكم الفكرية والعقيدية، وأصبح حلاً للكثير من المعضلات التي تواجهكم، ومن ذلك ما أوردناه عن ابن الصلاح، حيث بنى على عصمة كتاب البخري لعصمة الأمة التي تلقته بالقبول.

بـ وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: "وقد قال إمام الحرمين: لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي (صلى الله عليه وآله) لما أؤمته الطلاق ولا حنثته، لإجماع علماء المسلمين على صحتها"⁽²⁾ .

وفي عقيدتي أن الحنث حاصل لا محالة، وأن إمام الحرمين سيغير فتواه لو اطلع على ما نقلناه وما سنذكره من مخالقات وهفوات واضحة وفاضحة عن البخري وصحيحه.

(1) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح: ص10 ، مكتبة الفرابي.

(2) (النووي، شوح النووي على مسلم: ج1 ص19. 20 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

الصفحة 298

جو عن أبي زيد المرزوي قال: "كنت نائماً بين الوكن والمقام فأبیت النبي(صلى الله عليه وآله) في المنام، فقال لي: يا أبا زيد، إلى متى تنرس كتاب الشافعي ولا تنرس كتابي، فقلت: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل"⁽¹⁾ .
ولا أوري كيف يطلب رسول الله(صلى الله عليه وآله) من المرزوي أن يتوك كتاب الشافعي ويشغل بصحيح البخاري، مع أنه قد اتفق لبعض أولياء الله تعالى . كما زعم .: "أنه رأى ربه في المنام، فقال: يا رب، بأي المذاهب أشتغل؟ فقال له: مذهب الشافعي"⁽²⁾ ، فهل يعقل أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) يخالف أو امر ربه تبرك وتعالى!!؟
د . وقد ورد في مقدمة فتح البلي لابن حجر: "إن صحيح البخاري ما قوئ في شدة إلا فوجت، ولا ركب به في مركب فغوق"⁽³⁾ .

وكيف لنا أن نصدق بهكذا كوامات، مع أن كثيراً ممن نعرفهم بحسب علمنا من السنة والشيعة غرقت بهم السفن والوراكب وكانوا يحملون كتاب الله عز وجل، وهل أن كتاب البخاري أصح وأشرف وأعظم كرامة من كتاب الله تعالى!!؟
وسيتضح مما سنورده من مقتطفات حول هفوات وعثرات البخاري أن تلك الأقوال والرؤى مخالفة لواقع الكتاب، وقيمتها العلمية.

(1) ابن حجر، مقدمة فتح البلي: ص490 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(2) (الشرواني، حواشي الشرواني: ج1 ص53 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(3) ابن حجر، مقدمة فتح البلي: ص11.

الصفحة 299

مؤاخذات على كتاب البخاري

أولاً: الجامع الصحيح لم يكتمل في حياة البخاري

من المعروف أن النسخة الراجعة والمتداولة بين الناس هي النسخة التي كانت على رواية محمد بن يوسف الفروي، والولوي عنه أبو إسحاق إواهيم بن محمد المستملي، والمستملي هذا يقول: "استنسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفروي، فأبیت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة، منها تراجع لم يثبت بعدها شيئاً، ومنها أحاديث لم يتوهم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض، قال أبو الوليد الباجي: ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشمهيني ورواية أبي زيد المرزوي مختلفة بالتقديم والتأخير، مع

أنهم انتسخوا من أصل واحد، وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طره أو رقعة مضافة أنه من موضع ما فأضافه إليه، ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينهما أحاديث⁽¹⁾ .

وهذا يعني أن كتاب الصحيح لم يكتمل في حياة مؤلفه وإنما أكمله الآخرون من النساخ ورواهم، وهذا ما يلقي بظلاله على حجية الكتاب والشك في نسبه إلى مؤلفه، مما يفقده اعتباره ومكانته الزعومة، ولا أقل من إعمال الاجتهاد والتحقيق في تمحيص مطالبه دون التسليم والقطع بما فيه لتلقي الناس له بالقبول.

(1) ابن حجر، مقدمة فتح البلي: ص6.

الصفحة 300

ثانياً: العقائد الفاسدة في صحيح البخري

1. عقيدة التجسيم:

إن الذي يطالع كتاب التوحيد في البخري .والذي جعله آخر الكتب . يجده مليئاً وحافلاً بالروايات الصريحة في التجسيم وإثبات الصورة والساق وغير ذلك لله تعالى، وهذا يعني فيما يعنيه محدودية الذات الإلهية والنقص والاحتياج وغير ذلك من الأمور التي تنافي التوحيد الإسلامي الأصيل، ذلك الأمر الذي تصدى لإبطاله . وتقره البلي تعالى عن الاتصاف به . كل علماء الإمامية وكثير من علماء الطائفة السنية⁽¹⁾ .

وفيما يلي بعض النصوص الصريحة في التجسيم من روايات البخري:

أ . قوله: "فيأتي الله فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه"⁽²⁾ .

فإن هذه الرواية صريحة في إثبات الصورة لله تعالى وتلونها بألوان مختلفة.

وفي لفظ آخر: "فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟، فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن"⁽³⁾ .

ب . "يقال لجهنم هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبرك وتعالى قدمه عليها، فتقول: قط قط".

(1) لاحظ: شوح المقاصد، التفتراني: ج4 ص43. 44؛ تمهيد الأوائل، الباقلاني: ص223. 224.

(2) البخري، الجامع الصحيح: ج4 ص429، كتاب التوحيد ح7437، مكتبة الإيمان . المنصورة.

(3) البخري، الجامع الصحيح: ج4 ص431، كتاب التوحيد ح7439.



- وفي لفظ آخر: "فأما النار فلا تمتلئ، حتى يضع رجله، فنقول: قط قط قط، فهنا تمتلئ"⁽¹⁾، ولا أوري كيف ذلك؟ فهل تبقى رجل الوب خالدة في النار كي تبقى ممتلئة. والعياذ بالله. أم يخرجها منها؟! ج. "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة"⁽²⁾.
- وقال ابن الجوزي في تعليقه على روايات القدم والساق: "قلت: وذكر الساق مع القدم تشبيه محض"⁽³⁾.
- د. قوله: "ثم علا به [يعني الرسول] فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سورة المنتهى، ودنا الجبار رب الغوة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى"⁽⁴⁾.
- قال ابن حجر في معرض تعليقه على هذا المقطع من الحديث: "قال الخطابي: ليس في هذا الكتاب. يعني صحيح البخاري. حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل"⁽⁵⁾.
- ثم ذكر البخاري في تنمة الحديث ذاته قائلاً: "فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يارب، خفف عنا"⁽⁶⁾.
- قال ابن الجوزي بعد أن فهم التشبيه من مضمون الرواية: "فإن قيل: فقد أخرج في الصحيحين عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك أنه ذكر المعراج، فقال فيه: فعلا الجبار... الحديث.

-
- (1) البخاري، الجامع الصحيح: ج4 ص434، كتاب التوحيد ح7449.
- (2) البخاري، الجامع الصحيح: ج3 ص296، كتاب التفسير ح4919.
- (3) ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه بكف التثنية: ص120، دار الإمام النووي. الأردن.
- (4) البخاري، الجامع الصحيح: ج4 ص452، كتاب التوحيد ح7517.
- (5) ابن حجر، فتح البلي: ج3 ص402.
- (6) المصدر نفسه: ج3 ص402.

- فالجواب: إن أبا سليمان الخطابي قال: هذه لفظة تؤد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التثنية بمناكير الألفاظ"⁽¹⁾.
- هـ. وفيما يرويه عن النبي (صلى الله عليه وآله): "فأستأذن على ربي في ليله فيؤذن لي عليه... ثم أعود فأستأذن على ربي في ليله فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت وقعت ساجداً"⁽²⁾.
- قال ابن حجر في الفتح: "قال الخطابي: هذا يوهم المكان والله موه عن ذلك"⁽³⁾، ثم حاول بعد ذلك أن يؤول الحديث بما لا

2. الحط من مقام النبوة:

لا يخفى ما للنبوة من مقام شامخ ومقولة عظيمة تمثل الحجة الإلهية على الأرض، وقد اصطفى الله تعالى لها أشخاصاً كرمهم وفضلهم وعصمهم وجعلهم قوة وأسوة للناس، وقد زوهم الله تعالى في وانه الكريم عن كل ما يشينهم وكل ما يحط من منزلتهم، قال تعالى: **وَإِذْ كُنَّا عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنْ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ** (4)، وقد فضل الله تعالى نبيه الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) على جميع الأنبياء والموسلين،

(1) ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه بأكف التتويه: ص 136.

(2) البخاري، الجامع الصحيح: ج 4 ص 432، كتاب التوحيد ح 7440.

(3) ابن حجر، فتح الباري: ج 13 ص 530.

(4) ص: 45. 47.

الصفحة 303

قال تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحُكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَبُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** (1)، فإن الله تعالى قد اشترط في هذه الآية إعطاء النبوة والحكم لسائر الأنبياء بالإيمان بالنبي (صلى الله عليه وآله) ونصوته وشدد عليهم في ذلك، ولا شك أن المنصور هو القائد والناصر هو المقود والتابع، فنبينا أفضل وأكرم الأنبياء (عليهم السلام)، وهذا ثابت باتفاق المسلمين، وهو ما نص عليه نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) في الروايات المستفيضة من طرق الفويقين.

ولكن البخاري في صحيحه أساء إلى ذلك الصرح الشامخ بإدخال الروايات الإسرائيلية، والتي تنسب إلى الأنبياء الكذب والذنب وكل ما يحط من مقاماتهم السامية، ونشير فيما يلي إلى أمثلة موجزة في هذا المجال:

أ. ما أخرجه عن أبي هريرة، قال: "لم يكذب إبراهيم (عليه السلام) إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: **{إِنِّي سَقِيمٌ}**" وقوله: **{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا}**" وسئل عن سورة: فقال: "أختي" (2).

وهذه الرواية لا تتسجم مع عقيدة المسلم في الأنبياء؛ لأن الكذب من الكبائر ولا يجوز نسبته إليهم باتفاق المسلمين.

قال الفخر الرازي في تفسيره في مقام تعليقه على الرواية: "لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلا زنديق" (3).

وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): **{إِنِّي سَقِيمٌ}**: "قال بعضهم: ذلك القول عن إبراهيم (عليه السلام) كذبة، ورووا فيها حديثاً عن النبي (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات.

(1) آل عمران: 81.

(2) البخاري، الجامع الصحيح: ج2 ص350، كتاب أحاديث الأنبياء، ح3358.

(3) (الفخر الزلي، التفسير الكبير: ج22 ص186.

الصفحة 304

قلت لبعضهم: هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل؛ لأن نسبة الكذب إلى إواهيم لا تجوز، فقال ذلك الرجل: فكيف يحكم بكذب الرواة العذول؟ فقلت: لما وقع التعرض بين نسبة الكذب إلى الوولي وبين نسبته إلى الخليل (عليه السلام) كان من المعلوم بالضرورة أن نسبته إلى الوولي أولى" (1).

ب. ما أخرجه عن أبي هريرة أيضاً: **«إن موسى (عليه السلام): خلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل، فؤوه عياناً أحسن ما خلق الله»** (2).

وأخرج البخاري في صحيحه أيضاً عن أبي هريرة، قال: **«أرسل ملك الموت إلى موسى (عليه السلام)، فلما جاءه صكه ففقا عينه فوجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فود الله إليه عينه»** (3).

ج. ما أخرجه عن عائشة في أكثر من موضع، أنها قالت: **«سمع النبي (صلى الله عليه وآله) رجلاً يقول في المسجد، فقال: رحمه الله لقد أذكري كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا»** (4). وهذا ما يثير شكوكاً حول صيانة القرآن وحفظه من التحريف.

(1) (الفخر الزلي، التفسير الكبير: ج26 ص148.

(2) البخاري، الجامع الصحيح: ج2 ص366، كتاب أحاديث الأنبياء، ح3404.

(3) البخاري، الجامع الصحيح: ج2 ص92، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض.

(4) البخاري، الجامع الصحيح: ج2 ص162، كتاب الشهادات ح2655.

الصفحة 305

د. ما أخرجه عن سالم عن عبد الله: **«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لقي زيد بن عمر بن نفيل بأسفل بلدح وذلك قبل أن يقول على رسول الله الوحي، فقدم إليه رسول الله سؤة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم»** (1).

ه. ما أخرجه عن حذيفة، قال: **«أتى النبي (صلى الله عليه وآله) سباطة قوم فبال قائماً، ثم دعا بماء، فجنثه بماء فتوضأ»** (2).

وفي لفظ آخر: **«رأيتني وأنا والنبي (صلى الله عليه وآله) نتماشى، فأتى سباطة قوم خلف حائط، فقام كما يقوم أحدكم فبال، فانبتت منه، فأشار إلي فجنثه فقامت عند عقبه حتى فرغ»** (3) حتى صار هذا الاعتقاد الأعمى بصحة كل حديث أورده البخاري

ومسلم في صحيحيهما سنة يستن بها بعض الجهلة والحمقى كما يروي السيوطي: "إن البول قياماً صار عادة اعتاد عليها المسلمون من العامة في مدينة هوات وإحياء لهذه السنة المبتدعة، وعدم مخالفتهم لما جاء في صحيح البخاري ومسلم، وآهم أنهم يستنون بهذه السنة فكانوا يبولون عن قيام حتى ولو مرة واحدة في كل عام"⁽⁴⁾.

ونحن نهتف بوجدانك سعادة الدكتور هل تقدمون على مثل هذا الفعل، الذي يتنافى مع أبسط الأخلاق والآداب، وهو ما نستتكره من البسطاء من عامة الناس، فكيف بمن عظم الله تعالى خلقه وبعثه بمكرم الأخلاق!!

(1) البخاري، الجامع الصحيح: ج3 ص448، كتاب الذبائح والصيد، باب ما ذبح على النصب والأصنام.

(2) البخاري، الجامع الصحيح: ج1 ص99، كتاب الوضوء ح224.

(3) البخاري، الجامع الصحيح: ج1 ص100، كتاب الوضوء ح225.

(4) النسائي، شرح سنن النسائي: ج1 ص19 . 26.

الصفحة 306

و. ما أخرجه عن عائشة: "إن أبا بكر دخل عليها والنبي(صلى الله عليه وآله) عندها يوم فطر أو أضحي، وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت الأنصار يوم بعث، فقال أبو بكر: مزمار الشيطان . مرتين ؟! فقال النبي(صلى الله عليه وآله): دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم"⁽¹⁾.

وفي لفظ آخر: "إن أبا بكر دخل عليها وعندها جريتان في أيام منى تدفان وتضربان والنبي(صلى الله عليه وآله) متغش بثوبه، فانتبهوا أبو بكر فكشف النبي(صلى الله عليه وآله) عن وجهه، فقال: دعهما يا أبا بكر، فإنما أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى"⁽²⁾.

وقد حفل كتاب البخاري بهذه الروايات التي تتضمن عزف الجولي والقيان وغنائهن وضربهن بالدخوف في بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) والرسول جالس يستمع إلى ذلك، وأن رسول الله كان يحمل عائشة لتؤى غناء الأحباش ولهولهم ولعبيهم، وأن أبا بكر (رض) وعمر (رض) كانا يستتكران ذلك بينما لم يستتكره النبي(صلى الله عليه وآله)، إلى غير ذلك من الصور المشينة والمسببة إلى شخص النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)، والتي لو أراد أحد فناني الرسم أن يجسدها ويرسم رسول الله جالساً في مجلس للطرب واللهو وتحف بها القيان والجولي وهن يضربن ويرقصن، فما عساك أن ترى رد فعل الشلوخ الإسلامي، الذي انتفض واستتكر بعض الرسومات الكليكاتورية والتي لا تصل في الشناعة والإساءة إلى ما وصلت إليه هذه الصور التي نقلناها والتي لم ننقلها من كتاب البخاري، ومع ذلك ألبستموها لباس القداسة والعصمة!!

(1) البخاري، الجامع الصحيح: ج2 ص500، كتاب مناقب الأنصار ح3931.

(2) البخاري، جامع الصحيح: ج2 ص299، كتاب المناقب ح3531.

فهل هذه من أوار النبوة التي تتجلى في هذا الكتاب كما ادعيتم يا سعادة الدكتور!!؟

3 . الإسرائيليات في كتاب البخري

منها: تفضيل أنبياء بني إسرائيل وغيرهم على النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله).

أ. أخرج البخري في صحيحه عن أبي هريرة في حديث طويل، قال: "لا تخيروني على موسى" (1).

ب . عن أبي هريرة، قال: "بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فقام فطم وجهه، فقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر والنبي(صلى الله عليه وآله) بين أظهرنا؟ إلى أن قال: فغضب النبي حتى روي في وجهه ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه الأخرى، فأكون أول من بعث فإذا موسى أخذ بالعوش فلا أوي أحوسب لصعقته يوم الطور أم بعث قبلي؟ ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى" (2).

مع أن الطوائف الإسلامية مجمعة على أفضلية نبينا الأكرم(صلى الله عليه وآله) على سائر الأنبياء، والروايات في ذلك مستفيضة، منها ما أورده البخري نفسه في صحيحه، حيث أخرج في رواية طويلة عن أبي هريرة، قال(صلى الله عليه وآله): "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس في سعيد واحد" ثم بين رسول الله(صلى الله عليه وآله) أفضليته على سائر الأنبياء وأن له الشفاعة العظمى والمقام

(1) البخري، جامع الصحيح: ج4 ص440، كتاب التوحيد ح 7472.

(2) البخري، الجامع الصحيح: ج2 ص371، كتاب أحاديث الأنبياء ح3441.

المحمود الذي يفوق مقامات الأنبياء(عليهم السلام) (1)، وهذا ما يعد من تناقضات البخري في كتابه فأين عصمته ومطابقتها

لواقع يا دكتور؟

ومنها: خرافات اليهود

وهو ما أخرجه البخري عن عبد الله، قال: "جاء حبر من اليهود، فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يوهن، ثم يقول: أنا الملك! أنا الملك!

فلقد رأيت النبي(صلى الله عليه وآله) يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله" (2)، وقد أورد البخري هذه الرواية

فيما يزيد على خمسة مورد.

4 . مكبرات البخري

لقد اشتهر عن البخري أنه قال: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح"، مع أن ما رواه في صحيحه سبعة آلاف ونيف حديثاً وما يقرب من نصفها مكرر، والتكرار كما هو معلوم إذا لم تكن له فائدة فإنه يوجب الاستهجان والقبح، فقد كرر البخري على سبيل المثال حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرة⁽³⁾.

قال النووي: "وجملة ما في البخري سبعة ألف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالمكررة، وب حذف المكررة أربعة آلاف"⁽⁴⁾.

(1) البخري، الجامع الصحيح: ج3 ص214.215، كتاب تفسير القرآن ح4712.

(2) البخري، الجامع الصحيح: ج4 ص450، كتاب التوحيد ح7513.

(3) قال النووي في كتابه الإمام البخري: ص128. 129، "وى الإمام البخري يذكر حديثاً واحداً عشرين مرة، وقد روى حديث برة عن عائشة أكثر من اثنتين وعشرين مرة، وروى قصة موسى وخضر في أكثر من عشرة مواضع، وأخرج حديث كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك في أكثر من عشرة مواضع>

(4) النووي، تريب النووي بشوح السيوطي: ص77.

الصفحة 309

5. تجنبه الرواية عن أهل البيت (عليهم السلام)

في الوقت الذي يأمر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بأهل بيته والأخذ عنهم وعدم التخلف عن ركبهم، نجد أن البخري تحاشى في كتابه الرواية عنهم، ولا سيما الإمام الصادق (عليه السلام) الذي برز الأقران علماء وفقهاءً وحديثاً عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، حتى قال تلميذه أبو حنيفة: "مارأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد"⁽¹⁾، مع أن البخري لم يحتج به في صحيحه.

والإعراض عن الرواية عن أهل البيت (عليهم السلام) معروف في كتبكم ومجامعكم الحديثية، حتى قال شيخ إسلامكم: "ولم يرو عن علي إلا خمسمائة وستة وثمانون حديثاً مسندة يصح منها نحو خمسين حديثاً، وقد عاش بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) زيد من ثلاثين سنة، فكثر لقاء الناس إياه وحاجتهم إلى ما عنده"⁽²⁾ وقد تابع في عبرته هذه ما ذكره ابن حزم في كتابه الملل والأهواء⁽³⁾، ومن أراد الإطلاع على هذه الحقيقة أكثر يكفيه مراجعة بسيطة لكتاب منهاج السنة لابن تيمية، حيث حشاه بتوجيه الإهانات لأهل البيت (عليهم السلام) والإضرار بهم وإنكار فضائلهم وورهم العلمي في الأمة، الذي شهد به الداني والقاصي.

6. الروايات المنكرة والمخالفة للإجماع

أ. ما أخرجه في مسألة الإساءة والمواج، حيث ذكر أنه وقع قبل الوحي والبعثة النبوية، قال: <عن شريك بن عبد الله، أنه قال: سمعت ابن مالك يقول: ليلة أسوي رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى

إليه، وهو

- (1) (الزبي، تهذيب الكمال: ج5 ص79 ، مؤسسة الرسالة.
(2) ابن تيمية، منهاج السنة: ج7 ص519 ، مؤسسة قطبية.
(3) (ابن خزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج4 ص108 ، مكتبة الخانجي . القاهرة.

الصفحة 310

نائم في المسجد الحرام" (1) .

قال ابن حجر: "وقوله: قبل أن يوحى إليه أنكوها الخطابي وابن خزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي، وعبرة النووي: وقع في رواية شريك . يعني هذه . لو هام أنكوها العلماء أحدها قوله: (قبل أن يوحى إليه) وهو غلط لم يوافق عليه، وأجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون قبل أن يوحى إليه؟ انتهى" (2) .
ب . إنكراه الترتيب في الخلافة الواشدة، التي أجمع عليها أعلام السنة، وذلك ما أورده في باب مناقب عثمان عن ابن عمر، قال: "كنا في زمن النبي(صلى الله عليه وآله) لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله) وآله) لا نفاضل بينهم" (3) .

قال ابن حجر في تعليقه على الحديث: "وقد طعن فيه ابن عبد البر واستند إلى ما حكاه عن هارون بن إسحاق، قال: سمعت ابن معين يقول: من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته فهو صاحب سنة، قال: فذكرت له من يقول أبو بكر وعمر وعثمان ويسكتون، فتكلم فيهم بكلام غليظ"، ثم قال ابن حجر: "ولا شك في أن من اقتصر على ذلك ولم يعرف لعلي ابن أبي طالب فضله فهو مذموم، وادعى ابن عبد البر أيضاً أن هذا الحديث خلاف قول أهل السنة، أن علياً أفضل الناس بعد الثلاثة، فإنهم أجمعوا على أن علياً أفضل الخلق بعد الثلاثة، ودل هذا الإجماع على أن حديث ابن عمر غلط، وإن كان السند إليه صحيحاً" (4) .

- (1) البخاري، الجامع الصحيح: ج4 ص451، كتاب التوحيد ح5717.
(2) ابن حجر، فتح الباري: ج13 ص399.
(3) البخاري، الجامع الصحيح: ج3 ص439، كتاب فضائل أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله) ح3698.
(4) ابن حجر، فتح الباري: ج7 ص14.

الصفحة 311

وفي طبقات الحنابلة لأبي يعلى وسير أعلام النبلاء للذهبي، أن علي ابن الجعد قال بعد أن ذكروا حديث ابن عمر في مجلسه: "انظروا إلى هذا الصبي، هو لم يحسن أن يطلق امرأته، يقول: كنا نفاضل؟!!" (1) .
ج . ما أخرجه عن أنس، قال: "قيل للنبي(صلى الله عليه وآله) لو أتيت عبد الله بن أبي، فوكب حملاً، فانطلق المسلمون

يمشون معه . وهي أرض سبخة . فلما أتاه النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: إليك عني، والله قد آذاني نتن حمرك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله أطيبريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والنعال والأيدي، فبلغنا أنها أوتلت: **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا** ⁽²⁾ ، قال ابن بطال في شوحه على صحيح البخاري: "يستحيل أن تكون الآية توتلت في قصة عبد الله بن أبي وفي قتال أصحابه مع النبي؛ لأن أصحاب عبد الله بن أبي ليسوا بمؤمنين، وقد تعصوا له بعد الإسلام في قصة الإفك... فدل أن الآية لم تتول في قصة عبد الله بن أبي، وإنما توتلت في قوم من الأوس والخزرج اختلفوا في حق، فاقتتلوا بالعصي والنعال. هذا قول سعيد بن جبيرة والحسن وقتادة" ⁽³⁾ .

والروايات في هذا المجال كثرة تركناها رعاية للاختصار.

7 . روايته عن الجهمية والخروج مع حكمه بكفهم

(1) (أبو يعلى الواء، طبقات الحنابلة: ج1 ص423 رقم 213 ، مكتبة العبيكان . الرياض؛ الذهبي سير أعلام النبلاء: ج10 ص464463.

(2) البخاري، الجامع الصحيح: ج2 ص175. 176، كتاب الصلح ح2691.

(3) ابن بطال، شوح ابن بطال: ج8 ص64، دار الكتب العلمية . بيروت.

الصفحة 312

إنّ من التناقضات التي وقعت من البخاري في صحيحه أنه أخرج عن الجهمية والخروج والنواصب واحتج بهم في كتابه الصحيح كبشر بن السوي البصوي وعموان بن حطان وحريز بن عمران وغوهم، ولذا قال الذهبي: "فإنه [أي البخاري] يتجنب الرفضة كثيراً، وكأنه يخاف من تدينهم بالتقية، ولا زاه يتجنب القرية ولا الخروج ولا الجهمية" ⁽¹⁾ .
مع أن البخاري كوفهم ومنع الصلاة خلفهم والرواية عنهم، حيث يقول: "ما أبالي صليت خلف الجهمي والوافضي أم صليت خلف اليهود والنصرى" ⁽²⁾ ، وقال أيضاً: "نظرت في كلام اليهود والنصرى والمجوس فمارأيت قوماً أضل في كوفهم من الجهمية، وإنني لأستجهل من لا يكوفهم" ⁽³⁾ .

وقد علق على هذا الكلام محقق كتاب سير أعلام النبلاء، قائلاً: "وهو من الغلو والإطوار الذي لا يوافق عليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً، وكيف يحكم بكوفهم ثم يروي عنهم؟، ويخرج أحاديثهم في صحيحه الذي انتقاه وشروط فيه الصحة؟" ⁽⁴⁾ .
نكتفي بهذا القدر مما احتواه كتاب البخاري من إشكالات وتناقضات سجلها عليه علماء أهل السنة.

وقد تركنا في هذا المجال أمراً كثرة لم نشر إليها، كالإخراج في أسناد ومتون الروايات ونقص بعضها الآخر ومسقطاتها، والتقسيم غير الممنهج في الكتاب فلا تجد في الكتب الواردة في الصحيح أي تنظيم أو تنسيق منطقي كجعله كتاب التوحيد آخر الكتب، وأما الأبواب فإنك تراه عقد في

(1) الذهبي، ميزان الاعتدال: ج1 ص160 رقم 5960.

(2) البخاري، خلق أفعال العباد: ص11، مكتبة أبو بكر الصديق.

(3) البخاري، خلق أفعال العباد: ص9، مكتبة أبو بكر الصديق.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج12 ص456، هامش 2، تحقيق: صالح السمر بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة

الرسالة . بيروت.

الصفحة 313

كتاب المحررين من أهل الكفر والردة باباً أسماه (باب رجم الحبلى)، وباباً آخر في (رجم المحصن)، وباباً ثالثاً في (الرجم بالمصلى)، وباباً آخر في (الرجم في البلاط)، وكل ذلك أجني عن الكتاب المذكور كما هو واضح، كما أنه عقد باباً في كتاب المظالم والغصب أسماه (باب ما جاء في السفائف وجلس النبي صلى الله عليه وآله) وأصحابه في سقيفة بني ساعدة) وأورد تحته كلام عمر (رض) فيما جرى في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله)، وعقد في كتاب الطلاق باباً في نكاح المشركات، وفي كتاب الجهاد باباً في صفة حور العين، على أنه قد أكثر في الكتاب باب قول الله كذا، باب قول النبي كذا، وكان الكتاب لم يتم بعد، كما ذكرنا.

علماً أن البعض قد شكك في نسبة الكتاب إلى البخاري وأنه مسروق من كتاب العلل لشيخه بن المديني، كما نقل ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب⁽¹⁾، وإن حاول ابن حجر أن يضعفها، ولكنها موجودة على كل حال. قلتم في ص52: "وها نحن كما ترى لم ولن ننقل عن غير مؤلفات الشيعة".

قلت: ولكن المؤسف أنك لم تعتمد من كتبنا إلا على بعض الروايات الضعيفة، وحاولت أن تفهمها بحسب رؤيتك المتعصبة ضد مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

تهم واقتراعات على المذهب الشيعي

(1) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ج9 ص46، دار الفكر . بيروت.

الصفحة 314

قلتم ص52 . 55 : "إن قول أحمد أمين: "التشيع كان مؤى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام" يقول بمعناه كثير من العلماء قديماً وحديثاً؛ وذلك لأن منهج تعامل الشيعة مع الإسلام يؤدي إلى إلغاء الإسلام، ويتبين ذلك ببيان موقف الشيعة من رواة الدين . الصحابة . ومن القوان ومن السنة النبوية".

ثم أوردتم أسماء بعض علماء الشيعة وزعمتم أنهم يقولون بالتحريف، ونقلتم عبارة اثنين أو ثلاث منهم ودلستم في نقل

العبارة.

قلت: الجواب يشتمل على المسائل التالية:

أولاً: مسألة عدالة الصحابة

لابد أن تعلم أخي العزيز أن الشيعة ليس غرضهم وهمهم الطعن في صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) وعدالتهم؛ بل يؤمنون بأن صحبة النبي (صلى الله عليه وآله) شرف وفخر عظيم لكل من حظي بها، واهتدى بسورة النبي (صلى الله عليه وآله) وآله) المبركة وسار على منهاجه واتبع خطاه، كما أنهم متفقون على أنه كان لأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) دوراً في تقدم الإسلام، وأن الصحابة قد ضحوا في سبيل هذا الدين ونصروه بما وقفهم في الحروب والغزوات وغير ذلك من المخاطر التي توجهت إلى الدين وإلى شخص النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، واستشهد جمع غفير منهم في سبيل الله تعالى، وقد أقر الله تعالى آيات في قرآنه الكريم تمدحهم في جملة من المواقف.

الصفحة 315

ولكن الشيعة الإمامية تناقش في النظرية السننية المفوطة في عدالة الصحابة، حيث آمنت بأن كل من صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولو لفترة قصيرة، بل ولوراه فحسب فإنه عادل لا يكذب ولا يتعمد الخطأ، ويجب الاقتداء بما قاله أو رواه أو عمله، ويعتبر حجة على من سواه، وهذا ما يخالف القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الصحابة، فإنها تثبت أن جملة من الصحابة كانوا يؤنون النبي (صلى الله عليه وآله) ويعصون الله تبارك وتعالى بالكذب والهمز واللمز والبهتان ويفسق بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم الآخر، بل ومنهم من رتد عن الدين الإسلامي من قبيل عبد الله بن أبي سوح، ومنهم من تنصّر بعد الهجرة إلى الحبشة من قبيل زوج أم حبيبة، وقد تقدم ذكر بعض الآيات في هذا المجال⁽¹⁾، وسيأتي تفصيل ذلك في بحث الصحابة لاحقاً.

ثانياً: مسألة تحريف القرآن

يؤسفني أن أقول لك أخي العزيز إنك دلّست وكذبت في نسبة القول بالتحريف إلى بعض علمائنا، وذلك للأسباب التالية:

(1) وممن رتد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) قتيلة زوجة الرسول، قال ابن الأثير: قتيلة بنت قيس بن معدى كرب الكندية أخت الأشعث بن قيس وقيل قيلة والأول أصح، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ثم اشتكى وقبض ولم تكن قدمت عليه ولا رآها ولا دخل بها. قيل: إنّه تزوجها قبل وفاته بشهر.

وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى أن تُخبر فإن شاعت ضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين، وإن شاعت طلقها ولتتكح من شاعت، فاخترت النكاح فتروجها عكرمة بن أبي جهل بحضومت.

فبلغ أبا بكر، فقال: لقد هممت أن أحرق عليهما بينهما، فقال له عمر: ما هي من أمّهات المؤمنين ولا دخل عليها ولا

ضرب عليها الحجاب.

وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشئ ولكنّه لم يدخل بها ولتدت مع أخيها حين لرتد ثم نكحها
عكومة بن أبي جهل فرأد أبو بكر أن يوجمه، فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها وليست من أمهات
المؤمنين وقد وأها الله عز وجل بالوادة، فسكت أبو بكر .

وفيها وفي غيرها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لم يدخل بهن اختلاف كثير لم يتحصل منه كثير فائدة وقد
ذكرنا عند كل امرأة ما قيل فيها والله أعلم. أسد الغابة: ج 5 ص 532 . 533.

الصفحة 316

1 . ما دلّسته في نقلك لبعض عبارات علمائنا، فقد لفتت القول بتحريف القوان ونسبته إلى العياشي والقمي والكليني وأبو
القاسم الكوفي والنعمانى والطوسي والإبلي والحر العاملي والمجلسي ونعمة الله الخوازي ويوسف البحراني، من دون أن
توثق أقوالهم فيماز عتمته من نسبة القول بالتحريف إليهم.

2 . ما نقلته عن الفضل بن شاذان، من أنه ذكر باباً بعنوان (ذكر ما ذهب من القوان)، فهو إنما أورده استتكاراً ورداً
للروايات الواردة في كتبكم، والتي هي صريحة في تحريف القوان، وصريحة أيضاً في ذهاب جزء كبير منه، وكذا أورده
للتقص على من يتهم الشيعة بوقية تحريف القوان، فهل من الإنصاف والموضوعية أيها الدكتور العزيز أن تعمد إلى قلب
الحقيقة رأساً على عقب؟!

والدليل على ما ذكرناه قولك: "وأورد روايات من كتب السنة"، وادعيت أنه أساء فهمها، مع أنها صريحة في نقصان
وضياع قسم كبير من القوان.

من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قواء البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل، فقال
لهم فيما قال: "وأنا كنا نقو سورة كنا نشبهها في الطول والشدة بواءة فأنسيتها، غير أنني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم
واديان من مال لا يتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنا نقو سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير
أنني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة" (1) .

(1) مسلم، صحيح مسلم: ج 3 ص 726 ، كتاب الزكاة، باب 39 ح 1050 ، دار الفكر . بيروت.

الصفحة 317

وما أخرجه أحمد في مسنده عن زر بن حبيش، قال: "قال لي أبي بن كعب: كائن نقو سورة الأحزاب أو كائن تعدها؟ قال:
قلت له: ثلاثاً وسبعين آية، فقال: قط، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد وأنا فيها: الشيخ والشيخة إذاننيا فرجموهما
البتة نكلاً من الله والله عليم حكيم" (1) ، قال ابن كثير: "ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو ابن
بهذلة به، وهذا إسناد حسن" (2) .

وإذا كان الفضل بن شاذان قد أساء فهم هذه الروايات الصريحة في التحريف، فما هو الفهم الصحيح يا أستاذنا العزيز!؟

وهل ستفهمها تبعاً لما فهمه ابن كثير من رواية أحمد المتقدمة، حيث قال: "وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً"⁽³⁾!؟

فهل يعقل أن تتسخ وترفع سورة من القرآن الكريم بحجم سورة البقرة بألفاظها وأحكامها!؟

وهل هذا التعليل العليل إلا فار عن الإقرار بما ورد من التحريف في رواياتكم!؟

3 . ما نقلتموه عن فوات الكوفي في تفسيره عن أبي جعفر (عليهم السلام)، وأنه كان يقول: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل محمد على العالمين" زيادة لفظ "آل محمد".

فإني قد استغربت كثيراً كيف أنكم أوجتموه وجعلتموه في مصاف القول بالتحريف!؟

(1) أحمد بن حنبل، المسند: ج15 ص447 ، دار الحديث القاهرة، تحقيق: حوزة أحمد الزين، وقد علق على الحديث بقوله: (إسناده صحيح).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج3 ص473 ، دار المعرفة . بيروت.

(3) المصدر نفسه.

الصفحة 318

مع أن هذه قراءة أهل البيت (عليهم السلام) للآية المبركة، كما أنها أيضاً قراءة ابن مسعود في مصحفه.

أخرج الحاكم الحسكاني بسنده عنه شقيق، قال: "قأت في مصحف عبد الله وهو ابن مسعود: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين"⁽¹⁾.

وهذا باب واسع في بحث القراءات لا يخفى على سعادتكم، وقد أفرد له الباحثون في علوم القرآن وكتب الحديث باباً خاصاً، وقد تضمن زيادة الحرف أو الحرفين والكلمة أو الكلمتين في الآيات المبركة، بل ذكروا أن الزيادة قد تكون جملة بكاملها، وقد عوّها قسماً من أقسام القراءات المتعددة للقرآن الكريم، وقد وردت تلك الزيادات في القراءة في أصح كتبكم . البخاري ومسلم

فما دون . وإليك بعض النماذج في هذا المجال:

أ . ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾** قال: "من نبي ولا محدث"⁽²⁾.

ب . ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي يونس مولى عائشة إنه قال: "أموتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾**⁽³⁾ ، فلما بلغت آذنتها، فأملت علي: "حافظوا على الصلاة

والصلوات الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين" قالت عائشة: سمعتها من

(1) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ص152.

(2) البخري، صحيح البخري: ج2 ص437 ح3689 ؛ كتاب مناقب الأصحاب، مكتبة الإيمان . المنصورة.

(3) البقرة: 238.

الصفحة 319

رسول الله(صلى الله عليه وآله)"⁽¹⁾ .

ج . ما أخرجه البخري أيضاً بسنده عن ابن عباس (رض) قال: "كانت عكاظ ومجنة وذو المجزي أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكانهم تأثموا فيه، فتولت: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج). وأها ابن عباس"⁽²⁾ ، وقد أخرج البخري هذه الرواية بأسانيد أخرى عن ابن عيينة. انتهى.

وقال ابن حجر في فتح البلي: "قال الكرماني: هو كلام الروي ذكره تفسواً، وفاته مازاده المصنف في آخر حديث ابن عيينة في البوع "وأها ابن عباس" ورواه ابن أبي عمر في مسنده عن ابن عيينة، وقال في أخوه: "وكذلك كان ابن عباس يقرؤها، وروى الطوي بإسناد صحيح عن أيوب عن عكرمة أنه كان يقرؤها كذلك، فهي على هذا من القواء الشاذة وحكمها عند الأئمة حكم التفسير"⁽³⁾ .

وفي صحيح ابن خزيمة: "فأقول الله: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج" فحدثني عبيد بن عمير أنه كان يقرؤها في المصحف... وثنا أحمد بن عبدة أخونا حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن الزبير يقرؤها: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج"⁽⁴⁾ .
د . قال القوطي في تفسوه: "وفي بعض المصاحف: "أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهوركم عليها"⁽⁵⁾ .

(1) مسلم، صحيح مسلم: ج1 ص437 . 438 ح269 ، كتاب الصلاة، دار الفكر . بيروت.

(2) البخري، صحيح البخري: ج2 ص4 ح2050 ، كتاب البوع، مكتبة الإيمان . المنصورة.

(3) ابن حجر، فتح البلي: ج3 ص474 ، دار المعرفه للطباعة والنشر . بيروت.

(4) ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة: ج4 ص351 . 352 ، المكتب الإسلامي . بيروت.

(5) القوطي، تفسر القوطي: ج11 ص185 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

الصفحة 320

لقد اتضح من هذا النثر اليسير الورد في تعدد القواءات، أن زيادة كلمة أو أكثر ليس بدعاً من القول، بل هو أمر معروف وشائع وقد حفلت به كتبكم الحديثية وكتب التفسير وغوها، ولو أردنا أن نتماشى مع منهجك في الإشكال ونوج كل ما ورد في مجال تعدد القواءة ضمن قسم التحريف لانفتح على الإسلام والمسلمين باب للطعن في كتابهم العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا أظنك ترضى بذلك سعادة الدكتور.

ثم إنه أقصى ما يقال في الرواية التي نقلتها عن الإمام الباقر(عليه السلام) إنها قواءة شاذة وحكمها حكم التفسير، كما أفاد

ذلك ابن حجر في عبرته التي نقلناها آنفاً.

ولذا أخرج البخاري في صحيحه تفسيراً للآية المبركة وهي آية الاصطفاء عن ابن عباس، قال: "وآل عمران: المؤمنون من آل إراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد"⁽¹⁾.

ولا نتمنى أن تكون أخي العزيز قد استنقلت هذه الفضلية والكرامة لآل محمد (عليهم السلام)؛ أو استكثرت أن يكون الله تعالى قد اصطفاهم على سائر خلقه واختصهم بكرامته.

وكان الأخرى بجنابكم الكريم أن تُثَقِّيَ كتبكم مما علق بها من خوافات وأساطير، كالذي أورده الثعلبي في تفسيره وغره، عن الخوازي قال: سمعت مناد ينادي "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه"⁽²⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري: ج2 ص360، كتاب أحاديث الأنبياء، دار الفكر . بيروت.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان: ج3 ص53، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

الصفحة 321

4 . وأما ما نقلتموه عن الشيخ المفيد، واقتطاعكم العبارة من سياقها العام، وحذف الكلام الذي يمثل الرأي الأخير للشيخ المفيد والذي يتضمن نفي التعريف بشكل واضح لا لبس فيه، فهو الطامة الكبرى التي تجهز على روح التحقيق والموضوعية، وهذا المنهج الانتقائي والانتقائي المقصود هو الذي دأب عليه في الآونة الأخيرة الباحثون من الوهابيين الذين ينسبون أنفسهم إلى السلف، الأمر الذي أحدث هوة كبيرة بين منهج أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وهذا المنهج الدخيل على الفكر الإسلامي. ولكي يتضح لك صحة ما قلناه حول منهجك الانتقائي المتعمد، ننقل لك عبارة الشيخ بطولها، قال الشيخ المفيد (رحمه الله): "القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان.

أقول: إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله)، باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان، فأما القول في التأليف فالموجود يقضي فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم، ومن عرف الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني لم يرتب بما ذكرناه، وأما النقصان فإن العقول لا تحيله ولا تمنع من وقوعه، وقد امتحنت مقالة من ادعاه، وكلمت عليه المعقولة وغوهم طويلاً فلم أظفر منهم بحجة أعتمدها في فساد.

وقد قال جماعة من أهل الإمامة: إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيهه، وذلك كان ثابتاً مؤلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى، الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً، قال الله تعالى: **لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ**

وَحِيَهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً؛ فسمى تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف.

الصفحة 322

وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل والله أسأل توفيقه للصواب.

وأما الزيادة فيه فمقطوع على فساده من وجه ويجوز صحتها من وجه، فالوجه الذي أقطع على فساده أن يمكن لأحد من الخلق زيادة مقدار سورة فيه على حدّ يلتبس به عند أحد من الفصحاء، وأما الوجه المجوز فهو أن زاد فيه الكلمة والكلمتان والحرف والحرفان وما أشبه ذلك مما لا يبلغ حد الإعجاز، ويكون ملتبساً عند أكثر الفصحاء بكلم القرآن، غير أنه لا بد متى وقع ذلك من أن يدل الله عليه، ويوضح لعباده عن الحق فيه، ولست أقطع على كون ذلك، بل أميل إلى عدمه وسلامة القرآن عنه، ومعني بذلك حديث عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)⁽¹⁾.

وهذه العبارة من الشيخ المفيد كما تلاحظ سعادة الدكتور واضحة، بل صريحة في بيان رأيه القاطع في إنكار ورفض كل ألوان التعريف من الزيادة أو النقصان حتى الكلمة والكلمتين والحرف والحرفين، الذي عجت به كتبكم، بل أسقطت سوراً بحجم سورة البقرة ونسخت ألفاظها وعطلت أحكامها، كما أشرنا إلى ذلك.

فإذا كان بينك من زجاج فلا ترم الناس بحجر!

وأما عبارة الشيخ المفيد التي اقتطعتها من سياقها، وهي: "إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله) باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان"، فقد أوضح مواده منها في عبرته اللاحقة، حيث ذكر أن المراد من الحذف والنقصان الورد في الروايات إنما هو مما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام)، والنقصان من التأويل والتفسير وليس هو من جملة كلام الله تعالى، وهو قد يسمى قرآناً جريماً مع التعابير اللغوية، كما استعمل الله تعالى ذلك في قوله: **لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ**.

(1) الشيخ المفيد، أوائل المقالات: ص 80. 82، دار المفيد . بيروت.

الصفحة 323

ولو افتؤنا جدلاً بأن هذه الروايات تريد بيان وإثبات الحذف والنقصان في نفس القرآن الكريم، فلا شك أن المراد منه حذف الكلمة أو الكلمتين. والذي رفضه الشيخ المفيد أيضاً. وهو لا يخرج عن كونه قاءة من القاءات، التي حفلت بها كتبكم. وفي نهاية المطاف أجد نفسي مؤمماً بالتماس العذر لكم، بأنكم وقعتم تحت تأثير المنهج الذي سار عليه من سبقكم، فلعلك أخذت عبارة المفيد من تلك الكتب التي حاولت الطعن على الشيعة والتهمج عليهم، وتوكت الرجوع إلى المصدر الأساس في عبارة الشيخ، وهو كتابه أوائل المقالات.

5. وأما ما نقلتموه عن الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي، فليس هو قوله ورأيه في تفسير الآية المبركة: **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا ما طاب لكم من النساء**⁽¹⁾، وإنما هو عبارة عن رواية أوردها الطوسي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقام الردّ على زنديق جاء مستدلاً بأبي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل، وهي رواية ضعيفة موسلة لم يذكر

لها الطوسي سنداً أو طريقاً إلى أمير المؤمنين.

فهل من الإنصاف أن ننسب إلى طائفة كبيرة من الطوائف الإسلامية اعتقادها في قضية في غاية الخطورة كتحرير القرآن، اعتماداً على روايات ضعيفة ومرسلة، ولها نظائر في كتب أهل السنة كما أسلفنا!!؟

(1) النساء: 3.

الصفحة 324

6. والشيء نفسه تكرر فيما ذكرتموه عن تفسير الروهان، فمضافاً إلى أننا لم نجد في تفسير الروهان، وإنما هو ورد في تفسير القمي، فهي عيلة عن رواية ضعيفة ومرسلة، مع أنها لم تذكر إلا الاختلاف في القاء، والتعبير بلفظ التحريف فيها يعني حرف الكلام من حرف إلى حرف آخر، أي من قاءة إلى أخرى، ويمكن أن يكون تفسيراً للآية المبركة وتأييلاً لتوليها كما تقدم عن المفيد، ويلحق بذلك ما أوردته عن الكافي فإنه واضح في التفسير وكتبكم مليئة بها.

تمسك الشيعة بالسنة النبوية

قلتم في ص 55 : "أما في السنة: فإن الشيعة إذا جاء حديث يخالف معتقدهم طعنوا فيه، بل طعنوا في الصحابة الذين نقلوا السنة، ولم يبق منهم أحد لم يكفر أو يفسق إلا أربعة أشخاص.. أليس هذا باباً يؤدي إليه كل زنديق يحرب الإسلام!!؟"
قلت:

أولاً: إن هذه الدعوى العائمة والأحكام الجاهزة لا تناسب من يدعي أنه أستاذ جامعي يعتمد الدليل والحجة والروهان، فكان عليك أن تطلعنا على تلك الأحاديث التي طعننا فيها وتركناها لأنها مخالفة لمعتقدنا، كما أننا أسلفنا القول في عدم طعننا في الصحابة، وأنه لم يكن غرض الشيعة ذلك، بل إن طعن الشيعة الأساس في نظرية عدالة الصحابة المطلقة التي أوط السنة في التعيد لها.

الصفحة 325

ثانياً: إننا لا نؤسس عقائدنا على ما نستقيه من مصادركم وكتبكم، وإنما لنا طريقنا الصحيح والشوعي إلى الكتاب وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم عترة النبي (صلى الله عليه وآله) من أهل بيته (عليهم السلام)، وذلك للأدلة والروايات الصحيحة والمتضافرة التي تسالمت عليها الأمة الإسلامية، وأشهرها وأصحها حديث الثقلين الذي أوصى فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بالكتاب والعترة من بعده، ونحن قد أخذنا عقائدنا ومعالم ديننا من سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن مصورنا الأساس في ذلك هو ما ورد عن أهل بيت العصمة والطهارة، مضافاً إلى أننا نعتمد الكثير من الروايات التي رواها جملة وافرة من الصحابة مع عدالتهم ووثافتهم وصحة طرقها وأسانيدنا إليهم.

وأما مصادركم التي تدعوننا إلى الأخذ والتلقي عنها، وتُسمُّ من يجانبها ويجافها بالمروق عن الدين ومحلرته، فنحن نؤمن ولأسباب موضوعية وحقائق تاريخية أنها ولدت وتكونت في ظروف معينة أفقدتها عنصر الوثوق والاطمئنان بمضامينها

وأسانيدها وطوقها، فقد بقيت حبيسة الصدور ومحظورة التتوين حتى ذهب السواد الأعظم من حاملها وحفاظها من الصحابة؛ ولذا كانت عرضة للضياع والتحريف والدس والتبديل والوضع والتغيير، ولم يتم تنوينها إلا بأمر وإشواف من السلطات الأموية التي كانت حاكمة آنذاك، والتي رفعت بغض أهل البيت (عليهم السلام) ومحاربتهم شعراً وسياسة عامة، وجندت جملة من الوضاعين ووعاظ السلاطين لجعل الأحاديث في فضل أعدائهم، وشوّعت سبهم وشتيمهم وإقصاءهم وتصفييتهم وتصفية أتباعهم، فكيف تطالبنا أخي الدكتور بأن نأخذ بأحاديث مزعومة نشأت وتوعت في أحضان سياسات حاولت أن تقصي الورث الشوعي والمصدر والمنبع الحقيقي لسنة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)؟!!



ويضاف إلى ذلك أنكم اعتمدتم في مصاركم على أسانيد وطرق تضمنت رجالاً ورواة عرفوا بالنصب والعداء لأهل البيت (عليهم السلام) كالخوارج وغيرهم، ووصفتوهم بأنهم أصدق لهجة وأكثر تصلباً وتمسكاً بالسنة، حتى عد عوان بن حطان⁽¹⁾ وحريز بن عثمان الشامي⁽²⁾ والحسين بن نمير⁽³⁾ وأوابهم من رجال الصحيح، ويستبعد في الوقت ذاته مثل الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، بل يغمز فيه، بينما يطعن في الولوي ويؤكد حديثه إذا كان متهماً بالتشيع ومحباً أهل البيت (عليه السلام)، حتى عد ذلك من ألفاظ الجرح وأسبابه عندكم، وهذا ما يعطينا الحق في أن نعوض عما سطوته كتبكم من أحاديث وروايات على أنها سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثم إننا لا ندعي أن كل ما ورد في كتبكم فهو كذلك، أي باطل ولم يصدر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلا أننا نعتقد أنها فقدت آلية التمييز والتمحيص الصحيحة، بعد أن ابتليت مؤلفينكم من الجرح والتعديل بما ذكرناه.

وليس غرضنا مما بيناه أن نحمل في سائرنا حقداً أو ضغينة على الصحابة أو رواة الحديث، وإنما العقيدة الحقة تملينا أن لا نحابي أحداً مهما أحيط بهالات التقديس والتبجيل.

وأما ما نسبتموه إلى الشيعة من أنهم يكفرون ويفسئون الصحابة إلا أربعة، فقد استندتم فيه إلى بعض الروايات الواردة في كتبنا والتي أسأتم فهمها⁽⁴⁾، وسيأتي بيانها لاحقاً.

(1) روى له البخاري في لبس الحرير، صحيح البخاري: كتاب اللباس، رقم 5387.

(2) روى له البخاري في كتاب المناقب، رقم 3247 - 3287.

(3) روى له البخاري في كتاب الأنبياء وفي كتاب الطب.

(4) وقد وجد هذا المضمون في المصادر المعتمدة من كتب أهل السنة، روى الغزي والذهبي وابن حجر وغيرهم عن عمرو بن ثابت، قال: كلما مات النبي (صلى الله عليه وآله) كفر الناس إلا خمسة. > تهذيب الكمال: ج 21 ص 557، تهذيب التهذيب: ج 8 ص 9، سؤالات الآجري لأبي داود سليمان بن الأشعث: ج 1 ص 341، البداية والنهاية: ج 6 ص 91.

فقهيات شاذة في المذهب السني

قلتم في ص 56 تحت عنوان (فقهيات شاذة عند الشيعة) في مقام استعراض فتوى أبي حنيفة التي تنص على نفي الحد عن استأجر امرأة لفرني بها:

وهذه الفتوى الغريبة من أبي حنيفة ليست بأغرب من كثير من الفتوى الشيعية والتي أطلقها علماء الشيعة قديماً وحديثاً في المتعة وغيرها.

ثم نقلتم من الفتوى القديمة روايتين في تحليل المالك جليته للآخرين، واستعرضتم من الفتوى الحديثة كلاماً غريباً

ومستكراً عن المدعو حسين الموسوي، والذي لا يعدو كونه قصة مفتعلة من شخصية مصطنعة أو مجهولة الحال في الوسط الشيعي، وليس لها أثر ولا عين في المجالات العلمية، وقد تناهى إلى أسمعنا أخيراً أن المسمى بالموسوي كان من الشخصيات السننية المتعصبة والمدسوسة، والتي كان غرضها النيل من مذهب الشيعة وعلماهم، كما سمعنا أيضاً أنه قد اعترف بفعلته وأعلن توبته وندمه، واهتدى إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وألف كتاباً في الرد على ما ذكره من أراجيف ضد الشيعة. ثم إنكم أوردتم تحت العنوان ذاته فتويين عن الإمام الخميني والسيد الخوئي (رحمهما الله) في مسألة فقهية اجتهادية لم تخل منها كتبكم الفقهية والروائية، كما سيتبين من خلال استعراضنا لبعض الفتوى الشاذة في مذاهبكم.

الصفحة 328

ثم لو حيتم إلى القارئ أن الفتوى الشاذة في مذاهبكم منحوسة بأبي حنيفة، مع أننا أوردنا فتواه الشاذة على سبيل المثال، وسنذكر بعض النماذج الفقهية الشاذة عن أبي حنيفة وغيره من أئمة وعلماء المذاهب السننية، ولكثرة ما ورد في هذا المجال نقتصر على ذكر بعض تلك الفتوى ضمن العناوين التالية:

أولاً: الفتوى الغربية والشاذة عند أئمة المذاهب السننية

نحاول فيما يلي الإشارة إلى أمثلة في هذا المجال:

1 . ذهب أحمد بن حنبل إلى أن أقصى مدة الحمل أربع سنين، فلو طلق الرجل امرأته أو مات عنها، فلم تتكح زوجاً آخر، ثم جاءت بولد بعد أربع سنين من الوفاة أو الطلاق، لحقه الولد، وانقضت العدة به⁽¹⁾ .

كما قال أيضاً ابن قدامة في المغني: "ظاهر المذهب إن أقصى مدة الحمل أربع سنين، به قال الشافعي، وهو المشهور عن مالك، وروي عن أحمد أن أقصى مدته سنتان، وروي ذلك عن عائشة، وهو مذهب الثوري وأبي حنيفة... وقد وجد ذلك، فإن الضحاك بن مزاحم وهوم بن حيان، حملت أم كل واحد منهما به سنتين، وقال الليث: أقصاه ثلاث سنين، حملت هولة لعمر بن عبد الله ثلاث سنين، وقال عباد بن العوام: خمس سنين، وعن الزهري قال: قد تحمل المرأة ست سنين وسبع سنين، وقال أبو عبيد: ليس لأقصاه وقت يوقف عليه، ولنا أن ما لا نص فيه يوجب فيه إلى الوجود وقد وجد الحمل لأربع سنين، فروى الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك بن أنس: حديث جميلة بنت سعد عن عائشة لا تؤيد المرأة على السنتين في الحمل،

(1) (النووي، المجموع: ج 18 ص 194، دار الفكر - بيروت.

الصفحة 329

قال مالك: سبحان الله من يقول هذا؟ هذه جرتنا امرأة محمد بن عجلان تحمل أربع سنين قبل أن تلد، وقال الشافعي: بقي محمد بن عجلان في بطن أمه أربع سنين، وقال أحمد: نساء بني عجلان يحملن أربع سنين وامرأة عجلان حملت ثلاث بطون كل دفعة أربع سنين، وبقي محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي في بطن أمه أربع سنين، وهكذا إبراهيم بن نجيب العقيلي حكى ذلك أبو الخطاب، وإذا تقرر وجوده وجب أن يحكم به ولا زاد عليه؛ لأنه ما وجد"⁽¹⁾ .

وفي المحلى لابن حزم: "قالت طائفة: يكون الحمل سبع سنين ولا يكون أكثر، وهو قول الرهوي ومالك، واحتج مقلوه بأن مالكا ولد لثلاثة أعوام"⁽²⁾.

ولا شك إن أدنى ما يمكن أن يترتب على مثل هذه الآراء والفتوى الخرافية . المخالفة لواقع الوجدان وبديهيات الطب . من المفاصد الاجتماعية والحقوقية، أنها تفتح باباً واسعاً لانتشار الرنا وشواعة البغاء، وذلك بإضفاء الغطاء الشوعي وإعطاء الحماية القانونية لكل مومسة لم تستطع التخلص من لقيطها، من خلال ما رعمه من نسبة الجنين الذي في بطنها إلى زوجها الذي فرقها أو مات عنها قبل أربع سنين أو أكثر من دون أن يعلم عنها الزوج السابق شيئاً . كما أن ذلك يوجب اختلاط المياه وضياح الأنساب والموليث، ويفوغ الحكم بحرمة الرنا عن معناه .

(1) ابن قدامة، المغني: ج 9 ص 116-117 ، دار الكتاب العربي . بيروت .

(2) ابن حزم، المحلى: ج 10 ص 317، دار الفكر . بيروت .

الصفحة 330

2 . في مذهب أحمد بن حنبل: "إذا ادعى اثنان ولداً فإن لم يكن لأحدهما بيعة، أو كان لكل منهما بيعة تعرض الأخرى، فهنا يعرض على القافة، فإن أحقه القافة بأحدهما لحق به، وإن أحقوه بالاثنتين لحق بهما، فيرثانه جميعاً مواث أب واحد، ويرثهما مواث ابن"⁽¹⁾ .

وتعقيباً على هذه الفتوى الغريبة نتساءل: هل سوف يُمنح الوليد بطاقتين شخصيتين؟ وكم هو سعيد الحظ إذا كان أبواه من بلدين مختلفين؟!

3 . أفتى مالك بن أنس بطهارة الكلاب والخنزير، وسؤرها طاهر يتوضأ به ويشرب، وإن ولغا في طعام لم يحرم أكله، وعنده أن الأمر بغسل الإناء من ولوغ الكلب فيه مجرد تعبد⁽²⁾ .

وأفتى أيضاً بجواز أكل الحشرات، كالديدان والصواصير والخنافس والفؤان والحراذين والحرباء والعضاء، والحية حلال إذا ذكيت⁽³⁾ .

وإنه ليتبادر إلى ذهني سعادة الدكتور عند قراءة مثل هذه الفتوى أنها تفيد سواح المسلمين الذين يرتادون المطاعم الصينية! كما أفتى مالك أيضاً بحلية زواج الرجل من بنته التي أولدها من الرنا، ومن أخته وبنت ابنه، وبنت بنته، وبنت أخيه وأخته من الرنا أيضاً، مستدلاً بأنها أجنبية عنه، ولا تنتسب إليه شواعاً، ولا يجري التوارث بينهما، ولا تعتق عليه إذا ملكها، ولا تؤمه نفقتها، فلا يحرم عليه نكاحها كسائر الأجانب⁽⁴⁾ .

4 . أفتى الشافعي بحلية الزواج من بنته من الرنا، ومن أخته وبنت ابنه، وبنت بنته، وبنت أخيه وأخته من الرنا⁽⁵⁾ .

(2) ابن قدامة، المغني: ج 1 ص 41.

(3) المصدر السابق نفسه: ج 7 ص 64.

(4) المصدر نفسه: ج 7 ص 485.

(5) المصدر نفسه: ج 7 ص 485.

الصفحة 331

وإلى ذلك أشار المؤرخون في أبياته المعروفة قائلًا:

فإن شافعيًا قلت قالوا بأنني

أبيح نكاح البنت والبنت تحرم⁽¹⁾

وأفتى أيضاً بحلية الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها؛ لأن التسمية مستحبة عنده غير واجبة، لا في عمد ولا في سهو، وهذا القول مروى أيضاً عن أحمد بن حنبل⁽²⁾، مع أن الله تعالى يقول: **لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ** **فِسْقٌ**⁽³⁾.

كما أخرج الشافعي في كتابه (الأم) عن قبيصة بن نؤيب: "أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتها آية وحرمتهما آية، وأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك، قال: فخرج من عنده فلقى رجلاً من أصحاب النبي "صلى الله عليه وسلم"، فقال: لو كان لي من الأمر شيء، ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً. قال مالك: قال ابن شهاب: رآه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه"⁽⁴⁾.

5. وعن أبي حنيفة أن الرجل لو تزوج في المشوق بامرأة في المغرب، ثم مضت ستة أشهر، وأنت بولد، فإنه يلحق به؛ لأن الولد إنما يلحقه بالعقد ومضي مدة الحمل، وإن علم أنه لم يحصل منه الوطء، وأفتى بأنه لو تزوج رجلان امرأتين، فغلط بهما عند الدخول، فوفت كل واحدة إلى زوج الأخرى، فوطأها وحملت منه، لحق الولد بالزوج لا بالواطيء؛ لأن الولد للواش⁽⁵⁾.

(1) نقلاً عن مقدمة الكشاف للمؤرخون: ج 1 ص 4.

(2) النووي، المجموع: ج 8 ص 409.

(3) الأنعام: 121.

(4) المصدر نفسه: ج 5 ص 3.

(5) ابن قدامة، المغني، ج 9 ص 54.

الصفحة 332

هذا وقد عقد ابن أبي شيبة في كتابه (المصنف) باباً لمخالفات أبي حنيفة للأحاديث المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله)،

أسماء: كتاب الرد على أبي حنيفة، وقال: "هذا ما خالف به أبو حنيفة الأثر الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".
وذكر فيه 125 مورداً، واجعه (1).

وروى ابن عبد البر في كتاب الانتقاء عن وكيع بن الجراح قال: "وجدت أبا حنيفة خالف مائتي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله" (2).

وروى الخطيب البغدادي عن يوسف بن أسباط، أنه قال: "رد أبو حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم" أربعمائة حديث أو أكثر" (3).

ولأجل ما نقلناه من فتوى أئمة المذاهب السنية قال الرمخشوي في أبياته المعروفة:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به

فإن حنيفاً قلت قالوا بأنني

وإن مالكيّاً قلت قالوا بأنني

وإن شافعيّاً قلت قالوا بأنني

وإن حنبليّاً قلت قالوا بأنني

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه

وأكتمه كتمانهم لي أسلم

أبيح الطلا وهو الشواب المحرم

أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم

أبيح نكاح البنت والبنت تحرم

تقيل حلولي بغيض مجسم

يقولون تيس ليس بيوي ويفهم (4).

(1) ابن أبي شيببة الكوفي، المصنف: ج 8 ص 363.

(2) ابن عبد البر، الانتقاء: ص 151، دار الكتب العلمية. بيروت.

(3) الخطيب البغدادي، تزيخ بغداد: ج 13 ص 390، دار الكتب العلمية. بيروت.

(4) نقلاً عن مقدمة الكشاف للرمخشوي: ج 1 ص 4.

ثانياً: فتوى شاذة وعجيبة لجملة من الفقهاء

بالإضافة إلى ما ذكرناه من الشذوذ والغواية في فتوى أئمة المذاهب السنية، نجد أن فقهاءهم الآخرين سلوا على المنهج

ذاته، ولم تخل فتواهم من الغرائب:

1 . أفتى ابن حزم وغيره بأنّ الرجل الكبير البالغ له أن يرتضع من امرأة فيكون ابنها من الرضاة، فيحل له بعد ذلك ما يحل لابنها من الرضاة، وهذا الحكم يثبت له وإن كان المرتضع شيخاً⁽¹⁾ .

وهذا هو مذهب عائشة، ففي كتاب الأم للشافعي قال: "فأخذت عائشة بذلك فيمن كانت تحب أن يدخل عليها من الرجال، فكانت تأمر أختها أم كلثوم وبنات أخيها يرتضعن لها من أحببت أن يدخل عليها من الرجال والنساء، وأبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل عليهن بتلك الرضاة أحد من الناس"⁽²⁾ .

ونحن نتوك التعليق والحكم على هذه الطامات والنواهي إلى كل مسلم غير على دينه وعرضه وعلى حرّات المسلمين.

2 . وأفتى المالكيون بحلية أكل لحوم السباع، ومن ضمنها الكلاب والسنانير.

قال ابن حزم في معوض الرد عليهم: "ثم قد شهوا على أنفسهم بإضاة المال والمعصية في ذلك، إذ تركوا الكلاب والسنانير تموت على الزابل وفي النور، ولا يذبحونها فيأكلونها، إذ هي حلال، ولو أن امرأة فعل هذا بغنمه وبقوه لكان عاصياً لله تعالى بإضاة ماله"⁽³⁾ .

(1) ابن حزم، المحلي: ج 10 ص 17.

(2) الشافعي، الأم: ج 5 ص 29. 30، دار الفكر . بيروت.

(3) المصدر نفسه: ج 7 ص 401.

الصفحة 334

3 . وأفتى عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي والليث وغيرهم، بأنّه لو ذبح النصلرى لكنائسهم أو ذبحوا على اسم المسيح أو الصليب، أو أسماء من مضى من أحبلهم ورهبانهم فذبيحتهم لا يحرم الأكل منها⁽¹⁾ .

علماء إن الوهابيين في عصونا الحاضر . الذين يدعون انتسابهم إلى ذلك السلف . قد حكموا بكفر ورتداد أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وحرمة الأكل من ذبائحهم، وإن ذكروا اسم الله عليها⁽²⁾ .

4 . وقال ابن عابدين: "قال في الملتقط: الغلام إذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال، وإن كان صبيحاً فحكمه حكم النساء، وهو عورة من فقهه إلى قدمه"⁽³⁾ .

وعلى طبق هذه الفتوى فلا تستغرب إذا رأيت شاباً وسيماً قد رتدى ملابس النساء وتجلبب بالخمار وتقعّ بالنقاب!!

5 . ما اشتهر عن ابن باز من تكفوه من قال بكروية الأرض، وأن من قال بالبوران فهو كافر، ضال، مضل، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً.

وقد خلص في أحد كتبه التي ألفها بهذا الخصوص إلى أن: "القائل ببوران الأرض ضال قد كفر وأضل، كذب القرآن والسنة، وأنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً، ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين".

(1) النووي، المجموع: ج 9 ص 78.

(2) فتوى اللجنة الدائمة، قسم العقيدة: ج 2 ص 264 ، الفتوى رقم 1661 ، مكتبة المعرف بالرياض.

(3) حاشية رد المحتار، ابن عابدين: ج 1 ص 438.

الصفحة 335

ومن أدلته على ذلك قوله: "ولو كانت الأرض تتور كما زعمون لكانت البلدان والجبال و الأشجار و الأنهار والبحار لا قرار لها، ولشاهد الناس البلدان المغربية في المشوق والمشوقية في المغرب، ولتغيرت القبلة على الناس حتى لا يقرّ لها قرار"⁽¹⁾ .

وقد صار ابن باز بفتواه هذه سخوية العالم وأضحوكة العصر، وقد أوجع الراكز العلمية والأكاديمية؛ بل وحتى السياسية في المملكة.

ثالثاً: فتوى جنسية شاذة

إنّ فتوى الجنس الشاذة والغريبة في الكتب السننية كثرة نقتصر على ذكر نماذج منها:

1 . أفتى ابن حزم بجواز الاستمناء، ونقل الفتوى بذلك عن الحسن البصوي وعمرو بن دينار وزياذ بن أبي العلاء ومجاهد، وفي المجموع للنووي: "وأحمد بن حنبل على ورعه يجزه بأنه إخراج فضلة من البدن، فجاز عند الحاجة"⁽²⁾ .

وفي المحلى لابن حزم: "فلو عوضت فوجها شيئاً دون أن تدخله حتى يقول فيكوه هذا ولا إثم فيه، وكذلك الاستمناء للرجال سواء سواء؛ لأن مس الرجل ذكره بشماله مباح، ومس المرأة فوجها كذلك مباح بإجماع الأمة كلّها"⁽³⁾ .

وقال ابن القيم الجوزية: "وإن كانت امرأة لا زوج لها واشتدت غلمتها، فقال بعض أصحابنا يجوز لها اتخاذ الاكوننج، وهو شيء يعمل من جلود على صورة الذكر، فتستدخله المرأة، أو ما أشبه ذلك من قثاء ووقع صغار".

(1) ابن باز، الأدلة النقلية و الحسية على جريان الشمس وسكون الأرض و إمكان الصعود إلى الكواكب، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1395 هجرية.

(2) النووي، المجموع: ج 20 ص 33، دار الفكر . بيروت.

(3) ابن حزم: المحلى: ج 11 ص 392، دار الفكر . بيروت.

الصفحة 336

وقال أيضاً: "وإن قرّر بطيخة أو عجيناً أو أديماً أو نجشاً في صنم إليه فأولج فيه، فعلى ما قدمنا من التفصيل، قلت: وهو أسهل من استمنائه بيده"⁽¹⁾ .

ومن الواضح إن إباحت مثل هذه الأمور وتفشيها في المجتمع . مع منافاتها للفتوة والعقل والنوق السليم . تؤدي في أكثر

الأحيان إلى إشاعة الفواحش وإثارة الغرائز، واكتفاء الرجال بالبطيخ والأصنام، والنساء بالقوع والاكرونيج، وعزوف الشباب عن فكرة الزواج وتكوين الأسر الإسلامية الصالحة.

2 . قال الدسوقي في الحاشية: "قلو دخل الشخص بتمامه في الفوج فلا نص عندنا. وقالت الشافعية: إن بدأ في الدخول بذكوه اغتسل والآ فلا، كأنهم رؤوه كالتغيب في الهواء"⁽²⁾ .

3 . قال الشرواني في حواشيه: "لو شق ذكوه نصفين فأدخل أحدهما في زوجة، والآخر في زوجة أخرى، وجب عليه الغسل لونهم.

لو أدخل أحدهما في قبلها، والأخرى في دوها، وجب الغسل"⁽³⁾ .

رابعاً: تحليل الأمة والاستمتاع بالصغرة

إنّ ما ذكره الدكتور في كتابه من الفتوى القديمة والحديثة، والتي جعلها غرضاً للسخرية والاستهزاء، استخفافاً بقول الوّاء، إنما هي مسائل فقهية لا تخرج عن إطارها العلمي والاجتهادي العام، مع أن لها نظائر كثيرة في كتبكم الفقهية ومجامعكم الروائية، ونشير فيما يلي إلى نموذجين عما ذكره من تحليل الأمة والاستمتاع بالصغرة في كتب الطائفة السنية:

(1) ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد: ج4 ص905، مكتبة الباز . مكة المكرمة.

(2) حاشية الدسوقي، الدسوقي: ج1 ص129.

(3) الشرواني، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج: ج1 ص260، دار إحياء التراث.

الصفحة 337

1. تحليل الأمة لغير المالك في كتب السنة:

قال ابن حزم في المحلّى تحت عنوان (من أحل فوج أمته لغوره): "قال ابن عباس: إذا أحلت امرأة الرجل، أو ابنته، أو أخته له جريتها فليصحبها وهي لها، فليجعل به بين وركيها، قال ابن جريج: وأخروني ابن طلوس عن أبيه أنه كان لا يرى به بأساً، وقال: هو حلال فإن ولدت فولدها حرّ، والأمة لامرأته ولا يغوم الزوج شيئاً، قال ابن جريج: وأخروني إرواهيم بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن زادويه عن طلوس أنه قال: هو أحل من الطعام، فإن ولدت فولدها للذي أحلت له وهي لسيدها الأول، قال ابن جريج: وأخروني عطاء بن أبي رباح، قال: كان يفعل، يحل الرجل وليدته لغلّامه وابنه وأخيه وتحلها المرأة لزوجها، قال عطاء: وما أحب أن يفعل، وما بلغني عن ثبت قال: وقد بلغني أن الرجل كان يرسل بوليدته إلى ضيفه، قال أبو محمدرحمه الله: فهذا قول وبه يقول سفيان الثوري، وقال مالك وأصحابه: لا حدّ في ذلك أصلاً، ثم اختلف قوله في الحكم في ذلك، فمرة قال: هي لمالكها المبيح ما لم تحمل، فإن حملت قومت على الذي أبيحت له، ومرة قال: تقام بأول وطئه على الذي أبيحت له، حملت أو لم تحمل"⁽¹⁾ .

(1) ابن حزم، المحلى: ج 11 ص 257 . 258.

الصفحة 338

قال ابن القيم الجوزية في بدائع الفوائد: "وفي الفصول روى عن أحمد في رجل خاف أن تتشق مئنته من الشبق أو تتشق أنثياه لحبس الماء في زمن رمضان يستخرج الماء، ولم يذكر بأي شيء يستخرجه، قال: وعندي أنه يستخرجه بما لا يفسد صوم غوه، كاستمنائه بيده أو ببدن زوجته أو أمته غير الصائمة، فإن كان له أمة طفلة أو صغرة استمنى بيدها وكذلك الكافرة ويجوز وطؤها فيما دون الفوج، فإن رُاد الوطء في الفوج مع إمكان إخراج الماء بغوه فعندي أنه لا يجوز"⁽¹⁾.

وجاء في كتاب المغني لابن قدامة: "فأما الصغرة التي لا يوطأ مثلها فظاهر كلام الخرقى تحريم قبلتها ومباشرتها لشهوة قبل استوائها، وهو ظاهر كلام أحمد، وفي أكثر الروايات عنه قال: تستوأ وإن كانت في المهد"⁽²⁾، وهذا يعني جواز تقبيل الصغرة ومباشرتها بشهوة بعد استوائها وإن كانت في المهد، وهذا هو رأي الخرقى وظاهر كلام أحمد.

وجاء أيضاً في أحد مواكز الإفتاء السني، بإشراف د. عبدالله الفقيه تحت عنوان (حدود الاستمتاع بالزوجة الصغرة): "السؤال: أهلي زوجوني من الصغر صغرة، وقد حزنوني من الاقتراب منها، ماهو حكم الشوع بالنسبة لي مع زوجتي هذه، وما هي حدود قضائي للشهوة منها وشكراً لكم؟

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإذا كانت هذه الفتاة لا تحتل الوطء لصغرها، فلا يجوز وطؤها؛ لأنه بذلك يضرها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" رواه أحمد وصححه الألباني.

وله أن يباشوها، ويضمها ويقبلها، ويقول بين فخذيهما، ويجتنب الدبر؛ لأن الوطء فيه حرام، وفاعله ملعون، ولمزيد الفائدة تراجع الفتوى رقم 13190 والفتوى رقم 3907، والله أعلم.

(1) ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد: ج 4 ص 906.

(2) ابن قدامة، المغني: ج 9 ص 159.

الصفحة 339

المفتي: مركز الفتوى، بإشراف د. عبدالله الفقيه، تليخ الفتوى: 6 / شعبان / 1423 فتوى رقم: 23672"⁽¹⁾.

اتهام الشيعة بالكفر والخروج عن الإسلام

قلتم في ص 59 : وكتب الشيعة الأصول مملوءة بما يقرر عدة عقائد، كل واحدة منها كافية لجعل الشيعة مذهباً خراجاً في نظر السنة عن الإسلام، ثم زعمتم أن كتبنا بعد أن قررت إمامة علي(عليه السلام) نصت على كفر الصحابة بتوكها.

أولاً: الفهم السلفي الخاطئ للعقيدة الشيعية

إنّ الكثير من الإشكالات والشبهات التي أثارتموها وأثّر لها بعض المدافعين عن الفوقة الوهابية، ناشئة من القصور والجهل بمخطط البناء الفكري والمنظومة العقديّة لأصول المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري، فواكم تستغربون بعض الأمور وتستوحشونها، بل وتسخرون وتستفثون بها، للجهل بأنها مبتنية ومرتكزة على أسس وقواعد محكمة معتمدة على الأدلة الواضحة، فتؤخذ مبتورة ومجرّأة عن محيطها وسياقها العام، فعندما تطبق على تلك الفكرة المقطوعة من محلّها وفق المولدين التي أسسها الوهابيون لأنفسهم تبنا غريبة وهجينة، وهذا ما وقعتم فيه في كثير من مباحث كتابكم (حوار هادئ)، ومن أهم تلك المباحث هو: معتقد الإمامة، تلك العقيدة الأصيلة في الإسلام، والتي تستند على ركائز رصينة لا يمكن فهمها واستيعابها خارج إطارها الصحيح.

(1) للاطلاع على مضمون الفتوى أكثر راجع على الانترنت الرابط التالي:

<http://islamweb.net/pls/iweb/Fatwa.SearchFatByNo?Fatwald=23672&thelang=A>

الصفحة 340

فإنّ الإمامة عند الشيعة سفرة إلهية وامتداد طبيعي للنبوة والرسالة الخاتمة، فهي السبيل الذي تتكفل بحفظ الشريعة وتجسيد مبادئها وهي قيادة معصومة للأمة توصلهم إلى سبيل الحق والعدل الذي بعثت من أجله الأنبياء والرسول، مستنديين في ذلك كله إلى أدلة عقلية ونقلية مستقاة من الكتاب والسنة النبوية المبركة، فمن الطبيعي أن تأخذ هذه العقيدة بذلك الحجم وتلك الخطورة نوراً واسعاً في مبادئ الرسالة الخاتمة، وتكون ركوة من ركائز الإيمان، ويفقد منوها نرجة من نرجات الإيمان وهذا ما يقابله نرجة من نرجات الكفر والإنكار أيضاً.

ثانياً: الشيعة لا يكفرون مسلماً

لقد أجمع المسلمون بما فيهم الشيعة الإمامية على أنه لا يحكم بكفر أحد إلا إذا أنكر أحد أصول الإسلام الرئيسية كالتوحيد والنبوة والمعاد، أو أنكر ضرورياً من ضروريات الإسلام، فيما إذا استنزم ذلك تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله) وإنكار رسالته، إلا من شذ من المسلمين من أتباع الفوقة الوهابية الذين كفّروا المسلمين لتوسلهم بالأنبياء والأولياء وزيلة قيرهم الشريفة أو غير ذلك مما لا ينسجم مع منهجهم التكفوري.

الصفحة 341

وأما الإمامة فهي عند الشيعة الإمامية من أصول الإيمان وركان المذهب، فإنكراها وعدم الإيمان بها لا يخرج الشخص

عن الإسلام، ولا عن الإيمان الذي وادف المعنى العواد من الإسلام، كما في قوله تعالى: **لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ**

، وإنما يخرج الشخص بإنكاره عقيدة الإمامة عن الإيمان الذي يورث مرتبة ومقام الطاعة والتسليم والانقياد إلى **لَسْتَ مَوْمِنًا** (1)

أئمة الدين وقادته الإلهيين، كما في قوله تعالى في حق المسلمين من الصحابة: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُواكَ فِيمَا سَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا}**⁽²⁾ ، كَمَا خَاطَبَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْأَكْرَمِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَائِلًا: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ * تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ * وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}**⁽³⁾ ، فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَطَالِبُ الْمُؤْمِنِينَ بِرُجَّةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ رُجَّةُ الطَّاعَةِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّسْلِيمِ.

فالذي ينكر ويعرض عن هذه الرجة القوانية من الإيمان وإن بقي على إسلامه والإيمان المولي له في المعنى يكون كافراً بتلك الرجة من الإيمان، فإن الكفر قد يطلق في القوان والسنة النبوية الشريفة على الإنكار والجحود القلبي لبعض الحقائق الدينية أو المبادئ والفروع التفصيلية بما يشمل إتيان الذنوب وتوك الواجبات ونكران النعم، وإن لم يكن كافراً بحسب الاصطلاح والحكم الفقهي، وذلك كما في قوله تعالى:

(1) النساء: 94.

(2) النساء: 65.

(3) الصف: 10. 11.

الصفحة 342

{لَنْ شُكِرْتُمْ لِأُرِيدَنكُمْ وَلَنْ كُفِرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}⁽¹⁾ ، وَكَوَلَهُ تَعَالَى أَيْضًا: **{فَاذْكُرُونِي أَنْذُرَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}**⁽²⁾ ، وَكَذَا مَا حَكَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَام): **{هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}**⁽³⁾ ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): رُبِيتُ النَّارُ؟ فَإِذَا أَكْثَرَ أَهْلُهَا النَّسَاءَ، يَكْفُونَ، قِيلَ: أَيْكَفُونَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُونَ بِالْعَشِيرِ وَيَكْفُونَ الْإِحْسَانَ"⁽⁴⁾ ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّىٰ رُجِعَ إِلَيْهِمْ"⁽⁵⁾ ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ مِنَ الْكُفْرِ فِي الرِّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أُورِدْتُمُوهَا فِي كِتَابِكُمْ عَنْ كِتَابِ الْكَافِي، فَإِنَّ جَا حِدَ الْوَلَايَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالْخَلَافَةِ وَمَقَامِ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَوْلِي الْأَمْرِ فَاقْدِ لِرُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَكَافِرِ بِنَتِكَ الرُّجَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِحَسَبِ الْإِصْطِلَاحِ الشُّوعِيِّ وَالْفُقْهِيِّ.

ثالثاً: روايات التفسير والتأويل للقوان الكريم

إن ما أوردموه من الروايات التي جاءت بصدد تفسير وتأويل بعض الآيات القوانية المبركة بمقام الإمامة والولاية، والتي ضاق بها صدرك، فهي ترمي إلى بيان بعض المعاني العميقة للقوان الكريم والذي هو تأويل القوان وباطنه، فإن للقوان ظاهراً وباطناً إلى سبعة بطون أو أكثر، وذلك لما صح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: "أقول القوان على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر

(1) إرواهيم: 7.

(2) البقرة: 152.

(3) النمل: 40.

(4) البخاري، الصحيح الجامع: ج 1 ص 78، كتاب العلم بـ 21.

(5) مسلم، صحيح مسلم: ج 1 ص 83، كتاب الإيمان بـ 31.

الصفحة 343

وبطن"⁽¹⁾ ، فمن الحقائق المهمة على صعيد المعرف القوانية هي أن كل آية من الآيات تتضمن معان متعددة أعمق وأدق وأشمل بحسب المصاديق والتطبيقات من المعنى الظاهر والمتيسر لعامة الناس، وهذا التعدد والتوج في المعاني القوانية يتناسب مع اختلاف العقول وتوج الأفهام، ولذا نجد أن العلماء والمفسرين يستنبطون من الآيات القوانية في مجال العقائد والأحكام ما لا يبركه القرئ العادي.

وقد نص على هذه الظاهرة القوانية جملة من مفسري وأعلام الطائفة السنية.

قال المنوي في شرحه لما أورده السيوطي في الجامع الصغير: "أقول القوان على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن، فظهوره ما ظهر تأويله وعرف معناه وبطنه ما خفي تفسيره وأشكل فحواه"⁽²⁾ .
وقال ابن تيمية:

"فإن الباطن إذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم، فإن علم أنه حق قبل وإن علم أنه باطل رد"⁽³⁾ .

فالباطن والتأويل الذي ينسجم مع المعنى الظاهر ولا يعرضه من المداليل القوانية التي أقرها العلماء والمفسرون، وعقيدتنا في الروايات التي

(1) ابن حبان، صحيح ابن حبان: ج 1 ص 276 ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وقد حكم بحسن الحديث، كما أخرج الحديث أبو يعلى في سنده؛ والطواني في معجمه الكبير والصغير، وقد وثق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد: ج 7 ص 316.

(2) المنوي، فيض القدير: ج 3 ص 71، دار الكتب العلمية . بيروت.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى الكوى: ج 13 ص 236.

الصفحة 344

أوردتموها عن كتاب (الكافي) أنها جاءت للإشارة إلى تأويل القوان وباطنه الذي لا يتقاطع مع ظاهره، والدليل على ذلك أنك لو رجعت إلى تفسير تلك الآيات المذكورة في ضمن الروايات المؤولة لها في مجامع تفاسيرنا المشهورة لوجدت لها معان أخرى تعبر عن المعنى الظاهر بما قد يتوافق مع جملة من تفاسيركم⁽¹⁾ .

رابعاً: تكفير منكر الخلافة

إنّ الشيعة الإمامية بعد أن اعتقلوا بأن الإمامة من أصول الدين وأركان الإيمان فلا ضير أن يعتقوا بأن من أنكروها سينطبق عليه الكفر المقابل لدرجة من درجات الإيمان، مع أنهم اعتقلوا أيضاً بأن المنكر للإمامة لا يخرج عن دائرة الإسلام، ولكن الفوق الوهابية وعلماءها آمنوا وصحروا بكفر الكثير من المسلمين، فكل من أنكر خلافة أبي بكر (رض) وعمر (رض) أو ردّ بعض فضائلهم أو فضائل بعض الصحابة، فقد رمي بالكفر والزندقة وأخرج من ربة الإسلام مع أن الدليل قاده إلى ما ذهب إليه.

والشواهد على ذلك كثرة:

منها: ما في البحر الرائق عن ابن نجيم المصري، قال: "والرافضي إن فضل علياً على غيره فهو مبتدع وإن أنكر خلافة الصديق فهو كافر"⁽²⁾.

وفي الصواعق: "فمذهب أبي حنيفة أن من أنكر خلافة الصديق أو عمر فهو

(1) لاحظ: التبيان للشيخ الطوسي؛ ومجمع البيان للشيخ الطوسي في تفسيرهما للآية.

(2) ابن نجيم، البحر الرائق: ج 1 ص 611، دار الكتب العلمية - بيروت.

الصفحة 345

كافر"⁽¹⁾.

ومنها: تكفير من قال بخلق القرآن، وهو ما اشتهرت به الحنابلة، فقد حكم أحمد بن حنبل بكفر جملة وافرة من علماء المسلمين ورواتهم بسبب قولهم بأن القرآن مخلوق.

قال أحمد بن حنبل: "ومن زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة، والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم فهو مثلهم"⁽²⁾.

وقال أيضاً: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن شك في كونه فهو كافر"⁽³⁾.

وهذا ما يوجب تكفير جملة من فرق الطائفة السنية ومنهم الأشاعرة والمعتزلة والأحناف، وفي مقدمتهم أبو حنيفة، حيث اتهمه بالكفر رؤساء الحنابلة.

ومنها: تكفير من لم يعتقد بروية الله تعالى البصوية يوم القيامة، قال ابن تيمية: "والذي عليه جمهور السلف أن من جد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر"⁽⁴⁾، ويقصد من الرؤية في الدار الآخرة الرؤية البصوية، مع أن هذا يؤم منه تكفير عائشة التي أنكوت مطلق الرؤية كما في البخري⁽⁵⁾، وكذا تكفير قتادة ومجاهد والسدي⁽⁶⁾ وغيرهم ممن أنكروا الرؤية البصوية يوم القيامة.

خامساً: إن ما ذكرته من أن مسألة لرداد الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة بعد

- (1) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ص138 ، مؤسسة الرسالة . بيروت.
- (2) أحمد بن حنبل، العقيدة: ص30.
- (3) أبو يعلى الفراء، طبقات الحنابلة: ج1 ص461 رقم: 231، مكتبة العبيكان . مكة المكرمة.
- (4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج6 ص486.
- (5) البخاري، الجامع الصحيح: ج3 ص276 ح4855، كتاب التفسير.
- (6) الطوري، تفسير الطوري: ج7 ص299 و ج29 ص193.

الصفحة 346

وفاة النبي(صلى الله عليه وآله) وكفهم بالإمامة والولاية، سيأتي الحديث فيها والجواب عنها في الأبحاث اللاحقة.

التكفير المتبادل بين الجماعات السنية

قلتم في ص59 : "نحن نحب أن لا يكون بيننا وبين الشيعة خلاف ونتمنى أن ينحصر الخلاف فيما بيننا وبينهم، ليكون مثل ما بين المالكية والأحناف أو أي مذهبين من مذاهب السنة".

ثم قلتم في الصفحة ذاتها: "والمطلع على كتب الشيعة القديمة يرى أن هناك فرقاً كبواً بين الشيعة وأهل السنة، بل يرى اتجاهين لا يلتقيان أبداً".

وكتب الشيعة الأصول مملوءة بما يقرر عدة عقائد كل واحدة كافية لجعل الشيعة مذهباً خرجاً في نظر السنة عن الإسلام".

قلت: إنَّ شعار (أهل السنة والجماعة) الذي رفعتموه وجعلتموه نريعة تلمزون به الشيعة وتخرجون أهل البيت(عليهم السلام) عن ربة الإسلام، ما هو إلا خدعة كاذبة قد تتطلي على البسطاء من الناس، ممن ليس له نصيب من المعرفة الكافية في مجال البحوث الدينية والعقدية.

ولكن الذي يتابع ويطلع كتب الفوق والملل والمذاهب والمجامع الحديثية سوعان ما ينكشف زيف ذلك الشعار المهلهل، وتسفر الحقيقة عن واقع التشويزم والتزوق الذي يسود الطوائف السنية، وقد تجلوزت فرق السنة حدّ العدوّ والإحصاء، ووقع بينها صراعات مروية واختلافات واسعة تناولت معظم مسائل الدين والعقيدة بما في ذلك مباحث التوحيد، حتى صار ذلك سبباً ومدعاة للتراشق فيما بينها بعبارات التكفير والتبديع

الصفحة 347

والتضليل، فأصبحت كل فرقة تدعي أنها (أهل السنة والجماعة) وغورها خولج عن ذلك العنوان، والأمثلة في هذا المجال كثرة نشير إلى بعضها على سبيل الإشلة والاختصار:

1. تكفير غير الأشاعرة من المسلمين

قال أبو إسحاق الشولري إمام الشافعية في عهده: "ممن اعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتسبين إلى الإمام

أبي الحسن الأشعري .رضي الله عنه . فهو كافر" (1) .

2. تكفير غير الحنابلة من المسلمين

أورد الذهبي في التذكرة عن أبي حاتم بن خاموش الحافظ بالري والذي كان مقدّم أهل السنة فيها، قوله: "فكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم" (2) .

3. تكفير الشافعية للحنابلة

قال ابن عساكر: "إن جماعة من الحشوية والأوباش الرعاع المتوسمين بالحنبلية أظهروا ببغداد من البدع الفضيعة والمخزي الشنيعة ما لم يتسمح به ملحد فضلاً عن موحد" (3) .

4 . تكفير أبي حنيفة وأتباعه

عن سفيان الثوري قال: "استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين" (4) ، وفي الانتقاء

(1) أبو إسحاق الشوري، شرح اللمع: ج1 ص111.

(2) الذهبي، تذكرة الحفاظ: ج3 ص1187 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(3) ابن عساكر، تبين كذب المفتري: ص310 ، دار الكتاب العربي . بيروت.

(4) عبد الله بن أحمد بن حنبل، كتاب السنة: ص72 ، دار البصوة . مصر.

الصفحة 348

لابن عبد البر: "وقال نعيم عن الثوري: كنت عند سفيان بن عيينة، فجاء نعي أبي حنيفة، فقال: لعنه الله كان يهدم الإسلام عروة عروة، وما ولد في الإسلام مولود أشرف منه" (1) .

وروى الخطيب البغدادي بإسناده عن الحيني، قال: "سمعت مالكا يقول: ما ولد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة" (2) .

روى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي بكر السجستاني يقول لأصحابه: "ما تقولون في مسألة اتفق عليها مالك وأصحابه،

والشافعي وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والحسن بن صالح وأصحابه، وسفيان الثوري وأصحابه، وأحمد بن حنبل

وأصحابه؟ فقالوا له: يا أبا بكر، لا تكون مسألة أصح من هذه، فقال: هؤلاء كلهم اتفقوا على تضليل أبي حنيفة" (3) .

وفي كتاب السنة عن سفيان أنه ذكر أبا حنيفة، فقال: "استتيب أصحابه من الكفر غير مرة" (4) ،

وعن شريك كان يقول: "لأن يكون في كل حي من الأحياء خمار خير من أن يكون فيه رجل من أصحاب أبي حنيفة" (5) .

ومسألة تكفير أبي حنيفة وأتباعه وتضليلهم وتبديعهم مما امتلأت بها كتب الرجال والرواية والمجامع الحديثية.

(1) ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: ص149 ، دار الكتب العلمية . بيروت.

(2) الخطيب البغدادي، تزيخ بغداد: ج13 ص401، دار الكتب العلمية . بيروت.

(3) الخطيب البغدادي، تزيخ بغداد: ج13 ص382.

(4) عبد الله بن أحمد بن حنبل، كتاب السنة: ص72.

(5) الخطيب البغدادي، تزيخ بغداد: ج13 ص397.

الصفحة 349

الصراع بين المذاهب السنية:

مضافاً إلى ما وقع بين تلك الفرق والمذاهب من الصواع والافتتال واستباحة الأموال والأعواض، وهذا مما امتلأت به الكتب التريخية⁽¹⁾ ، ونشير فيما يلي إلى نماذج في هذا المجال:

1 . القتل الواقع بين الحنفية والشافعية

قال السبكي: كوقد وقعت فتنة بين الحنفية والشافعية في نيسابور ذهب تحت هياجها خلق كثير، وأحرقت الأسواق والمدارس وكثر القتل في الشافعية، فانتصروا بعد ذلك على الحنفية وأسرفوا في أخذ الثار منهم في سنة 554 هـ. ووقعت حوادث وفتن مشابهة بين الشافعية والحنابلة، واضطرت السلطات إلى التدخل بالقوة لحسم النزاع في سنة 716، وكثر القتل وأحرقت المساكن والأسواق في إصبهان. ووقعت حوادث مشابهة بين أصحاب هذه المذاهب وأشياعها في بغداد ودمشق، وذهب كل واحد منها إلى تكفير الآخر، فهذا يقول من لم يكن حنبليةً فليس بمسلم، وذاك يضرب الجهلة بالطرف الآخر، فتقع منهم المساءة على العلماء والفضلاء منهم وتقع الحرائم الفضيحة⁽²⁾.

2 . ضرب الشافعي حتى يموت

قال ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة 323 هـ في بغداد: كوفيها عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم... وكانوا إذا مرّ بهم شافعي المذهب أغروا به العميان،

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير: ج14 ص86؛ وطبقات الشافعية: ج3 ص109.

(2) السبكي، طبقات الشافعية: ج3 ص109 ، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية: ج14 ص76 واليافعي: مرآة الجنان: ج3 ص343 ، وغوها من المصادر.

الصفحة 350

(1) فيضوبونه بعصيمهم حتى يكاد يموت .

3 . أخذ الجزية من الشافعي

ذكر ابن كثير في ترجمة محمد بن موسى بن عبد الله الحنفي، فقال: كولي قضاء دمشق، وكان غالباً في مذهب أبي حنيفة،

(2)

وكان يقول: لو كانت لي الولاية لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية، وكان مبغضاً لأصحاب مالك أيضاً .

4 . أخذ الجزية عن الحنابلة

وذكر الذهبي في العبر أن الفقيه الشافعي أبا حامد محمد بن محمد البروي الطوسي صاحب التعليقة المشهورة في الخلاف كان بلعاً في معرفة مذهب الأشعري، قدم بغداد وشغب على الحنابلة، وأثار الفتنة، وقيل: إن البروي قال: لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية⁽³⁾ .

وقد كان للسلطات والحكومات المتعاقبة دور كبير في تأجيج تلك الفتن وتغذيتها، فإن كان الحاكم يتبنى فكراً أو عقيدة أو مذهباً لنيل بعض المكاسب السياسية، نجد أن ذلك الفكر أو المذهب ينتشر وتكون له سطوة وهيمنة على بقية الفروع الأخرى، فيستعمل شتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة في توسيع رقعة التمدد من قبل عامة الناس.

ولذا قال ابن تيمية بشأن السلطان محمود بن سبكتكين الغنوي الذي سار على منوال القادر العباسي، حيث دعا إلى المذهب

الحنبلي وقمع

(1) الكامل في التاريخ: ج 8 ص 307.

(2) البداية والنهاية: ج 12 ص 187 ، لسان المizan: ج 5 ص 402.

(3) العبر في خبر من غير: ج 3 ص 52 ، شذوات الذهب: ج 4 ص 224.



الفرق والمذاهب السننية الأخرى: "زاد إليه بأن أمر بلعنة أهل البدع على المنابر، فلعنت الجهمية والرافضة والحرورية والمعوتلة والقبرية، ولعنت أيضاً الأشعرية، حتى جرى بسبب ذلك زاع وفتنة بين الشافعية والحنفية وغيرهم، قوم يقولون: هم من أهل البدع فيلعنون، وقوم يقولون: ليسوا من أهل البدع فلا يلعون"⁽¹⁾.

وهذا يعني أن للحكومة والسلطة دوراً فاعلاً في نشر المذهب الحنبلي مما يفسر اندثار الكثير من الفرق السننية وانحصارها بالمذاهب المعروفة.

ومن مجمل ما ذكرناه تبين أن جعل أهل السنة في خندق الإسلام في قبال الشيعة من الدعوى التي تفتقد لأدنى درجة من درجات الإنصاف.

اختلاف الحديث في كتب السنة

ذكرتم في ص 62 أن هناك تناقضاً كبيراً في روايات المذهب الشيعي، واستشهدتم على ذلك بعبارة الشيخ الطوسي في كتابه التهذيب حول اختلاف الأحاديث والروايات، واعتبرتم ذلك دليلاً على بطلان المذهب.

قلت: إن مسألة اختلاف الأحاديث وتضاد جملة من الروايات، اقتضتها الطبيعة البشرية غير المعصومة عن الخطأ والغفلة والنسيان، مضافاً إلى ما رافق عملية نقل الأحاديث وجمعها من ظروف سياسية، وأغراض نفسية واجتماعية، أملت الأور الموضوعية التي واجهها الحديث عبر تزيخه الطويل، من صعوبة التنوين ومحدودية الانتشار، مما يجعله عرضة للضياع والاختلاف والتباين، وهذا ما زاه منتشراً بوضوح في مجامعكم الحديثية

(1) ابن تيمية، تلبس الجهمية: ج 2 ص 331. 332.

والروائية، وقد أدى ذلك الاختلاف في الأحاديث والروايات الوردية من طرفكم إلى استحداث علوم خاصة في هذا المجال كعلم الرجال والحديث والروح والتعديل وعلوم مختلف الحديث ومشكل الآثار، حتى ألف الشافعي كتاباً في اختلاف الأحاديث، وقد اختصت بعض الكتب والتأليفات في استعراض الأحاديث المختلفة والمتباينة والمتعلضة، وقد أفرد علماء الأصول أبواباً موسعة اختصت بمباحث تعرض الروايات واختلافها، وقد بدأ اختلاف الحديث عندكم بعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) واستمر إلى يومنا الحاضر.

قال الشاطبي في الاعتصام: "إن الخلاف من زمن الصحابة إلى الآن واقع في المسائل الاجتهادية، وأول ما وقع الخلاف، في زمان الخلفاء الراشدين المهديين، ثم في سائر الصحابة، ثم التابعين ولم يعب أحد ذلك منهم، وبالصحابة اقتدى من بعدهم في توسيع الخلاف"⁽¹⁾.

وفي الانتقاء لابن عبد البر عن سعيد الإيلي قال: "سمعت ابن وهب وذكر اختلاف الأحاديث والروايات، فقال: ولأ أن لقيت

وأما ما نقلته عن الشيخ الطوسي في التهذيب إنما كان بصدد بيان السبب الداعي لتأليف الكتاب، ويتمثل في ضرورة تهذيب وترتيب وبيان الخاص والعام من الروايات والناسخ والمنسوخ، وهو ما يبحثه علماء الأصول؛ نظراً لوجود الكثير من الروايات المتعرضة والمختلفة التي تحتاج إلى واسة وتمحيص، فلذلك قام الشيخ الطوسي وغوه من العلماء بهذا

(1) الشاطبي، الاعتصام: ج1 ص459، دار المعرفة . بيروت.

(2) ابن عبد البر، الانتقاء: ص28.

الصفحة 353

الجهد. فأشار إلى ذلك الاختلاف في مقدمة كتابه، ولو كان مجرد الاختلاف والتعرض في الروايات دليلاً على تناقض المذهب وبطلانه، لكانت المذاهب السنية أولى بالتناقض والبطلان. هذا كله مع ملاحظة أن كتاب التهذيب للشيخ الطوسي كتاب فقهي مختص بفروع الدين وأحكامه، والتي عادة ما يكثر فيها الاختلاف بين العام والخاص والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد، وليس كلام الشيخ في روايات وأحاديث أصول الدين، كي يقال تناقضها واختلافها دليل وشاهد على بطلان المذهب.

عقيدتي التقية والبداء عند الشيعة

قلت في ص63 : "يبدو أن هذا الحال الذي عليه المذهب من التناقضات هو سبب استحداث عقيدتي التقية والبداء على الله عز وجل". قلت:

1. عقيدة التقية

أولاً: إن تنافي الروايات وتعرضها لا تكاد تجد طائفة من الطوائف الإسلامية تخلو منه أو تتزه عنه خصوصاً الطائفة السنية، كما أشونا.

فلو كان ذلك سبباً ومنشأً لاستحداث مبدأ التقية؛ لكانت الطائفة السنية أقرب إلى التقية من غيرها.

ثانياً: إن التقية من الأحكام العقلانية الفطرية، فكل إنسان عاقل يرك بفطوره أن عليه حفظ حياته وكل ما يتعلق به من

أموال أو عرض، وقد

الصفحة 354

كانت هذه الفطرة ولآلت سلاح المستضعفين والمظلومين لمواجهة الجباورة والطغاة، وقد أكد الشوع الإسلامي هذه الفطرة

الإنسانية من خلال الآيات والروايات؛ لأن الدين الإسلامي لم يأت للتعدي على مقتضيات الفطرة أو الوقوف أمام العقل

ومركاته، قال تعالى: **﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقِيمَ وَلَكِن**

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ⁽¹⁾ ، ولذا نجد أن الآيات والروايات متضافرة في التأكيد على مشروعية التقيّة وضرورتها في المجتمع الإسلامي، ونشير فيما يلي إلى نماذج على سبيل المثال:

التقيّة في الآيات القرآنية:

1. قوله تعالى: **{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ وَيَحْذَرُكَمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ}**⁽²⁾.

فقد شدد الله تعالى في هذه الآية المباركة وفي غيرها على النهي عن تولي الكافرين وأنه على حدّ الكفر والشك بالله، ولكن مع ذلك استثنى من هذا الأمر الخطير حالات التقيّة والخوف، فلمؤمنين أن يوالوا الكافرين ظاهراً بقدر ما يندفع به خوف الضرر، فالآية صريحة في مشروعية التقيّة كما نص على ذلك جملة من المفسرين:
قال ابن كثير في تفسير الآية: "أي: من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من

(1) الروم: 30.

(2) آل عمران: 28.

الصفحة 355

شوههم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري عن أبي الرداء، أنه قال: إنا لنكشّر في وجه أهرام وقلوبنا لتلعنهم"⁽¹⁾.

وقال ابن حجر: "ومعنى الآية: لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً في الباطن ولا في الظاهر إلا للتقيّة في الظاهر، ويجوز أن يواليه إذا خافه، ويعاديه باطناً"⁽²⁾.

2. قوله تعالى: **{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَوْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**⁽³⁾.

إن الآية الكريمة صريحة في جواز إظهار كلمة الكفر كوهاً؛ مجزأة للكافرين، وأن من نطق بكلمة الكفر مكوهاً وقاية لنفسه من الهلاك وقلبه مطمئن بالإيمان. لا شلحاً بالكفر صورا. لا يعد كافراً، بل هو معنور عند الله تعالى.

مع ملاحظة أن هذه الآية مكية تولت قبل الهجرة باتفاق العلماء والمفسرين، مما يعني أن تشريع التقيّة كان في الصدر الأول في الإسلام ولم يكن من مستحدثات الشيعة، وما ذلك إلا لانسجام تلك العقيدة مع مرونة وسماحة الدين الإسلامي الحنيف. وهذه الآية المباركة تولت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر، فوافقهم على ذلك تقيّة، وجاء معتزلاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فهدأه وطمأنه وأجاز له أن يعود لمثلها إن تعوضوا له ثانية⁽⁴⁾.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 1 ص 365.

(2) ابن حجر، فتح البلي: ج 12 ص 278.

(3) النحل: 106.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 2 ص 609؛ القوطي، الجامع لأحكام القرآن: ج 10 ص 108.

الصفحة 356

وقد حمل المحدثون والمفسرون الآية الكريمة على مبحث التقيّة، وقد أوج البخري هذه الآية مع الآية السابقة في باب واحد، وذكر فيه جواز التقيّة في حال الإكراه، كما أخرج أحاديث في هذا المجال⁽¹⁾.

التقيّة في الأحاديث النبوية:

1 . أخرج البخري عن عروة ابن الزبير أن عائشة أخته أن رجلاً استأذن للدخول إلى منزل النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: "انذروا له فبئس ابن العشوة، أو بئس أخو العشوة، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت: يا رسول الله قلت ما قلت ثم أنت له في القول؟! فقال: "أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس أو ودعه انقاء فحشه"⁽²⁾.

ولا يخفى دلالة هذا الحديث على جواز التقيّة و المدراة مع عموم الناس حتى من قبل النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ ليس فيها إخلال في الوصول إلى الحق، ولا تأثير على تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه لا تقيّة فيما يتعلق بأصل الدين والوحي الذي لا يعلم إلا بتبليغ النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ أن التقيّة في هذا المجال يوجب الإغواء بالقبيح ولا يمكن صوره عن المعصوم.

2 . أخرج الحاكم في المستدرج عن أبي زر، قال: "قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبا زر كيف أنت إذا كنت في حثالة، وشبك بين أصابعه، قلت: يا رسول الله، ما تأموني، قال: اصبر اصبر اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم".

(1) البخري، الجامع الصحيح: ج 8 ص 55، كتاب الإكراه.

(2) البخري، صحيح البخري: ج 7 ص 102.

الصفحة 357

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شوط الشيخين ولم يخرجاه"⁽¹⁾.

ولاريب أن التخلق بأخلاق حثالة الناس ظاهراً ومخالفتهم في الخفاء عبلة أخرى عن التقيّة وجوهها.

أقوال الصحابة والتابعين في التقيّة:

1 . أخرج البخري في صحيحه عن أبي هريرة، قال: "حفظت عن رسول الله وعائين فأما أحدهما فبثنته وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعم"⁽²⁾، فإن هذه حقيقة التقيّة وواقعها من أبي هريرة وإن عبر عنها بألفاظ أخرى.

2 . ما أوجه البخري أيضاً في صحيحه عن أبي الرداء، قال: "إننا لنكشر في وجه أرقام وإن قلوبنا لتلعنهم"⁽³⁾، وقد حمل

شَوَّاح الحديث المكاثرة على المدراة مع الناس في القول والفعل ⁽⁴⁾ .

3 . وفي المصنف لابن أبي شيبة الكوفي بسند معتبر عن الزوال بن سودة، قال:

"دخل ابن مسعود وحذيفة على عثمان، فقال عثمان لحذيفة: بلغني أنك قلت كذا وكذا؟ قال: لا والله ما قلت، فما خرج، قال له عبد الله: مالك؟ فلم تقوله ما سمعتك تقول قال: إني أشقوي ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله" ⁽⁵⁾ .

وذكر السرخسي في المبسوط "جعل حذيفة يحلف لعثمان على أشياء بالله ما

(1) (الحاكم النيسابوري، المستترك على الصحيحين: ج3 ص343.

(2) (البخاري، الجامع الصحيح: ج1 ص38، كتاب العلم، باب حفظ العلم.

(3) (المصدر نفسه: ج7 ص102 ، كتاب الأدب، باب المدراة.

(4) (ابن حجر، فتح الباري: ج10 ص438.

(5) (ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ج7 ص643، دار الفكر . بيروت.

الصفحة 358

قالها، وقد سمعناه يقولها، فقلنا له: يا أبا عبد الله، سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها وقد سمعناك قلتها؟ فقال: إني اشقوي ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله" ⁽¹⁾ .

4 . ما أخرجه الطوي في تفسيره لقوله تعالى: **{إِلَّا أَنْ تَتَوَّأَ مِنْهُمْ نَفَاةٌ}** عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ: "فالتقيّة باللسان: من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية الله، فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان فإن ذلك لا يضره، إنما التقيّة باللسان" ⁽²⁾ .

5 . ما أخرجه ابن حبان بسنده عن مكحول، قال: "ذلّ من لا تقيّة له" ⁽³⁾ .

6 . وفي صحيح البخاري: "وقال الحسن: التقيّة إلى يوم القيامة" ⁽⁴⁾ .

التقيّة في أقوال العلماء

1 . وفي شوح الأربعة للنووي ناقلاً عن نجم الدين الطوفي الحنبلي قوله: "اعلم أن النزاع الطويل بينهم استدلالاً وجواباً ذاهب هواء، فإن محل الخلاف إنما هو مبايعة علي (عليه السلام) لأبي بكر، وأما التقيّة في غير ذلك فلا مبالاة بإثباتها وجورها، وإنما يكره عامة الناس لفظها لكونها من مستندات الشيعة، وإلا فالعالم مجبول على استعمالها، بعضهم يسميها مدراة وبعضهم مصانعة وبعضهم عقلاً معيشياً ودلّ عليه دليل الشوع" ⁽⁵⁾ .

2 . قال الفخر الرازي في تفسيره لآية التقيّة المتقدمة، وبعد أن ذكر

(1) (السرخسي، المبسوط: ج30 ص214.

(2) (ابن جرير، جامع البيان: ج3 ص311.

(3) ابن حبان، طبقات المحدثين: ج4 ص176 ، مؤسسة الرسالة . بيروت.

(4) البخاري، الجامع الصحيح: ج8 ص55 ، كتاب الإكراه.

(5) شوح الأربعين، النووي: ص85.

الصفحة 359

أحكاماً كثرة حولها: "الحكم الخامس: التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز؛ لقوله (صلى الله عليه وآله): حرمة مال المسلم كحرمة دمه، ولقوله (صلى الله عليه وآله): من قتل دون ماله فهو شهيد؛ ولأن الحاجة إلى المال شديدة"⁽¹⁾.

3 . قال الزمخشوري في تفسيره لآية التقيّة: رخص لهم في موالاتهم إذا خافهم، والبراد بتلك الموالات مخالفة ومعاشرة

ظاهرة، والقلب مطمئن بالعدو والبغضاء، وانتظار زوال المانع من قشر العصا، كقول عيسى صلوات الله عليه: كن وسطاً وامن جانباً"⁽²⁾.

4 . قال القوطي: "أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل إنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي"⁽³⁾.

5 . وقال جمال الدين القاسمي الشامي في محاسن التأويل: "ومن هذه الآية **{إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}** أُسْتَنْبِطُ الْأُئِمَّةَ مَشْرُوعِيَةً التقيّة عند الخوف وقد نقل الإجماع على جورها"⁽⁴⁾.

التقيّة في سيرة المسلمين

إنّ سيرة المسلمين حافلة باستخدام التقيّة في مواطن الخطر، والخوف على النفس والمال والعرض، من دون اختصاص بالتقيّة مع الكافرين، بل فيما بين المسلمين أنفسهم أيضاً، كالتقيّة من الحكام وسلطين الجور

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير: ج8 ص15.

(2) الزمخشوري، الكشاف: ج1 ص422.

(3) القوطي، تفسير القوطي: ج10 ص182.

(4) القاسمي، جمال الدين، محاسن التأويل: ج4 ص197.

الصفحة 360

والظلمة وولاتهم، وأمثلة ذلك كثرة، فمضافاً إلى ما تقدم من تقيّة عمار بن ياسر وأبي هريرة، وحذيفة بن اليمان مع

عثمان، نشير إلى جملة من الشواهد في هذا المجال:

1 . تقيّة رجاء بن حيوة مع الوليد بن عبد الملك، وهو ما أخرجه القوطي وغيره عن إريس ابن يحيى، قال: "كان الوليد بن

عبد الملك يأمر جواسيس يتجسسون الخلق ويأتونه بالأخبار... فجلس رجل منهم في حلقة رجاء بن حيوة فسمع بعضهم يقع في

الوليد، فرفع ذلك إليه.

فقال: يار جاء أذكر بالسوء في مجلسك ولم تُغير؟!

فقال: ما كان ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال له الوليد: قل الله الذي لا إله إلا هو.

قال: الله الذي لا إله إلا الله.

فأمر الوليد بالجاسوس فضوبه سبعين سوطاً، فكان يلقي رجاء فيقول: يار جاء بك يستسقى المطر وسبعين سوطاً في

ظهوري!!

فيقول رجاء: سبعون سوطاً في ظهرك، خير لك من أن يقتل رجل مسلم" (1).

2 . تقيّة واصل بن عطاء مع الخورج، حيث أخرج ابن الجوزي وغوه عنه أنه خرج يريد سواً في رهط، فاعترضهم

جيش من الخورج، فقال واصل: "لا ينطقن أحد ودعوني معهم، فقصدهم واصل، فلما قوبوا بدأ الخورج ليوقعوا، فقال: كيف

تستحلّون هذا وما تترون من نحن، ولا لأي شيء جئنا؟ فقالوا: نعم، من أنتم؟ قال: قوم من المشركين جئناكم لنسمع كلام الله،

قال: فكفوا عنهم،

(1) القوطبي، تفسير القوطبي: ج 10 ص 190.

الصفحة 361

وبدأ رجل منهم يقرأ القرآن، فلما أمسك، قال واصل: قد سمعت كلام الله، فأبلغنا مأمنا حتى ننظر فيه وكيف ندخل في

الدين، فقال: هذا واجب، سيروا، قال: فسرونا والخورج. والله. معنا يحموننا فأسخ، حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه،

فانصرفوا" (1).

3 . تقيّة أبي حنيفة مع ابن أبي ليلى، حيث أخرج الخطيب البغدادي وغوه عن جابر قال: "بعث ابن أبي ليلى إلى أبي حنيفة،

فسأله عن القرآن.

فقال: مخلوق.

فقال: تتوب، وإلا أقدمت عليك!

قال: فتابعه.

فقال: القرآن كلام الله.

فقال: فدار به في الخلق يخوهم أنه قد تاب من قوله: القرآن مخلوق.

فقال أبي: فقلت لأبي حنيفة: كيف صوت إلى هذا وتابعته؟

قال: يا بني خفت أن يُقدم عليّ فأعطيته التقيّة" (2).

تقيّة علماء السنة في مسألة خلق القرآن

من الحوادث المهمة في تزيخ المذاهب السنية فتنة خلق القرآن، حيث بلغ الخلاف العقائدي فيها إلى لوجة تكفير وقتل من يتبنى القول بقدّم القرآن، فالتجأ الكثير من علماء السنة ومحدثيهم إلى التقيّة؛ لحماية أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، ومن أمثلة ذلك:

1 . تقيّة سعدويه سعيد بن سليمان حول محنة خلق القرآن، حيث قال

(1) ابن الجوزي، كتاب الأذكياء: ص136.

(2) تزيخ بغداد: ج13 ص377376.

الصفحة 362

- الذهبي عند ترجمته لسعدويه: "وأما أحمد بن حنبل فكان يغيض منه ولا يرى الكتابة عنه، لكونه أجاب في المحنة تقيّة . إلى أن قال . قيل لسعدويه بعدما انصرف من المحنة: ما فعلتم؟ قال: كفونا ورجعنا"⁽¹⁾ .
- 2 . تقيّة أبي نصر التمار، حيث أجاب في محنة خلق القرآن تقيّة أيضاً، فقال الذهبي في حقه: "أجاب تقيّة وخوفاً من النكال وهو ثقة بحاله والله الحمد"⁽²⁾ .
- 3 . تقيّة إواهيم بن المنذر بن عبد الله في تلك المحنة، حيث قال السبكي في حقه: "كان حصل عند الإمام أحمد منه شيء؛ لأنه قيل: خلط في مسألة القرآن كأنه مجمج في الجواب، قلت: ورأى ذلك منه تقيّة وخوفاً"⁽³⁾ .
- 4 . تقيّة يحيى بن معين، أخرج الذهبي عن الحافظ أبي زرعة الوري قوله: "كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار، ولا عن يحيى بن معين ولا عن أحد ممن امتحن فأجاب" ثم يعلّق الذهبي على ذلك قائلاً: "قلت: هذا أمر ضيق ولا حوج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية، وهذا هو الحق، وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة وأجاب تقيّة"⁽⁴⁾ .
- 5 . تقيّة إسماعيل بن حماد في محنة القرآن، قال ابن حجر في لسان الميزان: "قال يوسف في الرواة: وكان إسماعيل بن حماد ثقة، صدوقاً لم يغيروه

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج10 ص482.

(2) المصدر نفسه: ج10 ص573.

(3) طبقات الشافعية: ج2 ص82 (نقلًا عن حاشية تهذيب الكلام للزوي بقلم الدكتور بشار عواد معروف) ج2 ص211.

(4) سير أعلام النبلاء: ج11 ص87.

الصفحة 363

سوى الخطيب فذكر المقالة في القآن، قال السبط: إنما قاله تقيّة كغوه" .

6 . تقيّة الجَمّ الغفير من العلماء وعامة الناس في محنة خلق القآن، وتقدم بعض شواهدها، ومن هنا قال الذهبي في تلك المحنة: "من أجاب تقيّة فلا بأس عليه"⁽²⁾ .

7 . ومن تلك المواقف أيضاً فتنة الأسود العنسي، حيث قال ابن كثير وغره في تلك الفتنة: "استوثقت اليمن بكاملها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير استظرة الثورة... واشتد ملكه واستغلظ أمره، ولتد خلق من أهل اليمن، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقيّة"⁽³⁾ .

تقيّة كثير من العلماء في بعض الأحكام الشوعية

ذكر القوطي في تفسوه ثلاث مسائل في بيان قوله تعالى: **﴿الزيتون والزيتون﴾** وقال في المسألة الثالثة: "قال ابن العربي: ولامتنان البرئ سبحانه وتعظيم المنة في التين وأنه مقتات مدّخر، فلذلك قلنا بوجود الزكاة فيه، وإنما فرّ كثير من العلماء من التصريح بوجود الزكاة فيه تقيّة جور الولاة؛ فإنهم يتحاملون في الأموال الزكائية فيأخذونها مغوماً"⁽⁴⁾ .

(1) ابن حجر، لسان المزان: ج1 ص399.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج13 ص322.

(3) البداية والنهاية: ج6 ص339؛ وتاريخ ابن خلدون: ج2 ق2 ص60.

(4) تفسير القوطي: ج20 ص112.

الصفحة 364

تقيّة علماء السنة من الشيعة

لقد استخدم العديد من علماء السنة مبدأ التقيّة مع الشيعة عندما قويت شوكتهم في بعض الأمانة، مما يعني أن الشيعة كانت لهم مبرراتهم الموضوعية والواقعية في اتخاذهم عقيدة التقيّة شعراً ودينياً، فقد كان من المفروض أن تقع اللائمة والذم على الظلمة والطغاة الذين ما فتئوا على مرّ التاريخ يحربون الشيعة بشتى الوسائل ويقتلونهم تحت كل حجر ومدبر، وقد صورت حرياتهم في الرأي والعقيدة من قبل الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغورهم، حتى أصبح التشيع ومودة أهل البيت (عليهم السلام) ذنب لا يغفر.

ولكن المؤسف أن الأرقام توجهت بالنقد واللائمة نحو الشيعة، الذين استخدموا التقيّة وتسلّحوا بها كسلاح مشروع، شوّعه القآن والسنة النبوية إلى مثل الظروف الصعبة والحجة التي مرّ بها التشيع عبر التاريخ.

ومن نماذج تقيّة علماء أهل السنة من الشيعة:

1 . ذكر الذهبي أن تشيع علي بن موسى بن الحسين ابن السمسار الدمشقي كان على سبيل التقيّة وتوخي الضرر، حيث قال في هذا المجال: "ولعل تشيعه كان تقيّة لا سجية، فإنه من بيت الحديث، ولكن غلت الشام في زمانه بالوفض، بل ومصر

والمغوب بالدولة العبيدية، بل والواق وبعض العجم بالدولة البويهية، واشتدَّ البلاء دهوراً، وشمخت الغلاة بأنفها، وتواخى
الرفض والاعتزال حينئذٍ⁽¹⁾.

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج 17 ص 507.

الصفحة 365

2. وقال ابن حجر في لسان المزان: "إن علي بن عيسى الروماني أظهر التشيع حزواً وتقيّةً"، ثم ذكر قول ابن النديم: "إن مصنفات علي بن عيسى الروماني التي صنّفها في التشيع لم يكن يقول بها وإنما صنّفها تقيّةً؛ لأجل انتشار مذهب التشيع في ذلك الوقت، وذكر له مع البُسوي الرّفاء حكاية مشهورة في ذلك"⁽¹⁾.
وقد كان علي الدكتور أن يتهم ابن حجر الذي حمل بعض مصنفات علي بن عيسى الروماني على التقيّة، بأنه اتخذ ذلك نريعة لحل التناقض في الأحاديث والروايات والتخلص من التّراث السني الذي ينسجم مع مبادئ الشيعة الإمامية.
هذه إطلالة سريعة على مبحث التقيّة في العقيدة والتّراث السني، يتضح من خلالها أصالة هذا المبدأ القوّاني والروائي وأنه موضع اتفاق المسلمين قديماً وحديثاً وليس هو من مختصات الشيعة ومستحدثاتهم كما ادعى سعادة الدكتور، فما الطعن في هذه العقيدة إلا تجنّب على الحقائق الموضوعية والأدلة الناصعة.

2. عقيدة البداء

إن دعوكم أن الشيعة اخذت واستحدثت عقيدة البداء لمعالجة التناقض بين جملة من الأخبار، لا يمت إلى الحقيقة بصلّة؛ لأنكم حملتم البداء على معناه الباطل، والذي يعني الظهور بعد الخفاء المستنّم للجهل والنقص، مع أن البداء بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى لا تقول به الإمامية، بل تقول باستحالتة وبكفر من يقول به ويلزوم التّوري منه.

(1) ابن حجر، لسان المزان: ج 4 ص 248.

الصفحة 366

مفهوم البداء عند الشيعة

والبداء الذي تؤمن به الشيعة تبعاً للآيات والروايات هو إظهار ما خفي على الناس من مصالح التشريع وملاكات الأحكام وأسس التدبير الكوني، وليس المقصود بالبداء الاصطلاحى ظهور ما خفي على الله تعالى وأنه بدا له من الأمر ما لم يكن بادياً؛ وذلك لأن جميع الأمور في العوالم كلها ظاهرة ومعلومة لله تعالى ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وإلى ذلك أشار تبرك وتعالى بقوله: **{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمَ الْكِتَابِ}**⁽¹⁾، قاله تعالى قد يظهر أمراً ويكتبه في لوح المحو والإثبات بعد أن كان مكنوناً في أم الكتاب، ومعنى ذلك أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله) لمصلحة تقتضي ذلك بعد أن كان خافياً على عموم الناس.

البداء في روايات أهل البيت (عليهم السلام)

والمعنى الذي ذكرناه للبداء هو ما صوحت به روايات أهل البيت (عليهم السلام)، فهي بعد أن أنكرت المعنى الباطل للبداء وهو الذي يقتضي الجهل والنقص، أثبتت البداء بمعناه القواني الذي يعني الإبداء وإظهار ما كان يجهله الناس. قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): "ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له"⁽²⁾ ، وقال (عليه السلام) أيضاً: "إن الله لم يبد له من جهل"⁽³⁾ ، كما قال (عليه السلام): "من

(1) (الوعد: 9.

(2) الكليني، الكافي: ج1 ص148، باب البداء.

(3) المصدر نفسه.

الصفحة 367

زعم أن الله يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابروا منه"⁽¹⁾ ، وقال الشيخ الصدوق في تعليقه على هذه الرواية: "وإنما البداء الذي ينسب إلى الإمامية القول به هو ظهور أمره"⁽²⁾ .

البداء في أقوال علماء الشيعة

وقد قرر هذا المعنى للبداء جميع علمائنا، فلا تجد أحداً منهم يفسر البداء بالمعنى الباطل الذي اتهم به الشيعة، قال الشيخ الطوسي: "والوجه في هذه الأخبار [أي أخبار البداء] ما قدمنا ذكره من تغيير المصلحة فيه واقتضائها تأخير الأمر إلى وقت آخر على ما بيناه، نون ظهور الأمر له تعالى، فإننا لا نقول به ولا نجوزه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"⁽³⁾ .

وقال الملزوني شرح كتاب (الكافي) عند استواضه لروايات البداء: "فهو سبحانه كان في الأزل عالماً بأنه يمحو ذلك الشيء في وقت معين لمصلحة معينة عند انقطاع ذلك الوقت وانقضاء تلك المصلحة، ويثبت هذا الشيء في وقته عند تجدد مصالحه، ومن زعم خلاف ذلك واعتقد بأنه بدا له في شيء اليوم مثلاً، ولم يعلم به قبله، فهو كافر بالله العظيم ونحن منه واء"⁽⁴⁾ .

ومن الواضح لأهل العلم والتحقيق أن وجهة نظر أي دين أو مذهب إنما تؤخذ من أقوال علمائه، وليس من الصحيح

والمنطقي أن تقتطع رواية من

(1) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ص7 مؤسسة النشر الإسلامي . قم.

(2) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ص70.

(3) الشيخ الطوسي، الغيبة: ص431.

(4) محمد صالح الملزوني، شوح أصول الكافي: ج4 ص250. 251 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

موضوعها العام ثم تفسرها تفسيراً باطلاً لا ينسجم مع ما يعتقد به أتباع ذلك الدين أو المذهب.

البداء في الكتب السننية

ثم إنه قد ورد لفظ البداء في جملة من الروايات الصحيحة الواردة في الكثير من المجامع الحديثية للطائفة السننية.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "إن ثلاثة في بني إسرائيل، أوص وأوق وأعمى بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأوص، فقال: أي شيء أحب إليك؟.... إلى آخر الحديث" (1).

وقد حمل شراح البخاري لفظ البداء على نفس المعنى الذي تقدم التصريح به عن علماء الشيعة.

قال ابن حجر: "قوله: (بدا لله) بتخفيف الدال المهملة بغير همز، أي سبق في علم الله فراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً؛ لأن ذلك محال في حق الله تعالى" (2)، وبنفس المضمون ما ذكره العيني في عمدة القاري (3).

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: **{اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ}** قال: "فإن بدا لله أن يقبضه قبض الروح، فمات، أو أخر أجله رد النفس إلى مكانها من جوفه" (4).

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد حول طوع الشمس من مغربها عن

(1) البخاري، الجامع الصحيح: ج2 ص384، كتاب أحاديث الأنبياء.

(2) ابن حجر، فتح الباري: ج6 ص364.

(3) العيني، عمدة القاري: ج16 ص48، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(4) ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم: ج10 ص3252، المكتبة العصرية.

عبد الله بن عمرو: "أنها [الشمس] كلما غربت أنتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الروع فأذن لها في الروع حتى

إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أنتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الروع فلم يرد عليها شيء، ثم

تستأذن في الروع فلا يرد عليها شيء... الحديث" (1).

قال الهيثمي: "رواه أحمد والزار والطواني في الكبير ورجالهم رجال الصحيح" (2).

فإن التعبير الورد في هذه الروايات يتطابق مع ما ورد في مروياتنا، وتقدم تفسير العلماء له بالإبداء وإظهار ما كان خافياً

على عموم الناس، وليس المراد منه ظهور ما خفي على الله تعالى، الذي أحاله وأبطله أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء

السنة والشيعة.

آثار البداء على العقيدة

ثم إن من الواضح أن البداء بالمعنى المقبول والورد في صريح الروايات يبين قوة الله تعالى المطلقة على التصرف في

الكون كيف يشاء، وأن قلم التكوين ولوح الخلق والتغيير لم يجف، وهذا على خلاف ما آمنت به اليهود عن تقييد قوة الله تعالى وقطع صلته عن مخلوقاته، حيث قالوا: إن يد الله عز وجل مغلولة، كما حكى الوآن ذلك عنهم في قوله تعالى: **لَوْ قَالَتْ الْيَهُودُ يُدِ اللَّهُ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يُدَاهِ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**⁽³⁾، ومن هذا المنطلق نفهم السبب في تأكيد أئمة أهل

(1) الهيتمي، مجمع الزوائد: ج 8 ص 8.

(2) المصدر نفسه: ج 8 ص 9.

(3) المائدة: 64.

الصفحة 370

البيت (عليهم السلام) على عقيدة البداء، حيث جاء رداً على فكرة اليهود، وإبطالاً لكل فكرة تجعل قوة الله ومشيتته سبحانه محدودة بحد معين، وإثبات سعة القوة في عوالم الخلق والتكوين.

وأما ما أوردتموه من روايات في مدح بريد العجلي وزرارة وضمهما في روايات أخرى، ثم تساءلتم أي المضمونين حق وأيهما تقية، فجوابه واضح؛ لأن ما ورد من روايات المدح هي الحق وقد بنى عليها علماء الرجال عندنا لصحة أسانيدها وقوة مضامينها، وأما روايات الذم فهي روايات ضعيفة، موهونة، ساقطة، من حيث المتن والسند.

قال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث عند تعليقه على مثل روايات الذم: "لا يكاد ينقضي تعجبي كيف يذكر الكشي والشيخ هذه الروايات التافهة، الساقطة، غير المناسبة لمقام زرارة وجلالته والمقطوع فسادها"، ثم أثبت بعد ذلك ضعف طرق تلك الروايات وجهالة رواتها⁽¹⁾.

وأما الروايات التي نقلتموها في مسألة البداء فهي ضعيفة جداً، ولا يناسب الاستدلال بها من أستاذ ودكتور يعتمد الروايات والمصادر المعتوة في مقام الود والمناظرة.

(1) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث: ج 8 ص 225. 254. قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ويدفع إلى كل رجل منا أسوه حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسوه، فقلت: والله لا أقتل أسوي ولا يقتل رجل من أصحابي أسوه حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرناه له، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده، فقال: اللهم إني أوأ إليك مما صنع خالد مرتين.

الصفحة 371

الدخول في الإسلام لا يسوي إثبات العدالة

قلت في الإجابة على ما أوردناه من غواية مسألة الإيمان بعدالة جميع الصحابة مع عدم التناسب والانسجام بينها وبين الدليل الذي أقيم عليها في ص 66 : "الخلاف بيننا وبينكم ليس في عدالة جميع الصحابة، وإنما خلافتنا معكم في عظماء الصحابة وأفضلهم من المهاجرين والأنصار وخاصة الخلفاء الراشدين، أبو بكر وعمر وعثمان وإخوانهم". قلت:

أولاً: إن كلامكم هذا يعد التفافاً وهروباً عن الجواب، فكان من الحوي بكم أن تقدموا تقسوا وأضحا ودليلاً ساطعاً على ما أثرناه من الاستغواب حول الإيمان بعدالة كل من أسلم وصحب النبي بعد إسلامه كما عليه محققكم حسب ما اعترفتكم به بعد أسطر من الصفحة ذاتها.

ثانياً: إن الذي يظهر من كلامكم هذا أن الإيمان بعدالة جميع الصحابة بمفهومها العريض إنما طرحت في الوسط السني واتخذت عقيدة يكفر كل من يحاول النقاش فيها، جاءت لتويرر وتصحيح الأقوال والمواقف المتناقضة والمتضربة التي وقعت في الصدر الأول للإسلام وبعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والتغطية على جملة من الحوادث التي مازالت تأن من وطأتها الأمة الإسلامية، كالصواع الذي وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة وتجاوزات خالد بن الوليد ومخزي معاوية بن أبي سفيان وما

(1) أخرج البخاري في صحيحه: ج3 ص99 عن سالم عن أبيه، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسوه حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسوه، فقلت: والله لا أقتل أسوي ولا يقتل رجل من أصحابي أسوه، حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرناه له، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال: <اللهم إني أوأ إليك مما صنع خالد مرتين>.

الصفحة 372

نتج عنها من الفتن والحروب التي طحنت كبار الصحابة، إلى غير ذلك من الوقائع. ثالثاً: لو أن من ترك دينه السابق وأعلن الدخول في الإسلام كان الأصل فيه أنه متبع له ملتوم بتعاليمه حتى يثبت خلافه، فلماذا لا تطبق هذا الأصل بحق من أسلم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) تركاً لدينه السابق وحسن إسلامه؟ ولماذا نحتاج في توثيقه وإثبات عدالته إلى شهادة علماء الرجال ومن له تخصص في هذا المجال؟ مع أنه قد لا يقل شأناً عن ذلك الذي أسلم في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) وخصوصاً إذا كان في السنة التي توفي فيها النبي (صلى الله عليه وآله).

اتهام الشيعة بتكفير الصحابة

قلت في ص 66 : "إن ادعاء كفر الصحابة أو فسقهم أو خيانتهم عن بكرة أبيهم ما عدا أربعة أشخاص أشد غواية من القول بعدالتهم".

قلت:

أولاً: ذكرنا سابقاً أن الشيعة الإمامية يؤمنون بإسلام كل من تشهد الشهادتين، ولا يحكمون بكفر الصحابة، هذه كتبهم الفقهية والحديثية شاهدة على ذلك، فجميع الصحابة مسلمون إلا من أعلن كفه ورتداده بإنكره التوحيد أو النبوّة، وأما بعض الروايات الواردة في كتبنا والتي قد توهم منها رتداد جميع الصحابة إلا أربعة فهي كما سيأتي روايات ضعيفة سنداً ولا يمكن الاعتماد عليها في الاستدلال في مجال العقيدة.

الصفحة 373

مضافاً إلى أن لفظ الارتداد الورد في بعضها لا واد منه الارتداد الفقهي الاصطلاحي وهو الكفر والخروج عن الدين الإسلامي، وإنما معناه الرجوع عن رتبة من مراتب الإيمان، وهو مقام الطاعة والولاية والانقياد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسألة الإمامة والوصية.

ثانياً: إنكم اعترفتم في الصفحات اللاحقة من كتابكم بارتداد الصحابة إلا طائفة قليلة منهم، حيث قلتم في ص 74: "فحدثت ردة عن دين الله عز وجل من بعضهم، وامتناع عن دفع الزكاة من البعض الآخر، ولم يبق على الدين سوى ثلاث مدن (المدينة ومكة والطائف) وما عداها فقد أعلنوا عصيانهم"، ثم ذكرت قول ابن كثير: "وقد رتدت العرب إما عامة وإما خاصة"، وقد ورد هذا المضمون في كتبكم المعتبرة بالسنة المختلفة، فمنها ما حكمت بارتداد عشوات القبائل والبلدان في مختلف أطراف الدولة الإسلامية، والتي احتضنت أعداداً هائلة من الصحابة، وقد كان معنى الارتداد في تلك الروايات هو الكفر والخروج عن الدين، بدليل ما وقع من قتالهم واستباحة أموالهم وسبي نساءهم وأطفالهم.

ثالثاً: إن نقاشنا في مسألة عدالة الصحابة المطلقة وإثبات صدور جملة من المخالفات الشوعية والعقيدية من بعضهم، لا يتجاوز ما ذكرتموه في الكثير من عبائكم، فمن ذلك قولكم في ص 73: "فإن الإنسان بدخوله إلى الإسلام، لا يعني أنه أصبح ملكاً لا يصدر منها أخطاء ولا يقع منه هفوات، فالصحابه بشر لهم رغبات ولهم أخطاء وليسوا معصومين".
وقولكم في ص 83 في مقام بيان ما ذكره عمر (رض) من أنهم كانوا يظنون أن لن يبقى منهم أحد إلا يقول فيه شيء من النفاق بعد نزول سورة

الصفحة 374

وراءة: "وإنما العواد أننا جميعاً أصحاب ذنوب وخطايا".

فإن مثل هذه التعابير وغورها مما ورد في كتابكم لا يختلف كثيراً عما زاه الشيعة في مسألة عدالة الصحابة.

إنكار العدالة لا يسيء للمجتمع الإسلامي في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)

ذكرتم في ص 75. 76 نبذة عن مراحل الدعوة وتأثيرها الإيجابي على جيل الصحابة، ثم خلصتم إلى أن المدرسة الربانية بإشراف محمد (صلى الله عليه وآله) قد نجحت في تربية الأصحاب والتاريخ يشهد، ووحيتم إلى القارئ بعد ذلك أن الشيعة الإمامية يؤمنون بإخفاق النبي (صلى الله عليه وآله) في تربية أصحابه.

أولاً: لا نظن أن هناك مسلماً يؤمن بالله ورسوله يتوهم أن الرسالة الخاتمة بقيادة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وإشرافه لم تستطع أن تربي جيلاً من حملة الإسلام ومبلغيه؛ بل استطاعت تلك الحقبة التي قرنت البعثة النبوية المباركة أن تصنع مجتمعاً إسلامياً، يحمل معالم الرسالة وطابعها العام، مبتعداً عن الأعراف الجاهلية التي كانت تسود البيئة السابقة على الإسلام. ثانياً: إن كثيراً من الأنبياء استمرت دعوتهم عقوداً من الزمن ولم يؤمن برسالتهم ويتبع نهجهم إلا النزر اليسير من قومهم، كما هو الحال مع فوح وموسى وعيسى ولوط وأيوب وصالح ويونس (عليهم السلام)، ولا يعني ذلك أن نحكم عليهم بالفشل، لأن وظيفة الأنبياء (عليهم السلام) هي التبليغ وإيصال التعاليم الإلهية، وأما الهداية فهي من الله تعالى، قال عز وجل: **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ** .

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ⁽¹⁾

ثالثاً: إن تلك المسورة الإسلامية بطابعها العام لا تعني أنها أصبحت معصومة ومثالية خالية عن كل أشكال الأخطاء والتجاوزات، بحيث نضطر إلى ارتكاب التاويلات واختلاق المبررات والسكوت عما وقع بين الصحابة، من اختلافات وفتن، ونجم بين المتناقضات وتسوي بين القاتل والمقتول والظالم والمظلوم، فإن المجتمع يمكن أن يكون صالحاً وإسلامياً في إطاره العام، ومع ذلك يتضمن الكثير من الأفراد الذين تصدر منهم المخالفات والإخفاقات العقائدية والكبائر من الذنوب، ولكن تبقى هذه الأفراد تحت لواء وراية الإسلام ويتشكّل منهم ومن غورهم من المسلمين الهيكل العام للدولة الإسلامية التي حكمت آنذاك. والذي يشهد على التفاوت الكبير بين أفراد المجتمع الإسلامي في عهد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، هو وقوع الكثير من الانتكاسات والمخالفات للنبي (صلى الله عليه وآله)، كالوفار في معركة أحد⁽²⁾ ويوم حنين⁽³⁾، واعتراض الأصحاب على الرسول (صلى الله عليه وآله) في الحديبية⁽⁴⁾ والعصيان في ترك إنفاذ جيش أسامة⁽⁵⁾،

(1) البقرة: 272.

(2) (أخرج البخاري في صحيحه: ج2 ص230 ، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء، عن أنس قال: "لما كان يوم أحد

انهزم الناس عن النبي (صلى الله عليه وآله) وذكر ذلك أيضاً في كتاب المناقب باب مناقب الأنصار وكتاب المغرّي باب

غزوة أحد.

(3) (أخرج البخاري في صحيحه: ج2 ص227 كتاب الجهاد والسير ب 52 عن اسحاق، قال: قال رجل للواء بن عزب:

أفرتم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله لم يفر.

(4) في صحيح البخاري: ج1 ص190 كتاب الشروط عن عمر قال: فأتيت نبي الله، فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى،

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟ إلى أن قال: فلما فوّغ من قضية الكتاب،

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث

مرات...>.

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج2 ص249.



والاعتراض على توين الكتاب في رزية الخميس المعروفة⁽¹⁾، وحجة الوداع⁽²⁾.

وجملة من تلك المخالفات وقعت في أخريات حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، في وقت من المفترض أن يكون الإسلام قد

أخذ موقعه الحقيقي في قلوب المسلمين، وبعد أن ملأت أسماعهم الآيات القوانية من قبيل قوله تعالى: **{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ}**⁽³⁾ وقوله عز وجل: **{لَوْ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا**

(1) أخرج البخاري في صحيحه: ج 1 ص 73.74 كتاب العلم ح 114 بسنده عن ابن عباس، قال: "لما اشتد بالنبي وجعه، قال اثنتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلى الله عليه وآله) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلوا وكثر اللغط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه.

(2) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع مضين من ذى الحجة أو خمس، فدخل علي وهو غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله؟ أدخله الله النار. > صحيح مسلم: ج 2 ص 879، كتاب الحج، باب بيان وجه الإحرام....

وفي رواية أخرى: "ومالي لا أغضب؟ وأنا أمر بالأمر فلا أتبع" مسند أحمد: ج 4 ص 286، باب حديث قيس عنه الواء بن عارب، كنز العمال: ج 5 ص 275، تذكرة الحفاظ: ج 1 ص 116، ذكر أخبار إصبيان: ج 2 ص 162.

قال الهيثمي زواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد للهيثمي: ج 3 ص 233.

وقال الذهبي: هذا حديث صحيح من العوالي. سير أعلام النبلاء: ج 8 ص 498. </p>
</div>

وروى مسلم في صحيحه عن عطاء قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في ناس معي، قال: أهللنا، أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالحج خالصاً وحده، قال عطاء: قال جابر: فقدم النبي صلى الله عليه وسلم صبح رابعة مضت من ذي الحجة، فأمرنا أن نحل، قال عطاء: قال: حلوا وأصيبوا النساء، قال عطاء: ولم يعزم عليهم، ولكن أظهن لهم، فقلنا: لما لم يكن بيننا وبين عرفة الا خمس أمرنا أن نفضي إلى نساتنا، فنأتي عرفة تقطر مذاكرنا المنى > صحيح مسلم: ج 2 ص 883.

(3) النساء: 59.

الصفحة 377

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأْتُوا⁽¹⁾، والأدهى والأمر من كل ذلك أن تصور هذه المخالفات من قبيل الوعيد الأول من الصحابة.

فهذه المعطيات والوقائع التاريخية بمجملها هي التي رسمت أسس وأبعاد عقيدة الشيعة الإمامية في مسألة الصحابة

وعدالتهم، وهذا هو الذي يرفع غوابة ما نعتقده في الصحابة، ويصلح أن يكون دليلاً ساطعاً في هذا المجال وكافياً في تقييم

المجتمع الإسلامي في زمن البعثة المبكرة وبعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله).

وعليه فإن مخالقات الصحابة للنبي(صلى الله عليه وآله) في بداية البعثة وأواخرها وعصيانهم له في أهم المواقف وأخطرها كل ذلك يجعل مجال المخالفة في مسألة الولاية والإمامة والخلافة بعد وفاته مفتوحاً على مصراعيه، ومع ذلك فإن الشيعة لا يحكمون بكفر من يرتد عن مسألة الإمامة، بل يبقى مسلماً له بوره في بناء المجتمع الإسلامي، وإن كان عاصياً في مسألة الإمامة وفاقداً للرجة مهمة من درجات الإيمان.

قلتم في ص 77 : "إن القائل برودة هؤلاء [الصحابة] وخيانتهم ومدعي ذلك صاحب قلب مريض، نسأل الله له الشفاء". قلت: إنكم قد اعترفتم في كتابكم هذا وفي مواطن مختلفة برودة الكثير من الصحابة بعد وفاة النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)، ممن أشرفت عليهم أنوار النبوّة ونالته بركة صحبة النبي كما ذكرت، وقد نقلت المصادر المعتمدة لرتداد عدد من الصحابة، أمثال مالك بن نويرة وأصحابه، وربيعه بن أمية الجمحي الذي شهد مع النبي(صلى الله عليه وآله) حجة الوداع وحدث عنه، ثم رتد في خلافة عمر

(1) الحشر: 7.

الصفحة 378

(رض) ولحق بالروم، وغير ذلك من الصحابة الذين تتبأ النبي(صلى الله عليه وآله) بلرتدادهم بعد رحيله، حيث قال: "وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنهم لم زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فرقتهم"⁽¹⁾.
وقولكم مدعي ذلك صاحب قلب مريض، فإننا نترفع عن الرد بنفس الأسلوب لأن قلوبنا تحمل في طياتها السماحة والإخلاص لكل إنسان.

طول الصحبة لا يثبت العدالة

أوردتم في ص 77 قولي: "فهل يصح أن يقال إن صحبة ساعات أو أيام قلعت ما في نفوسهم" وذلك في مقام التساؤل حول تفاوت زمن الصحبة للنبي(صلى الله عليه وآله)، ثم قلتم: "هل يعني أن الشيعة يقرّون بأن الذين صحبوه من أول أمره(صلى الله عليه وآله) قد قلعت ما في نفوسهم من جنور غير سالحة؟" وذكرت بعد ذلك بعضاً من الصحابة الذين أسلموا في بدايات البعثة المبكرة، وتساءلت هل تهذبت نفوسهم عندهم أم لا؟
قلت:

أولاً: إنك حاولت الالتفاف على الجواب مرة أخرى، حيث لم تذكر المبرر الواقعي والعلمي للحكم بعدالة من لم يثبت من عدالته إلا أيام أو ساعات، ومشاطوته في مبدأ العدالة مع من أسلم في أوائل البعثة.

ثانياً: إننا لا نعني بقولنا: "فهل يصلح أن يقال: إن صحبة ساعات أو أيام قلعت ما في نفوسهم" أن من أسلم في أول البعثة قد قلعت ما في نفوسهم من جنور غير سالحة وملكات رديئة مما لا ينجو منها أحد إلا من عصم الله تعالى،

وإنما طول الصحبة قد تخلق له أجراً ولرضية خصبة مهياً لنمو بنور الخير والصلاح لا أنه يكون إنساناً صالحاً في مجمل أبعاد حياته بالضرورة.

ففي الحديث عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، قال: "مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية⁽¹⁾ قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تتبت كلاً"⁽²⁾.

ويشهد على ذلك الحوادث والفتن والاختلافات والمهارات والتجاوزات التي وقعت من الصحابة والنبي (صلى الله عليه وآله) بين أظهورهم وعلى هوى ومسمع منه (صلى الله عليه وآله).

ومن أمثلة ذلك ما جاء في البخري عن ابن أبي مليكة، قال: "كاد الخوان أن يهلكا، أبو بكر وعمر"⁽³⁾، وذلك عندما تشاجرا ورتفعت أصواتهما عند النبي (صلى الله عليه وآله).

وفي صحيح البخري أيضاً عن جابر بن عبد الله، قال: "كنا في غزاة، قال سفيان: هرة في جيش، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا لأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمع ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: ما بال دعوى جاهلية! فقالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها فنتة"⁽⁴⁾.

(1) نقية: طيبة.

(2) البخري، الجامع الصحيح: ج1 ص94، كتاب العلم، دار الفكر، بيروت.

(3) البخري، صحيح البخري: ج4 ص394، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، مكتبة الإيمان، المنصورة.

(4) البخري، الجامع الصحيح: ج3 ص290، كتاب التفسير.

وهذه الأمثلة تكشف وتدلل بوضوح على أن رواسب الجاهلية لم تزل عالقة في قاع مجتمع الصحابة، ولم تقتلع ما في نفوسهم من جذور الملكات الودئية.

ثالثاً: إن ما زعمتموه من أن الشيعة الاتية عشوية وبدون استثناء لا يرى في كتبهم إلا التكفير أو التفسير للصحابة، مجزفة وإلقاء للكلام على عواهنه ولا يصدر من منقف إسلامي فضلاً عن متخصص في مجال الفكر والعقيدة الإسلامية، إذ لا يوجد في كتبنا ما يدل على دعواك إلا بعض الروايات الضعيفة التي سيأتي استعراضها ومناقشتها لاحقاً.

رابعاً: إن الصحابة الذين ذكرتهم في حديثك لا شك إننا نعتقد بإسلامهم وسابقتهم في الإسلام إلا أن هذا لا يعني عصمتهم عن الزلل والانحراف، ولا يثبت حرمة التعرض لهم، ونقدم واستعاض الأخطاء التي ارتكبوها في حياتهم والتي أثرت سلباً على المسيرة الإسلامية، ومن أهم ما نعتقد من تلك الانحرافات هو إنكلهم لإمامة علي (عليه السلام) وخلافته، التي أوصاهم بها النبي (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته.

خصوصاً وأن بعض الصحابة الذين أثرت لهم في كتابك قد خرج على إمام زمانه الذي عقدت له البيعة العامة من قبل المسلمين، وبعضهم الآخر قتله من أسلم قديماً من الصحابة، فأبيهم الذي أشرفت أنوار النبوّة على قلبه؟! ولكن مع ذلك كلّه نؤكد إسلام الصحابة إلا من أعلن رتداده بإنكار الشهادتين.

الصفحة 381

قلت في ص 77 : "قال الطوسي الإمامي: ودفع الإمامة وجدها كدفع النبوّة وجدها سواء والصحابة الأوائل لم يعرفوا الإمامة، فضلاً عن أن يقال إنهم دفعوها عنها والشيعية يعتقدون أنهم دفعوها عنها، فما حكمهم إذن؟". قلت: إنّ مراد الشيخ الطوسي من دفع الإمامة هو إنكلها، بدليل عطف الجود في كلامه على دفع الإمامة وهو من عطف التفسير والبيان، وهذا ما تعتقده الشيعة عموماً، إذ أننا نعتقد بأن كل من عرف الإمامة وثبتت عنده بنصّ شعبي قاطع من قرآن أو سنة نبوية مبركة، ثم يجدها وينكوها يكون كمنكر النبوّة وجاحدها في الكفر والخروج عن الدين، وأما من لم يثبت له ذلك ولم يعرف الإمامة كما ادعيت ذلك للصحابة، فإنه يبقى على إسلامه وإن أنكر مسألة الإمامة والخلافة.

قلت في ص 78 : "إنّ الوان لم يقسم الأصحاب المؤمنين من المهاجرين والأنصار، وإنما مدحهم جميعاً وأثنى عليهم". قلت: تقدم الجواب عن هذه النقطة في الأبحاث السابقة، وذكرنا أن هناك الكثير من الآيات القرآنية التي ذمت ووبخت جملة من الصحابة من غير المنافقين.

النفاق والمنافقون

بدأت من ص 79 باستعاض مسألة النفاق في مجتمع الصحابة والإجابة على ما جاء في رسالتي، التي أثبت لكم فيها تفشي ظاهرة النفاق في وسط الصحابة.

الصفحة 382

النفاق في مكة

قلت في ص 80 : "لا يعرف [النفاق] أصلاً في أحد من المهاجرين؛ لأن المهاجر أصلاً خرج من أرضه وماله باختيلره فكيف ينافق؟" قلت:

أولاً: الآيات القرآنية

إن هناك آيات كريمة تثبت أن النفاق كان موجوداً في مكة المكرمة قبل هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة:

1 . قوله تعالى في سورة المدثر: **لَوْ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدْتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَتِيقَنَ الَّذِينَ**

أُوتُوا الْكِتَابَ وَيُؤَدِّدُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا أَوْ لَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ

مَاذَا رَادَ اللَّهُ بِهَذَا مِثْلًا (1) ، ومن الثابت لدى جميع العلماء والمفسرين أن سورة المدثر من السور المكية، لا سيما هذه الآية

التي هي مورد البحث، من الواضح أيضاً أن المرض المذكور في الآية المبركة هو مرض النفاق كما نص على ذلك

المفسرون.

قال ابن كثير في تفسيره للآية: < **لَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ** أي: من المنافقين

وَالْكَافِرُونَ مَاذَا رَادَ اللَّهُ بِهَذَا مِثْلًا أي: يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ (2)

وقال الشوكاني: "المراد بـ **{الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}** هم المنافقون" (3)

(1) المدثر: 31.

(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير: ج4 ص447.

(3) الشوكاني، فتح القدر: ج5 ص330، عالم الكتب . بيروت.

الصفحة 383

والآية المبركة تقسم الناس في ذلك الوقت إلى أربعة طوائف، هم أهل الكتاب والمؤمنون والكافرون والذين في قلوبهم

مرض وهم المنافقون، والآية تتحدث أيضاً عن مثل قواني ضربه الله تعالى حول عدة أصحاب النار من الملائكة، وقد انقسمت

حياله تلك الطوائف الأربعة انقساماً حقيقياً خريجياً بين من استيقن وزادته إيمانا وبين من رتاب ودخله الشك والتردد

والاستغراب من المنافقين والكافرين، فالمنافقون أخفوا ذلك وأعلنه الكافرون، إذن فالآية المبركة تنص على وجود طائفة من

المنافقين في مكة المكرمة أعلنوا إسلامهم وأخفوا شكهم وربيبهم في الدين لأسباب وواع سنذكرها لاحقاً.

وأمام هذه الصورة الواضحة التي طرحتها الآية حول المنافقين في مكة حار المفسرون من أعلام الطائفة السنية في

تفسيرها فجاءت كلماتهم وتفسيراتهم لهذه الحقيقة مرتبكة ومضطربة ومشوشة وبعيدة كل البعد عن مقصود الآية، فمنهم من

حمل مراد الآية على ما سيقع من النفاق في المدينة من دون أن يبرز قوينة على ذلك من الآية (1) ، ومنهم من ركب متن

الشطط جاعلاً المراد بمرض القلوب هم الكافرون أنفسهم (2) ، مع أن الآية عدت الذين في قلوبهم مرض قسماً آخر في قبيل

الكافرين كما فهمه أكثر المفسرين، ومنهم من حمل المراد من مرض القلب على الاضطراب وضعف الإيمان (3) ، إلى غير ذلك

من التمحلات التي كان القصد منها الوار

(1) القوطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج19 ص82.

(2) (الفخر الوري، تفسير الفخر الوري: ج30 ص207.

(3) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز: ج5 ص396، دار الكتب العلمية . بيروت.

الصفحة 384

وعدم الإذعان بوجود النفاق في مكة.

2. قوله تعالى: **لَوْ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَمْ يَأْتِ الْفِتْنَةَ بَلَاءٌ لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ قَبْلُ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا فَأَنْكَبُوا مُنْفَرِّقِينَ** (1)، وهذه أيضاً من الآيات المكية التي تولت في بعض المنافقين بمكة.

قال الواحدي النيسابوري في أسباب النزول: "وقال الضحاك: تولت في أناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أُوذوا رجوا إلى الشرك" (2).
وبنفس المضمون ما ذكره القوطي في تفسيره (3).

وهذا يكشف عن وجود النفاق بين المسلمين في مكة رغم الظروف الصعبة والمخاطر المحدقة بهم وسطوة قريش في ذلك الحين، مما يتلخص مع إنكرك المطلق لمسألة النفاق في مكة.

3. قوله تعالى: **إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهََ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (4).

أجمع المفسرون على ذكر أن هذه الآية المبركة تولت في قوم أسلموا بمكة ولم يستحکم الإيمان في نفوسهم وقد خرجوا مع المشركين يوم بدر وأظهروا النفاق عندمارأوا قلة المسلمين.

قال مقاتل في تفسيره: "تولت في قيس بن الفاكه بن المغيرة والوليد بن الوليد

(1) العنكبوت: 10. 11.

(2) (الواحدي النيسابوري: ص178، دار الكتب العلمية . بيروت.

(3) (القوطي، الجامع لأحكام القرآن: ج13 ص330.

(4) الأنفال: 49.

الصفحة 385

بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة بن ربيعة والعلاء بن أمية بن خلف الجمحي وعمرو بن أمية بن سفيان بن أمية، كان هؤلاء المسلمون بمكة، ثم أقاموا بمكة مع المشركين فلم يهاجروا إلى المدينة، فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر، خرج هؤلاء النفر معهم، فلما عابوا قلة المؤمنين شكوا في دينهم ورتابوا، فقالوا: (غر هؤلاء دينهم) يعنون أصحاب محمد(صلى الله عليه وآله)" (1).

وقال ابن عباس: "قلت الآية في الذين أسلموا بمكة وتخلفوا عن الهجرة فأخرجهم أهل مكة إلى بدر كرهاً، فماروا قلة المؤمنين رتابوا وناقوا، وقالوا لأهل مكة: (غر هؤلاء دينهم)"⁽²⁾.

وقال الثعلبي: "قلت في ناس من أهل مكة دخلوا في الإسلام ولم يهاجروا، منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأنهم أظهروا الإيمان وأسروا النفاق، فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين إلى حرب المسلمين، فلما التقى الناس ورأوا قلة المؤمنين قالوا: (غر هؤلاء دينهم)"⁽³⁾.

إلى غير ذلك من الآيات القوانية الأخرى التي تفيد أن النفاق لم يقتصر على المدينة، وإنما كان له وجود في مكة قبل الهجرة.

مضافاً إلى ذلك ما أثبتته كتب الحديث والتاريخ.

ثانياً: الطبيعة البشرية

إنّ إنكرك لوجود النفاق في مكة مع بطلانه كما تبين، لا يمكنك أن تعتمده دليلاً ومستنداً في نفي طرو النفاق على بعض المسلمين من

(1) مقائل، تفسير مقائل: ج2 ص22، دار الكتب العلمية . بيروت.

(2) أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي: ج2 ص26، دار الفكر . بيروت.

(3) الثعلبي، تفسير الثعلبي: ج3 ص371، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

الصفحة 386

المهاجرين في المدينة بعد الهجرة، إذ من الممكن أن تعزّي الإنسان حالة من الشك والريبة والتردد نتيجة القصور في بعض مبركاته وعدم قدرته على استيعاب بعض الحقائق الدينية، فوجع عن دينه ولكنه يكتّم ذلك حفاظاً على بعض المصالح الهامة بنظره، كالخوف من شماتة أعدائه أو حفاظاً على بعض علاقاته القبلية أو للعصبية والحمية، والشاهد الواضح على ذلك الودة التي وقعت بعد الهجرة من قبل جملة من مسلمي مكة، أمثال عبيد الله بن جحش الأسدي، حيث تنصّر في الحبشة بعد هجرته إليها⁽¹⁾، وربيعة بن أمية بن خلف الجمحي الذي لحق في خلافة عمر (رض) بالروم وتنصّر بسبب شيء أغضبه⁽²⁾، وغوهم، وإذا كان الصحابي من المهاجرين معوضاً للكفر والارتداد فتعوضه للنفاق بالأولوية، خصوصاً وأن الكفر والارتداد لا يختلف في منطقتكم عن حقيقة النفاق.

أسباب وواعي النفاق في مكة

بعد أن اتضح وجود النفاق في مكة بصريح الآيات وكتب التفسير والحديث، قد يتّردّد البعض في هذه الحقيقة بقوهم أن من خرج من أرضه وماله باختيلره كيف يناقق؟ وهذا القوهم الفاسد إنما هو مجرد استبعاد بعيد الصلة عن شخصية الإنسان وواقعه، وهو يُنبئ عن قصور في النظر تجاه الطبيعة البشوية التي تتجاذبها الكثير من الميول النفسية والظروف الاجتماعية

والبيئية والقبلية، حيث إنها قد تؤثر على تفكير الإنسان وطموحاته وأهدافه التي قد يرسما لنفسه ضمن حركة أو حزب أو دين

(1) ابن حجر، الإصابة: ج5 ص370، دار الكتب العلمية . بيروت.

(2) ابن حجر، فتح البلي: ج7 ص3.

الصفحة 387

معين وإن كان قد يتعوض للظلم والاضطهاد في منطلق مسيوته، ونحاول فيما يلي أن نشير إلى بعض تلك الأسباب والدوافع على سبيل الاختصار:

1 . إننا كثيراً ما نجد في المجتمعات فئات من الناس مستعدة لقبول أية دعوة إذا كانت ذات شعرات طيبة تتسجم مع أحلامهم

وآمالهم وتطلعاتهم إلى تحقيق رغباتهم وما تصورا إليه نفوسهم، فيناصرونها رغم أنهم في ظل أعتى القوى وأشدّها طغياناً،

فيعرضون أنفسهم للأخطار والمشاق والمصاعب وإن خسروا أرضهم وأموالهم، كل ذلك رجاء أن يوفقوا يوماً لتحقيق أهدافهم

التي يحلمون بها من الجاه والسلطان وحب الشهوة والحصول على الثروات الطائلة، مع أنهم ربما لا يؤمنون بتلك الدعوة إلا

بمقدار إيمانهم بضرورة الحصول على تلك الأهداف، ولذا نجدهم يتراجعون عن تلك المبادئ إذا تعرضت حياتهم للخطر

وأيقتوا بعدم نيل تلك المرّب، نظير ما تقدم من قوله تعالى: **لَوْ مِنْ النَّاسِ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً**

النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ (1) ، خصوصاً وأنها تولت كما تقدم في من أسلم في مكة المكرمة، وكذا ما تقدم في قوله تعالى: **إِذْ يَقُولُ**

الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (2) ، قال الواحدي بعد بيان نزولها في المنافقين: "وقالوا: نكون مع أكثر الفئتين، فلما رأوا

قلة المسلمين قالوا: غر هؤلاء دينهم" (3) .

مضافاً إلى أن جزوة العرب استعلت من اليهود ظهور نبي في هذا

(1) العنكبوت: 10.

(2) الأنفال: 49.

(3) الواحدي، تفسير الواحدي: ص444، دار القلم . بيروت.

الصفحة 388

الزمان والمكان سيفتح حصون كسوى وقيصر وستدين له العرب والعجم، لا سيما وأنهم رأوا ولمسوا صدقه ووقع بعض

ما أخبر به، ومن الأمثلة التي تدل على رسوخ ذلك المبدأ في الأذهان ما حصل في معركة الخندق التي كانت سبباً في نزول

قوله تعالى: **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِا وَعَدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا** (1) ، قال القوّطي في تفسيره:

"أي: باطلاً من القول: وذلك أن طعمة بن أبيرق ومعتب بن قريش وجماعة نحو من سبعين رجلاً قالوا يوم الخندق: كيف يعدنا

كنوز كسوى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز" (2) .

ونحن إذ نذكر هذه الأمور لا نبتغي التشكيك في نوايا المسلمين وخصوصاً السابقين منهم، الذين بذلوا الغالي والنفيس وقدموا أرواحهم وكل ما يملكون بصدق وإخلاص في سبيل الإسلام وإعلاء كلمته، وإنما أردنا بذلك أن ننبت لك خطأ ما جرمت به من عدم وجود أي مظهر من مظاهر النفاق بين مسلمي مكة ومهاجريهم.

2 . ما أثرونا إليه آنفاً من أن إنكار وجود النفاق في مكة لا يستلزم تزيه المهاجرين كافة عن ابتلاء بعضهم بمرض الشك والنفاق والويبة، مع كثرة المحن والفتن والظروف القاهرة والعصيبة التي كانت تعصف بالمجتمع الإسلامي من الخوف والهوع والنقص في الأموال والأنفس والثروات، مضافاً إلى الحروب والمعرك التي خاضها المسلمون كالتزلزل والشك في الدين الذي حصل في معركة أحد، حتى قال بعضهم: "قلناخذ لنا أمانة من أبي سفيان"⁽³⁾ .

(1) الأخواب: 12.

(2) القوطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج 14 ص 147.

(3) الطوي، جامع البيان: ج 4 ص 147.

الصفحة 389

وقد أحدثت هذه المعركة هوة عنيفة زلزلت إيمان وثبات الصحابة إلا قليل منهم، حتى عاتبهم الله ووبخهم، قال عز وجل:

لَوْ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا⁽¹⁾ .

ومن جميع ما ذكرنا يتبين أن النفاق لم ينحصر بالأنصار من الأصحاب، بل شمل بعض المهاجرين أيضاً، سواء في مكة قبل الهجرة أم في المدينة.

النبي (صلى الله عليه وآله) ومعرفة المنافقين

قلتم في ص 80 : "القرآن الكريم تولى كشف المنافقين بذكر أعمالهم ومواقفهم حتى لكأن النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه يعرفونهم، بل ويعرفونهم".

ثم أوردتم بعد ذلك مجموعة من الآيات التي زعمتم أنها دالة على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعرفهم، وأن الله تعالى هددهم إذا لم ينتهوا عن النفاق فسوف يغوي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهم إما بإخراجهم أو قتلهم، بحيث لم يغوه بذلك دل على انتهائهم.

قلت:

أولاً: إن ما زعمتم من أن القرآن كشف المنافقين وأن النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه كانوا يعرفونهم، يتنافى مع ما

ذكوه كبار مفسريكم في قوله تعالى: **لَوْ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَرَوُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**⁽²⁾ .

قال السمعاني: "هذا دليل على أن الرسول لم يعلم جميع المنافقين" (1).

وقال ابن كثير في تفسير الآية: "وقوله: **{لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}** لا يُنافي قوله تعالى: **لَوْلَوْ نَشَاءَ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ**

بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ؛ لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين، وقد كان يعلم أن في بعض من يخالفه من أهل المدينة نفاقاً" (2).

وفي كلام ابن كثير هذا جواب على ما أوردتموه في آيات قرآنية استظهرتم منها أن النبي (صلى الله عليه وآله) وبعض أصحابه كانوا يعلمون بالمنافقين كلهم، وهذا الاستظهار ليس في محله، إذ غاية ما تفيد الآيات المذكورة أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعلم رؤوس المنافقين فقط وذلك عن طريق صفاتهم وسيماهم.

ولذا قال ابن كثير في موضع آخر: "قول من قال: كان عليه الصلاة والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين إنما مستنده حديث حذيفة بن اليمان في تسمية أولئك الأربعة عشر منافقاً في غزوة تبوك... فأطلع على ذلك حذيفة. إلى أن قال: فأما غير هؤلاء،

فقد قال تعالى: **لَوْ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِرْبُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ** الآية، وقال

تعالى: **{لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمِنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا}** (3) ففيها دليل على أنه لم يغر بهم ولم يبرك على أعيانهم وإنما كان تذكر

(1) السمعاني، تفسير السمعاني: ج 2 ص 343.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 2 ص 398.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 2 ص 398.

له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم، كما قال تعالى: **لَوْلَوْ نَشَاءَ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** (1).

وهناك روايات معتوة وردت في مسانيدكم تصوح بأن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن يعرف بعض المنافقين (2).

ثانياً: لو افترضنا أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان مطلعاً على المنافقين كلهم بأعيانهم وأشخاصهم، فإن هذا لا يعني

بالضرورة أن النبي (صلى الله عليه وآله) أطلع أصحابه على جميع المنافقين، فربما كانت هناك مصلحة وحكمة تقتضي إخفاء

أسمائهم وأشخاصهم، كأن تكون هي الحفاظ على وحدة النظام الإسلامي وتجنب حصول الفتن في مجتمع المسلمين، والله

ورسوله أعلم بملاكات الأحكام ومصالح الشريعة.

ولعل من الشواهد على عدم اطلاع ومعرفة الصحابة بالمنافقين أنهم كانوا يسألون حذيفة عنهم ويستعملون ذلك من تركه للصلاة عليهم، مع أن حذيفة لم يطلعه النبي (صلى الله عليه وآله) إلا على أربعة عشر منافقاً كما تقدم عن ابن كثير.

المنافقون من الصحابة

قلتم في ص 81 : المنافقون ليسوا من الصحابة ولكنهم معهم - وقلتم في ص 82 . والقوان الكريم في كل آياته يبين أن المنافقين ليسوا بمؤمنين، أي: ليسوا ممن يوصفون بالصحبة، فإن الصحبة الإيمانية لا يوصف بها إلا المؤمن.

(1) المصدر نفسه: ج 1 ص 52.

(2) أبو يعلى، مسند أبي يعلى: ج 1 ص 90، دار المأمون للتراث.

الصفحة 392

قلت:

أولاً: إن ما ذكrote من الصحبة الإيمانية وأنها لا يوصف بها إلا المؤمن، يتنافى مع ما ذكوه كبار علمائكم في تعريف الصحابي، حيث لم يشقوا فيه إلا الإسلام.

قال البخاري في صحيحه: "ومن صحب النبي (صلى الله عليه وآله) أوراها من المسلمين فهو من أصحابه" (1).

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: "فأما الصحابي فكل مسلم رأى رسول الله ولو لحظة" (2).

وحيث إن الإسلام وكون الشخص مسلماً مرحلة مختلفة عن الإيمان وسابقة عليه، وذلك في صريح قوله تعالى: **قَالَتِ**

الْأَعْرَابُ آمَنَّا قَلَّ لَمْ تَوَمَّنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ (3)، فيثبت بناءً على ذلك أن من الصحابة من لم

يكن مؤمناً وإنما كان مسلماً بحسب ما يعلنه من النطق بالشهادتين.

ولذا قال ابن كثير في تفسيره للآية المتقدمة: "وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو

مذهب أهل السنة والجماعة"، ثم قال بعد أن استدلل على التغاير بين الإيمان والإسلام من الروايات: "فوق النبي (صلى الله عليه

وآله) بين المؤمن والمسلم، فدلّ على أن الإيمان أخص من الإسلام، وقد قورنا ذلك بأدلته في أول شوح كتاب الإيمان من

صحيح البخاري والله الحمد والمئة" (4).

(1) البخاري، الجامع الصحيح: ج 2 ص 406، كتاب الفضائل، دار الفكر - بيروت.

(2) النووي، شوح صحيح مسلم: ج 1 ص 35، دار الكتاب العربي - بيروت.

(3) الحوات: 14.

(4) ابن كثير، تفسير القوان العظيم: ج 4 ص 234.

الصفحة 393

والأعواب الذين ذكرتهم الآية المباركة من المسلمين الذين رأوا النبي (صلى الله عليه وآله)، فينطبق عليهم تعريف الصحابي، مع أن الآية نفت عنهم الإيمان وأثبتت لهم الإسلام فحسب، مما يعني أن الصحبة بحسب تعريفكم لا يشترط أن تكون إيمانية، بل يكفي أن تكون صحبة إسلامية على ظاهر الإسلام.

ثانياً: إن ما أورده من تعريفات للصحابي وغيرها تشمل المنافقين أيضاً؛ لأن التعريف المذكورة تضمنت قيد الإسلام ولم تشترط الإيمان الواقعي الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، كما قال عز وجل: **لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**⁽¹⁾. قال الوري في تفسير هذه الآية: "إن عمل القلب غير معلوم واجتناب الظن واجب، وإنما يحكم بالظاهر، فلا يقال لمن يفعل فعلاً هو موالي، ولا لمن أسلم هو منافق، ولكن الله خبير بما في الصدور"⁽²⁾، وقد ذكرنا أن الكثير من المنافقين لم يكونوا معروفين بالنفق، وكان المسلمون يتعاملون معهم كما يتعاملون مع سائر المسلمين، لهم مالهم وعليهم ما عليهم، فيكون مشغولاً بالتعريف المتقدمة.

وما ذكرناه يتفق مع كافة التعريف التي ذكرت للصحابة، بما في ذلك التعريف الذي ذكره ابن حجر للصحابي، والذي يعدّ أخص التعريف وأضيقتها، حيث ذكر أن الصحابي هو من رأى النبي (صلى الله عليه وآله) وآمن به ومات

(1) النساء: 94.

(2) الفخر الوري، تفسير الوري: ج 28 ص 141.

الصفحة 394

على الإسلام⁽¹⁾، فإن مراده من الإيمان هو الإيمان بحسب الظاهر الذي وادف الإسلام، ولذا قال في ذيل تعريفه: "ومات على الإسلام"، وإلا فإن الإيمان الواقعي لا يحدده إلا الله كما بينا، فلو كان مراده الإيمان الواقعي فإن التعريف يفقد جواه وفائدته.

ثالثاً: بناءً على ما بينتموه سوف تثار عدة نقوض وإشكالات حول جملة من طوائف المسلمين، نظير من كان منافقاً طيلة حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ثم تاب وآمن وحسن إسلامه، فهل مثل هذا يعد من الصحابة؟ وهل أن صحبته تتقلب بعد توبته صحبة إيمانية؟! أمثال الجلاس بن سويد الأنصلي الذي كان منافقاً على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم تاب بعد ذلك وحسنت توبته⁽²⁾.

ونظير من رتد في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) ثم تاب بعد وفاته، أمثال ما يدعى في توبة عبد الله بن سعد بن أبي سوح الذي رتد في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمر بقتله فاخْتَبأ عند عثمان ثم ولّاه في أيام خلافته، فهل لمثل هذا الشخص صحبة إيمانية مع أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر بقتله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة⁽³⁾.

رابعاً: إن النبي (صلى الله عليه وآله) وبعض الأصحاب أطلقوا على المنافقين لفظ الصحابة، وقد نقلت لكم جملة من تلك الإطلاقات والاستعمالات، كقوله (صلى الله عليه وآله) في أحد المنافقين: "معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي"⁽⁴⁾،

(5)

وكقوله (صلى الله عليه وآله): "في أصحابي اثنا عشر منافقاً" ، وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً: "إن في أصحابي

(1) ابن حجر، الإصابة: ج 1 ص 130.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج 3 ص 199، دار صادر . بيروت.

(3) ابن عبد البر، التمهيد: ج 6 ص 176 ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب.

(4) مسلم، صحيح مسلم: ج 2 ص 740 ، كتاب الزكاة، ح 1063 ، دار الفكر . بيروت.

(5) مسلم، صحيح مسلم: ج 4 ص 2143، كتاب صفات المنافقين، ح 2779 ، دار الفكر . بيروت.

الصفحة 395

(1) منافقين "

ومن هذه الإطلاقات يتضح أن المنافقين من الصحابة، وأما اختصاص الصحبة بالصحبة الإيمانية فهو يحتاج إلى شاهد ودليل، وهو مفقود في مثل الروايات والأحاديث النبوية المذكورة.

ثم إن هناك بعض الصحابة اختلف في دخولهم في المنافقين، فهل هؤلاء من الصحابة؟ وهل أن الصحبة الإيمانية لابد من إجرائها يقيناً فلا يكون أولئك معدودين من الصحابة أم تعري فيهم أصالة الصحبة الإيمانية؟!

(1) أحمد بن حنبل، المسند: ج 4 ص 83 ، وقد صححه الخطيب التورزي في كتابه الإكمال: ص 36.

الصفحة 396



ملحق

حوار جديد مع الدكتور الغامدي

لما كان هذا الكتاب (قصة الحوار) في طريقه إلى النشر، وفقني الله تعالى بفضله ولطفه أن أتشرف بزيارة بيت الله الحرام لأداء حجّ التمتع لسنة (1427 هـ)، وبعد إتمام مناسك الحج، اتصلت بفضيلة الدكتور الغامدي، فحَبَّ بي ودعاني لزيارته، فلبّيت دعوته وذهبت إلى بيته في ليلة السبت المصادف 17 من ذي الحجة، وقد كان معي صديقي العزيز الدكتور زماني ممثل السيد القائد في بعثة حجاج أهل السنة في إوان، وكذلك فضيلة الشيخ المُبلّغي مساعد سماحة آية الله التسخوي في مجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولمّا وصلنا إلى بيت الدكتور الغامدي وجدنا عنده الدكتور مجيد معرف والدكتور عادل الأديب، وهما من الأساتذة الكبار في جامعة طهوان.

وقد استقبلنا الدكتور الغامدي بحفوة بالغة . كعادته . ثم دار بعد ذلك حوار بيني وبينه حول مسائل، نشير إليها مع مراعاة الاختصار وكذلك مع التغيير الطفيف:

دعوى اعتقاد الشيعة بنجاسة أهل السنة

قال الدكتور الغامدي: إنّ الشيعة تعتقد بنجاسة أهل السنة، ويشهد لذلك نصوص من السيد الخوئي والسيد الخميني.

قلت: لقد تكرر منك هذا الاتهام أخي الدكتور، فلقد ذكرته لي في السنة

الماضية، وقد أجبته في حينها بأن هذا الكلام ليس صحيحاً وأن علماء الشيعة يعتقدون بطهارة أهل السنة؛ ولذلك تجدهم أفتوا بجواز تزويجهم والتزوُّج منهم، وكذا أفتوا بطهارة ذبائهم، وحتى قال السيد الخميني: بأن الإمامة من أصول المذهب (1) فمن لا يعتقد بها من غير مذهب الشيعة لا يكون كافراً.

ولا تجد عالماً من علماء الشيعة الإمامية من القرون الثاني إلى القرون الخامس عشر قد أفتى بنجاسة أهل السنة، والذي يفتي فقهاء الشيعة بنجاستهم إنما هم النواصب الذين يحملون العداة لأهل البيت (عليهم السلام) لا نجاسة المسلمين من أهل السنة.

فقال الدكتور الغامدي: من هو العواد من المخالف في كتبكم الفقهية؟

قلت: إنّنا نعبر في كتبنا الفقهية عن أهل السنة والجماعة نرة بالمخالف وأخرى بالعامّة وثالثة بأهل السنة.

ولكن هؤلاء غير النواصب الذين نعتقد بأنهم كفار ونجس ومخلّون في النار؛ كما أن علماء أهل السنة أيضاً يقولون

(1) قال السيد الخميني: ذلك سواء فيه الاعتقاد بالولاية وغورها، فالإمامة من أصول المذهب لا الدين. كتاب الطهارة: ج3 ص323. وهكذا في ج1 ص85..

(2) ناصب العداة لأهل البيت (عليهم السلام) يكون من أوضاح مصاديق إنكار الضرورة الإسلامية القوانية وهي المودة، لذا يحكم بكفه بنص القوان والروايات.

وقد اخرج ابن حبان في صحيحة إن رسول الله، صلى الله عليه وآله، قال: كوالذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت إلا أدخله الله النار [ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج15، ص435] وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة تحت رقم 2488.

الصفحة 399

قال الدكتور الغامدي: قال آية الله العظمى الخوئي: وما يمكن أن يستدل به على نجاسة المخالفين وجوه ثلاثة:

الأول: ما ورد في الروايات الكثيرة البالغة حد الاستفاضة من أن المخالف لهم ((عليهم السلام)) كافر.

وقال آية الله العظمى الخميني: فقد تمسك لنجاستهم بأمر: منها روايات مستفيضة دلّت على كوفهم، موثقة الفضيل بن

يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "إن الله تعالى نصب علياً علماً بينه وبين خلقه ...

قلت: واعجبي يا دكتور!! فإن هذه العبارة التي نقلتها عن السيد الخميني هي عبارة لصاحب الحدائق، قد نقلها الإمام

الخميني ثم ردّها ورفضها بقوة.

فنقلت له العبارة التي سبقت عبارة الإمام الخميني والتي لم يذكرها الغامدي، من حاسوبي الذي كنت أحمله معي، فوّأت

عليه، قال الإمام الخميني:

<لكن اغترّ بعض من اختلت طويقته ببعض ظواهر الأخبار وكلمات الأصحاب من غير غور إلى مغاها، فحكم بنجاستهم

وكوفهم، وأطال في التشنيع على المحقق القائل بطهلتهم بما لا ينبغي له وله، غافلاً عن أنه حفظ أشياء هو غافل عنها.

فقد تمسك لنجاستهم [أي صاحب الحدائق] بأمر: منها روايات مستفيضة دلت على كوفهم، كموتقة الفضيل بن يسار عن

أبي جعفر عليه السلام، قال: <إن الله تعالى نصّب علياً علماً بينه وبين خلقه>.

فمراد السيد الخميني من قوله: "لكن اغترّ بعض من اختلت طويقته" هو

الصفحة 400

صاحب الحدائق وهو من علماء الإخباريين.

ثم قلت للدكتور: فودّ عليه الإمام الخميني قائلاً: كولا دليل عليها سوى توهم إطلاق معاهد إجماعات نجاسة الكفار، وهو وهم ظاهر؛ ضرورة أنّ العواد من الكفار فيها مقابل المسلمين، الأعم من العامة والخاصة؛ ولهذا ترى إلحاقهم بعض المنتحلين إلى الإسلام كالحورج والغلاة بالكفار، فلو كان مطلق المخالف نجساً عندهم، فلا معنى لذلك، بل يمكن دعوى الإجماع أو

الضرورة بعدم نجاستهم .

وهكذا الحال مع كلام السيّد الخوئي الذي ذكرتموه.

قال السيد الخوئي: كما يمكن أن يستدل به على نجاسة المخالفين وجوه ثلاثة: الأول: ما ورد في الروايات الكثيرة البالغة

حد الاستفاضة من أنّ المخالف لهم (عليهم السلام) كافر >

فهذا كلام السيّد الخوئي قد نقله عن الآخرين ثم بدأ برده، وقد دفع رحمه الله هذا الاستدلال بقوله:

كوالخبار الواردة بهذا المضمون وإن كانت من الكثرة بمكان، إلاّ أنه لا دلالة لها على نجاسة المخالفين... من أن المناط

في الإسلام وحقن الدماء والتورث وجواز النكاح إنّما هو شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسوله وهي التي عليها أكثر

الناس. وعليه فلا يعتبر في الإسلام غير الشهادتين، فلا مناص معه عن الحكم بإسلام أهل الخلاف... مضافاً إلى السورة

القطعية الجلية على طهارة أهل الخلاف؛ حيث إنّ المتنوعين في زمان الأئمة (ع) وكذلك الأئمة بأنفسهم كانوا يشتركون منهم

اللحم ويرون حلية ذبائهم ويباشرونهم. وبالجملة، كانوا يعاملون معهم معاملة الطهارة

(1) الإمام الخميني، كتاب الطهارة، ج 3، ص 316. طبعة: مطبعة مهر، قم.

الصفحة 401

والإسلام من غير أن يرد عنه ردع > .

وقال في آخر كلامه:

كأمّا الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضرورية بوجه، وإنّما هي مسألة نظرية وقد فسروها بمعنى الحب والولاء ولو

تقليداً لأبائهم وعلمائهم، وانكلهم للولاية بمعنى الخلافة مستند إلى الشبهة كما عرفت. وقد أسلفنا أنّ إنكار الضروري إنّما يستتبع

الكفر والنجاسة فيما إذا كان مستقوماً لتكذيب النبي صلى الله عليه وآله كما إذا كان عالماً بأنّ ما ينكوه مما ثبت من الدين

بالضرورة وهذا لم يتحقّق في حق أهل الخلاف لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت (عليهم السلام). نعم الولاية .

بمعنى الخلافة . من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين (1) .

قلت: أي دكتور! فهل عرفت الآن بأنّ هذه العبارات التي نقلتها لنا عن السيّد الخوئي والخميني هي عبارات مستقطعة من

كلامهما، وهذا التقطيع يعتبر قبيحاً وخيانة علمية.

ونستطيع القول إن أغلب كتّاب علماء الوهابية يتبعون هذا الأسلوب من التقطيع، فالدكتور القفري مثلاً في كتابه أصول

مذهب الشيعة، زاه ينقل كلاماً لعلماء الشيعة كالشيخ المفيد وغوه مقطّعاً، فينقل عبارة من وسط كلامهم من دون أن ينقل أول

أو آخر كلامهم، ثم يبدأ بالهجوم عليهم.

أو زاه ينقل خواً لمحدثي الشيعة كذلك منقطّعاً، فينقل عن الكافي مثلاً كذلك ثم يهجم على مصنفه الكليني رحمه الله.

دعوى أن كتاب الكافي مليء بالموضوعات

قال الدكتور الغامدي: كتاب الكافي مملوء بالموضوعات.

قلت: يا دكتور، لو قسنا كتاب البخاري إلى الكافي من حيث الروايات الضعيفة والإسرائيليات لوجدناها أضعافاً مضاعفة⁽¹⁾ على الذي ادعي وجوده في الكافي، فضعاف الكافي نسبه نسبة عشر ما في كتاب البخاري.

قال الدكتور: في كتاب الكافي يوجد ستة عشر ألف رواية، فكم رواية صحيحة فيه؟

قلت: على ما ذكره المحقق البهائي: خمسة آلاف رواية صحيحة فيه⁽²⁾.

قال الدكتور: الباقي: أي تسعة آلاف حديث، كيف هو حالها؟

قلت: هذه الروايات فيها ما هو من قسم الموثق والحسن والموسل والمرفوع والضعيف، وإن الروايات الضعيفة غير

الروايات الموضوعية والمكتوبة؛ لأن الروايات الضعيفة يقوي بعضها بعضاً، فيثبت مضمونها كما هو الحال عند علمائكم، فهم

يعتقون بهذه القاعدة الجالية.

(1) وإن كان أغلب علماء أهل السنة يرون كل ما فيه صحيحاً، لكن هذه الرؤية لا تفوض صحتها على الآخرين.

(2) قال المحدث البهائي: قال بعض مشايخنا المتأخرين: أما الكافي، فجميع أحاديثه حصرت في ست عشر ألف حديث

ومائة وتسعة وتسعين حديثاً. والصحيح منها باصطلاح من تأخر: خمسة آلاف واثنان وسبعون حديثاً؛ والحسن: مائة وأربعة

وأربعون حديثاً؛ والموثق: مائة حديث وألف حديث وثمانية عشر حديثاً؛ والقوي: منها اثنان وثلاثمائة حديث، والضعيف منها:

أربعمائة وتسعة آلاف وخمسة وثمانون حديثاً. (لؤلؤة البحرين: ص 394).

أما العلامة المجلسي فقد قمننا بإحصاء الأحاديث المعنوة - في موسوعته القيمة: مرآة العقول في شرح صحيح الكافي -

فوجدناها ما يقرب: سبعة آلاف وثلاثمائة واثنان وستون حديثاً معنوياً.

وهذا بخلاف الروايات الموضوعية حيث لا يثبت شيء منها ولو كان ألف رواية.

قال الدكتور: كم رواية موضوعية في الكافي؟

قلت: أقل من مائة رواية وفق القواعد الجالية عند الشيعة.

وهنا تحدث فضيلة الشيخ مبلغني الذي كان بصحبتني، فقال: قد ورد عن الأئمة عليهم السلام: هاهنا أشخاص يكذبون

علينا⁽¹⁾.

قلت: وفي رواية عن الصادق (ع) أنه قال: **كإن المغيرة بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي**⁽²⁾.

وقال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): كولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة يتبعها ألف لعنة" .

دعوى أن الإمام الصادق قد لعن زلزلة

قال الدكتور: هكذا أيضاً لعن زلزلة.

قلت: أمّا بالنسبة إلى زلزلة، قال الصادق (عليه السلام): رَحِمَ اللهُ زلزلةَ بنِ أعينٍ لولا زلزلةٌ ونظوؤه لانترست أحاديث

أبي" (4) .

نعم روي عنه أنه قال: <... لعن الله زلزلة...> (5) .

(1) (إشارة إلى قول الصادق (ع): "إنا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند

الناس". رجال الكشي: ص 108 رقم 174، و305 رقم 549.

(2) رجال الكشي، 224 رقم 401.

(3) رجال الكشي، 364 رقم 673.

(4) رجال الكشي، 136 رقم 217.

(5) رجال الكشي، 147 رقم 234.

الصفحة 404

ولكن مع غض النظر عن ضعف السند (1) ، فهذه الروايات يمكن لنا تقسوها بأن الإمام الصادق (ع) لم يكن جاداً في لعن

زرزلة بل أراد من لعنه . ظاهراً . أن يوحى للسلطة آنذاك بعدم وجود علاقة ودية بينه وبين زلزلة؛ حفاظاً على زلزلة من

القتل أو الاعتقال بتهمة صلته وارتباطه بالإمام.

ويؤيد ذلك ما رواه الكشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) بأنه قال لولد زرزلة. عبد الله: **«أقوأ مني على والدك السلام،**

وقل له إنني إنما أعيبك؛ دفاعاً مني عنك، فإن الناس والعدو يسئلون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه؛ لإدخال الأذى فيمن

نحبّه ونقوّبه" (2) .

قال الدكتور: هذا إمام معصوم كيف يكذب ويقول: لعن الله زرزلة؟

قلت: يا دكتور وهل هذا عجيب؟! فهذا إبراهيم (عليه السلام) وهو نبي، يقول: **{قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ}** (3) .

وهذا يوسف (عليهم السلام) يتهم أخاه بأنه سرق، كما في قوله تعالى: **{فَلَمَّا جَاهَوْهُمْ بِجَهْلِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ**

أَدْنَى مَوَازِنَ أَيُّهَا الْعَبْرَ إِنكُمْ لَسُرِقُونَ} (4) .

قال الدكتور: هذا مما يقبل التأويل بأن نقول إنه يقصد التورية، أمّا اللعن فهو يكون لأهل جهنم ولا يمكننا تأويله.

(1) (فلو اجع كتاب تزيخ آل زرزلة، للمحقق الفاضل والمنتبع الدقيق، السيد محمد علي الموحد الأبطحي، ص 60.

(2) رجال الكشي: 138 رقم 221.

(3) الأنبياء: 21/63.

(4) يوسف: 12/70.

الصفحة 405

قلت: هذا إواهيم يقول: **{قَلَمَ رَأَى الشَّمْسُ بُرْجَةَ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ}** (1). وَقَالَ أَيْضاً: **{إِنِّي سَقِيمٌ}** (2).
فهل يمكننا هنا التأويل أيضاً؟

دعوى أن الأئمة (عليهم السلام) عند الشيعة فوق الأنبياء

قال الدكتور: الشيعة تعتقد أن الأئمة فوق الأنبياء.

قلت: إننا نعتقد بأن الأئمة فوق الأنبياء من حيث الأفضلية لا في النبوة. ونستند بذلك على دليل وهو إن الرسول (صلى الله عليه وآله) جعل علياً مثل نفسه في آية المباهلة (3) بقوله: **{وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ}** وهذا يدل على كون علي مساوياً لرسول الله (ص) في جميع الجهات إلا جهة النبوة، فمحمد صلوات الله عليه وعلى آله خاتم النبيين ولا نبي بعده، وخرجت تلك الجهة بالدليل، وتبقى بقية كمالات رسول الله موجودة في علي بمقتضى عموم الآية.

(1) الأنعام: 78 / 6.

(2) الصافات: 89 / 37.

(3) في صحيح مسلم: ولما تولت هذه الآية: **{فَقُلْ تُعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ دَعَارَسُولُ اللَّهِ صَ عَلِيَا وَقَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي. صحيح مسلم، ج7 ص120، ط. محمد علي صبيح، بمصر، ودار الفكر. بيروت، (5/23) ح32}** كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه.

قال ابن كثير: قال جابر: **{وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (وَأَبْنَانَا) الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (وَنَسَائِنَا) فَاطِمَةُ. وهكذا رواه الحاكم في مستدركه... ثم قال: صحيح على شوط مسلم ولم يخرجاه. تفسير ابن كثير، ج1 ص379 ط. دار المعرفة. بيروت وج1 ص370، ط مصطفى محمد بمصر، ورواه السيوطي قائلاً: وصححه الحاكم، الدر المنثور، ج2 ص39، هكذا الشوكاني في فتح القدير، ج1 ص348.**

قال المؤمختوي: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام. الكشاف: ج1 ص370.

الصفحة 406

فكما أن الرسول أفضل من جميع الخلائق حتى من الأنبياء وحتى من الملائكة، فيكون علي أيضاً له هذه المزية؛ لأن مسوي الأكمل أكمل أيضاً.

وهذا المعنى نجده أيضاً في تصريح النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث المتولة فقال: "ألا توضى أن تكون مني بمتولة

(1)

هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي" .

قال الدكتور: فعليّ عندكم أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: بالنسبة لخصوص النبي لم يكن أفضل منه، كيف ذلك وعلي (عليه السلام) نفسه يصوح في روايات متعدّدة بنفي أفضليته على النبي فيقول: <أنا عبد من عبيد محمّد (صلى الله عليه وآله)>⁽²⁾ .

كون علي أول من أسلم لا دليل عليه

قال الدكتور: لو سألت سائل هل كان علي رضي الله عنه مسلماً؟

قال الشيخ المبلغي: هو أول من أسلم.

قال الدكتور: من روى أنه كان أول من أسلم؟

قال الشيخ المبلغي: هل أنت شاك في كون علي مسلماً؟

قال الدكتور: لست بشاكّ ولكن نسألکم، من روي بأنه كان أول من أسلم؟

قال الشيخ المبلغي: كل من الشيعة والسنة قد رووا بأنه كان أول من أسلم.

(1) صحيح البخاري: ج5 ص129 ، كتاب المغلبي، باب غزوة تبوك.

صحيح مسلم: ج7 ص120 ، كتاب الفضائل، باب فضائل علي، ج4 ص1870 رقم 2404 (دار الفكر، بيروت - 1398

هـ.

(2) الكافي: ج1 ص90 ح 5 ، فالرواد أنه مطيع تابع له كما قال الصدوق بعد ذكر الحديث: يعني بذلك عبد طاعة لا غير

ذلك. كتاب التوحيد، للصدوق، ج3 ص174.

الصفحة 407

قال الدكتور: الصحابة هم من رووا إسلامه، وأتحدّى أن تأتوا برواية من غير الصحابة تثبت أنه مسلم.

ومادام أنتم لم توكّروا الصحابة فلن تستطيعوا إثبات إسلام علي أصلاً.

قلت: هناك روايات متعدّدة صرت عن طويق أهل البيت (عليهم السلام)، عن آبائهم، عن علي (عليه السلام) وعن النبي

(صلى الله عليه وآله) تثبت بأنّ علياً هو أول من أسلم.

قال الدكتور الغامدي: كلّ هذه الروايات تنتهي إلى علي (عليه السلام)، فهي شهادة على نفسه، فلا تقبل هذه التوكية.

قلت: هناك قاعدة رجالية يؤمن بها الجميع ومفادها: إذا ثبتت وثيقة الولوي بأدلة خاصة ثمّ نقل لنا هذا الولوي رواية في

مدح نفسه وتوكيتها، فنقبل منه، نعم إذا لم تكن وثيقة الولوي ثابتة وانحصر طويق ثبوتها بما قاله من توكية نفسه فعندئذ لا

تقبل منه تلك التوكية.

قال الدكتور الغامدي: إنّ علي بن أبي طالب قد أسلم، وشهد الصحابة بإسلامه وأنتم الشيعة لا تقرّون إثبات إسلامه من

غير طريق الصحابة.

قلت: لو قلنا بأن الصحابة نقلوا إسلام علي، ثم ماذا؟

قال الدكتور الغامدي: إنكم تتفنون عدالتهم.

قلت: أين قلنا ذلك؟ ومتى نفينا عدالة كل الصحابة؟ هذا افتراء على الشيعة؛ بل نحن نعتقد بأن الصحابة بينهم العدول وغير

العدول؛ لذا نقبل روايات عدولهم ونرفض روايات فساقهم، كما أنك قد قلت في رسالتك بأن قوله تعالى: **{يَأْيَهُا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا**

إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا}⁽¹⁾، يدل على

(1) الحوات: 49/6.

الصفحة 408

فسق الوليد بن عقبة⁽¹⁾.

قال الدكتور: من هم عدولهم؟

قلت: كل من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) وبقي على وصيته وثبت متابعتة على منهج النبي (صلى الله عليه وآله).

قال الدكتور: أين هذا؟

قلت: هذا موجود في الكتب الرجالية والروائية للشيعة، فهذا الشيخ الطوسي قد ذكر في رجاله زهاء (500) صحابي وقد

وثق عدّة كثرة منهم⁽²⁾.

(1) وأمّا الوليد بن عقبة فالقوان الكريم قد حكم فيه، حيث تولت فيه آية: **{يَأْيَهُا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**... {وقد ثبت فسقه بروايات صحيحة، ولا نوري عمّا لقي الله عزّ وجل به. [حوار هادئ: ص 124].

(2) ذكر الطوسي في رجاله 488 صحابياً، في أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد وثق منهم 176 صحابياً، وذكر

436 صحابياً في أصحاب أمير المؤمنين وقد وثق منهم 187 صحابياً. من شهد من أصحاب النبي (ص) مع علي (ع) في الجمل.

كما روى الطوسي أيضاً عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: شهد مع علي (عليه السلام) يوم الجمل ثمانون من أهل بدر،

وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله). الأماي للطوسي: 726 / 1527، شوح الأخبار: 1 / 401

350 /

وقال الذهبي: قال سعد بن إواهيم الهوي: حدثني رجل من أسلم، قال: كنت مع علي أربعة آلاف من أهل المدينة.

وقال سعيد بن جبير: كان مع علي يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممن شهتوا بيعة الوضوان. رواه

جعفر بن أبي المغوة عن سعيد.

وقال المطلب بن زياد، عن السدي: شهد مع علي يوم الجمل مائة وثلاثون بديراً وسبعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل بينهما ثلاثون ألفاً، لم تكن مقتلة أعظم منها. تزيخ الإسلام، ج 3 ص 484، تزيخ خليفة بن خياط: 138، العقد الفريد، ج 3 ص 314.

وفي من شهد من أصحاب النبي مع علي (ع) في صفين:

قال الحاكم: شهد مع علي (ع) صفين ثمانون بديراً، ومائتان وخمسون ممن بايع تحت الشجرة. المستترك على الصحيحين، ج 3 ص 112 ح 4559، البداية والنهاية، ج 7 ص 255.

قال ابن أعمم الكوفي: وهم يومئذ تسعون ألفاً وثمانمائة رجل ممن بايع النبي (صلى الله عليه وآله) تحت الشجرة، قال سعيد بن جبيرة: كان مع علي (رضي الله عنه) يومئذ ثمانمائة رجل من الأنصار، وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة. الفوح، ج 2 ص 544.

روى خليفة بن خياط، عن عبد الرحمن بن أزي: شهدنا مع علي ثمانمائة ممن بايع بيعة الوضوان، قتل منّا ثلاثة وستون؛ منهم: عمار بن ياسر. تزيخ خليفة بن خياط، ص 148، الفوح، ج 2 ص 544.

قال المسعودي: كان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً: منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة؛ وهي بيعة الوضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة. مروج، ج 2 ص 361.

الصفحة 409

وهذا العلامة الحلبي ذكر عدة كثرة من الصحابة مصوحاً بوثاقهم.

مضافاً إلى أن رواية إسلام علي (عليه السلام) قد ثبتت بواسطة الأصحاب الذين ثبتت عدالتهم عند الشيعة، كسلمان وأبي ذر والمقداد وغيرهم⁽¹⁾.

قال الدكتور زماني: إن الاختلاف بين الشيعة والسنة موجود ولا يمكننا إنكاره، ولكن أكثر الشبهات المطروحة من جانب أهل السنة تنشأ من نقطتين أساسيتين:

الأولى: من اقتطاع بعض كلام علماء الشيعة من سياقها العام، ثم تحميلة على مذهب الشيعة.

الثانية: النقل من كتب ليست معتوة عندهم و الاستناد إلى الروايات الضعيفة

(1) كما روى الطواني وابن أثير عن أبي ذر وسلمان، قالوا: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي فقال: إن هذا أول من

آمن بي وهذا أول من يضافني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين. المعجم الكبير، ج 6 ص 269، أسد الغابة، ج 5 ص 287، فيه: أخرجه الثلاثة. كنز

وقال ابن عبد البر: وروى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخوي وزيد بن الأرقم، أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره. الاستيعاب، ج 3 ص 1090.

عندهم.

وأنا أقترح عليكم: إذا قرأتم كلاماً في كتب أهل السنة ضد الشيعة لا تقبلوه بشكل مطلق ولا توتبوا عليه الأثر، إلا بعد أن تشاهدوا ذلك الكلام في كتب الشيعة ثم بعد ذلك لكم أن تناقشوا وتكلموا فيما قيل.

قال الشيخ المبلغي: إن قول الدكتور الغامدي بأن شهادة أحد على نفسه غير مقبولة، هذا مخالف لقوله تعالى: **لَا تَقُولُوا**

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا.

وإسلام علي بن أبي طالب، قد ثبت إما من طريق أهل البيت (عليهم السلام)، فهو عندنا مقبول ثابت، وإما من طريق الصحابة، فلا نقول بعدم عدالة ووثاقة جميع الصحابة، بل كثير منهم عندنا عدول وثقات، وهذا أمير المؤمنين (عليه السلام) قد مدح الصحابة في نهج البلاغة (1).

خلافة أبي بكر وبيعة الصحابة له

قال الدكتور الغامدي: لماذا سبعمائة من الصحابة الذين عدتوهم رضوا بخلافة أبي بكر؟ هؤلاء الأجلاء الشجعان الأبطال المؤمنون لو يعلمون بأنّ علياً إمام من رب العالمين، فكيف لم يدافعوا عن علي؟ قلت: مراً قد ذكرت لك بأنّ كثراً من الصحابة من المهاجرين

(1) <لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما رى أحدا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شعناً غواً وقد باتوا سجداً

وقياماً ولوحون بين جباههم وخذودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم . كأن بين أعينهم ركب المغوى من طول سجودهم . إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم . وماؤا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب > الخطبة 97، ج 1، ص 189.

والأنصار قد اعتزوا على أبي بكر، وأعلنوا بأنّ الخليفة الشوعي هو علي بن أبي طالب.

قال الدكتور الغامدي: الذي ثبت لنا بأنّ سعد بن عباد هو الوحيد الذي لم يبايع، حتى علي بن أبي طالب قد بايع أبا بكر.

الذين تخلفوا عن أبي بكر

قلت: هذا البخري يروي عن عمر في حديث طويل: <حين توفى الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا،

واجتمعوا بأسوهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عتاً عليّ وأبيير ومن معهما" (1).

قال اليعقوبي: <فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في علي، فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس وكان لسان قريش، فقال: يا معشر قريش، إنّه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه، ونحن أهلها دونكم، وصاحبنا أولى بها منكم > (2).

قال الدكتور الغامدي: اليعقوبي شيعي.

قلت: وُلّا: لم يثبت جزءاً كونه شيعياً، وكتابه مقبول عند الطرفين، حتى لو كان شيعياً (3).

(1) البخري، صحيح البخري، ج 8، ص 26، كتاب المحلّيين، باب رجم الحبلّى من الزّنا، ج 8 ص 26.

(2) اليعقوبي، تزيخ اليعقوبي، ج 2 ص 142.

(3) قال خير الدين الزركلي: اليعقوبي أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، مؤرّخ

جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد، كان جدّه من موالى المنصور العباسي، رحل إلى المغرب وأقام مدّة في لمينية ودخل

الهند وزار الأقطار العربية، وصنف كتباً جيّدة منها: تزيخ اليعقوبي، انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب

البلدان وأخبار الأمم السالفة. الأعلام، ج 1 ص 95.

الصفحة 412

وثانياً: لا يقتصر ذلك على نقل اليعقوبي الذي تنسبه للتشيع، فهناك الكثير من المؤرّخين قد نقلوا أيضاً مخالفة الصحابة لأبي

بكر، كماؤبير بن بكار في الموقّيات، قال: <وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أن علياً هو صاحب الأمر بعد

رسول الله (صلى الله عليه وآله) > (1).

و ابن الأثير، قال: <وتخلف عن بيعته علي وبنو هاشم والؤبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عبادة

الأنصاري، ثم إن الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا سعد بن عبادة فإنه لم يبايع أحداً

إلى أن مات، وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر على القول الصحيح وقيل غير ذلك > (2).

وذكر أيضاً تخلف عامّة بني هاشم > (3).

وقد ذكر الطوي تخلف: عتبة بن أبي لهب، سعد بن أبي وقاص، سعد بن عبادة، طلحة بن عبيد الله، خزيمة بن ثابت،

فروة بن محمد، خالد بن سعيد بن العاص، وجماعة من بني هاشم > (4).

قال الديار بكوي: <وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي طالب والؤبير، فدخلا بيت فاطمة

ومعهما السلاح > (5).

وذكر الواقدي وابن أعمش: <إن زيد بن رُقم قال - عقيب بيعة السقيفة لعبد

(1) الأخبار الموقّيات، لابن بكار (ت 272): ص 580.

(2) أسد الغابة، ج3 ص222.

(3) الكامل في التاريخ، ج2 ص325، ص331.

(4) (تاريخ الطوي، ج2 ص22، مروج الذهب: ج2 ص301، شوح المعولي، ج1 ص131، العقد الفريد، ج4 ص256،

الكامل في التاريخ، ج2 ص325 السوة الحليّة، ج3 ص356، وأسد الغابة، ج3 ص222.

(5) (تاريخ الخميس، لديار بكوي، ج2 ص169 الرياض النضرة، ج1 ص218 وشوح المعولي، ج1 ص132.

الصفحة 413

الرحمن بن عوف-: يا بن عوف! لولا أنّ علي بن أبي طالب وغوره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبخزنها عليه، فجلسوا في منزلهم ما طمع فيها من طمع! >⁽¹⁾.

نقد كتاب الدكتور الغامدي (حوار هادئ)

قال الدكتور زماني: أنا اعتقد بأنّ الحوار لو كان هادئاً وعلى مستوى علمي سوف يستفيد منه المجتمع الإسلامي، ولكن لو كان الحوار جديلاً متشججاً، فإنه لا يزيد في المجتمع إلاّ فورا وتوقاً.

وكم أتمنى لو ينشر كتاب حول الحوار الهادئ بلغة علمية وودية، بحيث يستفيد المجتمع منه.

وبعد كلام الدكتور الزماني شوعت بانتقاد كتاب الدكتور الغامدي (حوار هادئ).

فقلت: إن الكتاب الذي نشر لكم باسم حوار هادئ لم يكن متسماً بالهوء، فعنوانه لا يتطابق مع مضمونه، كما أشار إلي ذلك فضيلة الدكتور العادل العلوي في رسالته إليك حين قال هذا حوار ساخن ومتعصب لا هادئ، فقد استعملت في هذا الكتاب الألفاظ الجلحة والموهنة التي لم تكن نتوقع صدورها منك بل تعرضت لذكر أمور عن الشيعة لم تكن ثابتة وليست صحيحة وأقل ما توصف: إنها محض افتراء.

وسوف نذكر لك بعض هذه الأمور:

لقد كتبت في صفحة 32 من كتابك: "إنّ كتبكم على قسمين: قسم كله

(1) كتاب الودة، للواقدي، ص45، الفوح لأحمد بن أعثم الكوفي، ج1 ص12.

الصفحة 414

روايات وآثار، وهذا القسم عندما يطلع عليه السني لا يرى فيه أثراً علمية تستحق الاهتمام، فهي أشبه ما تكون بالأساطير

فهل تعني أن كلّ كتب الشيعة الروائية أساطير؟ وهل هذا يليق بالأستاذ الجامعي مثلك؟ ماذا لو عبّر رجل شيعي بمثل هذه

العبارة عن كتب أهل السنة، ماذا سوف تكون ردة فعلك؟

وذكرت في صفحة 43 : كوالله يا أبا مهدي، إنني عندما قأت في كتبكم كأنني أقرأ في خرافات عقول لا تعرف صفاء

الإسلام ونقاءه، وأحمد الله عزّ وجل على الهداية وصفاء المعتقد".

أتعجب كيف يتكلم الأستاذ الجامعي بهذه اللغة وبهذا المنطق!

وفي صفحة 113 ذكوت: كروماً الخورج والمعتولة والشيعة الإمامية فهم محرومون من هذه الشفاعة لأنكلهم لها".

ما أوري ما هو المراد من هذه العبارة؟

هذا يشبه قول اليهود والنصرى، حيث يقولون **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}** (1).

قال الدكتور الغامدي: إن الشيعة تنكر الشفاعة يوم القيامة.

قال الدكتور زماني: هل يوجد أحد من الشيعة ينكر الشفاعة.؟!

قال الدكتور الغامدي: وهل الشيعة تعتقد بشفاعة النبي (صلى الله عليه وآله) لأهل الكبائر؟

قلت: يا دكتور! الروايات الموجودة في الكتب الروائية للشيعة فيها الصحيح وكذا فيها الضعيف، فلا يجوز الاعتماد على كل

رواية من نون

(1) البقرة: 2/111.

الصفحة 415

تميز، لذا إذا أردت أن تأخذ حقيقة عقيدة الشيعة، فلا بد لك من مراجعة الكتب الكلامية والعقائدية لكبار علماء الشيعة الذين

لهم دور مؤثر في الكيان الشيعي، كالشيخ المفيد والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والعلامة الحلي وصاحب الجواهر والسيد

الخوئي والسيد الخميني، فعقائد هؤلاء العلماء الكبار هي التي تمثل عقائد الشيعة؛ لأنهم قد ميزوا الروايات وفق منهج دقيق

وصحيح.

قال الدكتور الغامدي: من قال بالشفاعة لأصحاب الكبائر من الشيعة؟

قلت: جميع علماء الشيعة قالوا بالشفاعة.

قال الدكتور الغامدي: أنا اعتقد بأن معتقد الشيعة مثل معتقد المعتولة ينكرون الشفاعة لأصحاب الكبائر.

قلت: هذا أبو الصلاح الحلبي المتوفى سنة 447 ، يقول: كويدل على ذلك ما نقله محدثو الشيعة وأصحاب الحديث، ولم

ينزع في صحته أحد من العلماء من قوله صلى الله عليه وآله: ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (1).

وذكر الشيخ الطوسي المتوفى 460 : حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): "ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي،

وفي خبر آخر: أعددت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي".

ثم قال: كوهذا خبر تلقته الأمة بالقبول، فلا يمكن أن يقال إنه خير واحد. وليس لهم أن يحملوا الخبر على زيادة المنافع لمن

تاب (2).

وقال الشيخ المفيد المتوفى 413 في جوابه عن دليل جواز العفو عن

(1) الكافي، للحلي، ص 469.

(2) الاقتصاد، ص 127.

الصفحة 416

مرتكب الكبوة: وقوله عليه وآله السلام: أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. وما أشبه هذين من الأخبار" (1).
وقال الشيخ الصدوق المتوفى 381: قال الشيخ رحمه الله: اعتقادنا في الشفاعة أنها لمن رضى الله دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي" (2).

وقال الطوسي أيضاً: كتلفته الأمة بالقبول (3).

قال الدكتور الغامدي: لا تنتظر في الروايات، بل انظر في كلام العلماء، فربما يذكرون الرواية فيرونها.

قلت: قد نقلت لك كلام الحلي، ألم يقل: "ولم ينزع في صحته أحد من العلماء"؟

قال الدكتور الغامدي: هل ذكر الحلي قبل الحديث كلاماً؟

قلت: هذا كلام الحلي قبل الحديث، قال: إن الشفاعة وجه... عندها لإجماع الأمة على ثبوتها له صلى الله عليه وآله

ومضى... إلى زمان حدوث المعزولة على الفتيا بتخصيصها بإسقاط العقاب، فيجب الحكم بكونها حقيقة في ذلك؛ لانعقاد

الإجماع في الأمان السابقة لحدوث هذه الفقرة .

ويدل على ذلك ما نقله محدثو الشيعة وأصحاب الحديث ولم ينزع في صحته أحد من العلماء من قوله صلى الله عليه وآله:

(ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من

(1) النكت في مقدمات الأصول، ص 54.

(2) الاعتقادات في دين الإمامية، ص 66.

(3) مجمع البيان، ج 1 ص 104.

الصفحة 417

أمتي) وقوله صلى الله عليه وآله: (لي اللواء الممدود) كذا (والحوض المورود والمقام المحمود) (1).

قال الدكتور الغامدي: دعك من هذا!

قلت: ثبتت هذه القضية، وأن الشيعة يؤمنون بشفاعة النبي لأهل الكبائر؟

قال الدكتور الغامدي: راجع وأصح إن شاء الله.

ثم قال: أذكر. لو كان عندك شيئاً آخر.

قلت: قد نقلت مسألة زواج السيد الخميني من الصغرة.

قال الدكتور الغامدي: قد نقلت ذلك عن الرجل الشيعي.

قلت: لو كان هذا الرجل شيعياً فأنا أول من يلغنه وأقول: لعنه الله بعدد كل فوات العالم.

أي دكتور، أخي العزيز، قد ذكرت لك مرراً بأن مؤلف كتاب <لله ثم للتريخ> لم يكن مؤلفاً شيعياً، وأن هذا الكتاب مليء بالأكاذيب والافتراءات والتّهات، ومؤلفه الزعوم السيد حسين الموسوي لا يعرفه أحد من علماء الشيعة ولا السنة، وهناك قوائم كثرة تشهد بكذبه، فهو يجهل مصطلحات شيعية مشهورة يعرفها حتى أطفالهم، فزاه مثلاً يعبر عن الشيوخ بالسادات، والحال أنّ الشيعة لا يعبرون عن الشيخ بالسيد، بل يقولون شيخاً، فالسيد عندهم يطلق على من كان من أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وكذلك يقول: إنّي درست كتاب الكافي عند السيد الخوئي؟!!

ولا يخفى على أحد بأنّ كتاب الكافي ليس من الكتب اليراسية؛ ليقوم

(1) الكافي للحلي، ص 469.

الصفحة 418

السيد الخوئي بتدريسه، فهو كتاب روائي لا يحتاج إلى تدريس، ويبدو أن المؤلف الموهوم كان جاهلاً بذلك ولم يكن ملتفتاً لهذه المسألة.

ويقول في صفحة 104 من كتابه: "في زيارتي للهند، التقيت السيد دلدار علي، فأهداني نسخة من كتابه (أساس الأصول)...".

ثمّ يأتي ويقول في صفحات أخرى من الكتاب: إنّي التقيت بالسيد الخميني والخوئي والسيستاني. والجدير بالملاحظة أنّ السيد دلدار نوي قد توفي سنة 1235.

ومن المعلوم بأنّ من يلتقي مع السيد دلدار نوي ثم يلتقي بالسيد الخوئي، فلكي يجمع بين لقاء الشخصين لابد أن يعمر أكثر من 200 سنة⁽¹⁾.

أقول: يقوى في النفس بأنّ هذا الكتاب من اختراعات الشيخ عثمان الخميس، فكلّ من واطلع على مؤلفات عثمان الخميس، يحس أن هذا النمط من التأليف هو قريب جداً لأسلوبه.

(1) وقد أثنى مؤلف هذا الكتاب على أحمد الكسروي قائلاً: "كما قتلوا قبله السيد أحمد الكسروي عندما أعلن واعته من هذا الانحرف، ورأى أن يصحح المنهج الشيعي، فقتلوه ربا ربا". لله ثم للتريخ، ص 8.

مع أنّ الكسروي رجل مودد كان يستغوي بالرسول (صلى الله عليه وآله)، حيث قال: رُغم المسلمون أن الله بعث بشواً ووحى إليه بواسطة جوائيل، يطلبون منه المعجزة، فإن أتى بها قُبلت دعواه، والإفلا، وهذا الرعم باطل من الأساس نشأ من

وهو أنكر خاتمية الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً: "إنّ المسلمين ادّعوا أن النبوة قد ختمت برسالة محمد وهو جهل فاضح وفي الواقع أنّهم أنكروا قوة الله على رسال رسول بعده". حول الإسلام، ص 11.

وقد أهان المسلمون شيعة وسنة بقوله: "تعلم كلنا أنّ المسلمين اليوم من الشيعة وأهل السنة هم رُذِل الناس وأذلهم". حول الإسلام، ص 63.

قال الدكتور الغامدي: لا، لا، عثمان الخميس لم يظهر إلّا قريباً، وهذا الكتاب قبل ظهور عثمان الخميس بسنوات، بل ألف قبله بعشرين سنة.

قلت: هذا الكتاب قد طبع قبل خمسة سنوات في السعودية، وبعد مضيّ شهرين من نشوه دخل إيران وقواناه ولم نسمع له ذكراً قبل هذه السنين.

قال الدكتور الغامدي: لو كانت الشيعة تكذب هذه القصة، فأنا سوف أحذفها في الطبقات الأخيرة من كتابي.

قلت: أي دكتور! في أول موه زرتك في بيتك هذا، قد حدثك بأنّي في الليلة الماضية كنت قد التقيت بالشيخ محمد بن جميل بن زينو، وهو من المشايخ الكبار والأستاذ في دار الحديث في مكة المكرمة، وقد جرى بيني وبينه حوار حول هذا الكتاب⁽¹⁾

فقلت له: بأنّ هذا الكتاب لم يكن من تأليفات الشيعة، وذكرت له: بأنه نقل. في صفحة 34. روايات عن كتاب من لا يحضوه الفقيه في مسألة زواج المتعة⁽²⁾.

فقلت للشيخ محمد بن جميل: بأنّ هذه الروايات التي نقلها عن الفقيه، كلّها كذب ولا يوجد مثل هذه الروايات، لا في الفقيه ولا في الوسائل ولا في البحار.

فقال الشيخ محمد بن جميل زينو: كيف يمكن أن ينقل روايات من كتبكم لم تكن ثابتة عندهم؟

(1) راجع الفصل الأول ص 41.

(2) وقد نقل في صفحة 34 : "قول الصادق عليه السلام إنّ المتعة ديني ودين آبائي فمن عمل بها عمل بديننا، ومن أنكروها أنكرو ديننا، واعتقد بغير ديننا". من لا يحضوه الفقيه، ج 3 ص 366.

وهذه الرواية وسائر الروايات التي نقلها عن كتب الشيعة، لا توجد لا في الفقيه ولا في التهذيب ولا في الكافي ولا في الوسائل والمستترك.

قلت: لو أثبت أحد من هؤلاء الأخوة الحاضرين في هذه الجلسة⁽¹⁾ وجود هذه الروايات في الكتب الأربعة للشيعة أو في الوسائل والبحار، أنا أراجع عن مذهب الشيعة وأكون وهابياً.

قال الدكتور الغامدي: في مقابل كون الشخص شيعياً، يقال: سني لا وهابي، فهل يكون مذهب الصحابة مذهباً وهابياً؟!..

قلت: يا دكتور في أول لحظات دخولي إلى بيت الشيخ محمد زينو، كان أول شيء سألني إياه هو: لماذا يسموننا بالوهابية، مع أننا من أتباع محمد بن عبد الوهاب، فمن اللائق أن نسمي بالمحمدية لا الوهابية؟

قلت: لعله من باب أن الوهاب من أسماء الله تعالى، فسميتم بأسماء الله، فبدأت عليه علامات الارتياح وقال: برك الله فيك، برك الله، و كان الأخ جابر والأخ محمد. وهما من تلاميذكم. موجودين في الجلسة.

قال الدكتور: الخلاف إنما هو بين الشيعة والسنة وليس الشيعة والوهابية، فالوهابية اعتبرت طائفة قبل مائتي سنة فقط، والخلاف بين الشيعة والسنة قبل أكثر من ألف سنة.

قال فضيلة الشيخ المبلغي: إن أكثر الشبهات التي تثار ضد الشيعة هي من الوهابية.

قال الدكتور: أشد الناس على الشيعة، هم الأحناف.

قلت: يا دكتور، كنتم قد التقيتم في السنة الماضية مع خمسين شخص من علماء أهل سنة إوان في فندق (الجاد النقاء) بمحضر الدكتور زماني،

(1) كان هناك أكثر من عشرين شخصاً من طلاب جامعة أمّ القوي وغورهم قد حضروا الجلسة.



وتسعون بالمائة من هؤلاء العلماء كانوا من الأحناف، وقد قالوا أمامك: نحن نعيش مع الشيعة في إوان بكل محبة وود وأخوة، وليس بيننا وبين الشيعة اختلاف، وقالوا لك: نحن ندرس هناك في المدارس والحوزات العلميّة ونقيم صلاة الجمعة والجماعة.

فقلت لهم: نحن سمعنا بأنّ بين الشيعة والسنة في إوان اختلافات كثيرة، فهل يسمحون لكم أن تدرسوا في الجامعات والمدارس وإقامة صلوات الجمعة والجماعات.

وقد رأك بعض هؤلاء العلماء بطاقات تنريس تثبت أنهم يدرسون في المدارس والجامعات في إوان، وقال لك أحدهم: أنا خطيب الجمعة، وقال آخر: أنا مدرس في الحوزة و... وجنابك قد تعجبت من كلامهم هذا.

تساؤل عن وجود مساجد للسنة في طهران

قال الدكتور: كم عدد سكان طهران؟

قال الشيخ المبلغي: خمسة ملايين.

قال الدكتور: كم فيها من السنة؟

قلت: حوالي ثلاثمائة.

قال الدكتور: هل لهم مسجد في طهران؟

قلت: كم عدد الشيعة بالمدينة المنورة؟

قال الدكتور: خمسة آلاف.

قلت: بل أكثر من عشرة آلاف، وهل لهم مسجد في المدينة؟

قال الدكتور: الشيعة لا ترى صحة الصلاة جماعة إلاّ خلف المهدي، فإذا خرج المهدي سنيني لهم مسجداً إن شاء الله⁽¹⁾.

قلت: نحن أيضاً إذا ولد مهدي أهل السنة نسمح لهم ببناء مسجد بطهران.

قال الدكتور: إنّ الشيعة لا يصلون صلاة جماعة؛ لأنهم لا يجيزون الصلاة إلاّ خلف الإمام المعصوم.

قلت: يا دكتور! ما هذه الخرافات الوهابية، فأنت أجل شأناً من التوه بمثل هذه التفاهات .

قال الدكتور: هل عندكم مساجد في طهران؟

قلت: أكثر من ألف مسجد في طهران للشيعة يصلون فيها.

الدكتور يقدم اعتذاره في الطبعة الثانية من كتابه <حوار هادي>

قال الدكتور: لقد كتبت في الطبعة الثانية لكتاب حوار هادي: عذرت للأستاذ أبي مهدي لنشرها، وأعتذر عن العبارات

القاسية التي وردت في الرسالة والتي قد حرّرت كثراً منها في هذه الطبعة (الثانية)، ولعليّ أستترك ما فات في طبعات أخرى إن شاء الله⁽²⁾.

(1) سمعت من بعض مشايخي بأنه في زمان سماحة آية الله العظمى السيّد البروجردي (قدس سوه)، قد جاء إليه شخص من جانب شاه إيران وقال: قد طلب منّي علماء أهل السنة أن نسمح لهم في بناء مسجد لهم بطهوان، ماذا تقول؟ فأجاب السيّد البروجردي: إنّ طهوان عاصمة الشيعة في العالم كما أنّ مكة عاصمة أهل السنة، فمتى ما سمحوا أن يبني مسجد للشيعة بمكة فنحن نسمح لهم ببناء مسجد لأهل السنة بطهوان.

(2) حوار هادئ، ص 5 من الطبعة الثانية.

الصفحة 423

فعليك أن تعطيني ما عندك من الملاحظات على الكتاب، حتى أستركها في الطبعات الآتية، فليس هناك رجل معصوم غير رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قلت: لقد حضرت في بيتكم هذا، في شهر رمضان من السنة الماضية وكان معي فضيلة الشيخ الهاوي وكلّ زاده، وقلت لنا: إني أريد طبع ما جرى بيننا من المكاتبات.

فقلت لكم حينها: ليس من الصلاح أن تطبع هذه الوسائل؛ لأنّ ما سميت بالحوار الهادئ لم يكن هادئاً، بل هو حوار متشدد ومتشنج؛ كما أنك قد حرقت كثراً من كلامي الذي نقلته فيها حين نشوتها.

قال الدكتور الغامدي: كلمة تحريف كلمة كبيرة، بل صعبة.

قلت: ماذا فهمتم من كلمة تحريف؟

قال الدكتور: يعني أنني تعمّدت أن أضع لفظاً بدلاً عن لفظك.

قلت: إنّ موادنا من التحريف هو التغيير بالمعنى العام، وهو إما بإضافة شيء أو حذفه أو تغييره.

فإنّك قد حذفنا سطوراً أو سطرين من الرسالة الأولى التي أرسلتها إليكم، وهذه أصل عبرتي التي أرسلتها إليكم في رسالتي:

<ماذا تقول؟ فيما جرى على بعض الأصحاب من الحدّ، هل يوجب ذلك فسقهم أم لا؟ لماذا جرى الحدّ على بعضهم؟ ماذا

تقول فيمن أمر بقتل عثمان من الأصحاب أو شوك في قتله؟ هل يحكم فيهم بأنهم اجتهوا وأخطأوا ولهم أجر واحد أم لا؟>

بينما الذي ذكر في كتابك في ص 11:

"ماذا تقول فيما جرى على بعض الأصحاب أو شوك في قتله؟ هل يحكم فيهم

الصفحة 424

بأنهم اجتهوا وأخطأوا ولهم أجر واحد أم لا؟"

وتلاحظ أنك قد حذفنا هذه العبارة الوسطية:

«من الحدّ، هل يوجب ذلك فسقهم أم لا؟ لماذا جرى الحدّ على بعضهم؟ ماذا تقول فيمن أمر بقتل عثمان من الأصحاب»
قال الدكتور: أقسم بالله بأنّي ما تعمّدت في حذفها، وما الفائدة في حذفها؟
قلت للدكتور الغامدي: إنّك ذكرت في كتابك: "هذه عبرته بنصّها" ولم يكن ما ذكرت نصّ كلامي.
قال الدكتور: أنا أصلحها إن شاء الله.

قلت: كنت قد أرسلت إليكم فاكساً وكتبت فيه بعض أشياء ومن جملتها عبلة: «وقد أوجبت رسالتكم الكريمة أن أسير في
الجوامع الروائيّة و... زهاء خمسمائة ساعة» وقد قمت بنشر هذه العبلة في كتابكم.
وإنّي شديد العتب عليكم هنا يا دكتور! فإن المطالب التي كتبتها لكم في رسالة الفاكس هي مطالب بيني وبينكم ونشورها بهذه
الكيفية ليس صحيحاً، ولا يليق صدور ذلك ممن هو بمثل جنابكم.
قال الدكتور: لم أجد في نشورها أي ضرر.
قلت: واضح أن مقصودكم من نشر هذه العبلة بالخصوص هو أن تقول إن فلان الأستاذ الجامعي قد بذل خمسمائة ساعة
من وقته بينما كتب إليّ خمسين صفحة فقط.
وكلّ من قء كتابكم وقراً هذه العبلة قد اعترضوا عليّ وعاتبوني.
كما إنّي قلت: بأنّي أؤرّس في بعض الجامعات:

الصفحة 425

وقد كتبت بأن الفلاني يبرّس في ثمانى جامعات، كذا وكذا.
يا دكتور، لو تذكر سماحتك حين حضوت في السنة الماضية في جلسة مع عدّة من الدكاترة وأساتذة جامعة طهوان، فقلت
لنا: - وكلامك مسجل وموجود عندي- إنّ علماءنا لا يقبلون كلامنا معكم، ومسؤولو الحكومة لا يقبلون منا ذلك، وإذا علمت
الحكومة بأنّي جنّنتكم لأتكلّم معكم ومع الأساتذة الإوانيين ربما يتشدّدون عليّ، ويؤاخذونني.
فهل يصحّ مني أن أنشر كلامك هذا؟⁽¹⁾

ولو نشرت كلامك هذا، أفلا تعرّض عليّ بأنّ هذا كلام خاص بيني وبينك فلا يصحّ نشوره؟

بغض أهل البيت يعتبر نفاقاً

قلت للدكتور الغامدي: إنّك نقلت في كتابك في صفحة 113، روايتين عن الكافي:
الرواية الأولى: روى الكليني عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، أنه قال: «فلو أن أوجل من أمّتي عبد الله عزّ وجلّ عبّوه
أيام الدنيا ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فوجّ الله صوّه إلا عن النفاق»⁽²⁾

ثمّ قلت: رحم الله أهل البيت كم لقوا من هؤلاء الكذابين من الافتواء!!!

فيبدو من كلامك أنك ترفض مضمون هذه الرواية!

(1) فإن قلت: إنك الآن قد نشرته فعلاً وقد فعلت نفس الخطأ، فسوف أقول لك إن نشري إياه الآن لكي أشعرك بخطئك وأنه

ليس كل ما يقال يصح نشره.

(2) الكافي الروضة، ج2 ص46.

الصفحة 426

يا دكتور! إن هذه الرواية مفادها أن بغض أهل البيت (عليهم السلام) هو نفاق، ومضمونها مطابق للكتاب؛ لأن أقل ما تدل آية المودة عليه⁽¹⁾ هو أن محبتهم من الإيمان ومن الدين، فمن ينكر محبة أهل البيت فقد ينكر القرآن.

قال الدكتور: هل الرواية صحيحة عندكم؟

قلت: لو كان عندك دليل على ضعف الرواية فاذكروه، فنحن أبناء الدليل ونقبل منك ذلك.

قال الدكتور زماني: وأي أن مضمون الرواية مقبول عند الدكتور، وهو يعتقد بأن حب أهل البيت من الإيمان وبغضهم من النفاق؛ فلم يكن مضمون الحديث كذباً.

أهل البيت يتولون حساب الناس يوم القيامة

أما الرواية الثانية: فمضمونها فيه خلاف بيننا وبينكم.

حيث روى الكليني عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، أنه قال: <علينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عز وجل حتمنا على الله في تركه فأجبنا إلى ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعرضهم الله عز وجل >.⁽²⁾

قال الدكتور الغامدي: أنتم تعتقون بأن أهل البيت يحاسبون الناس؟

قال الدكتور زماني: إنني رأت لو أنك لم تعترض على مضمون الحديث الأول

(1) { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ }، الشورى، 42/23.

(2) الكافي، ج8 ص162، ح167.

الصفحة 427

وكان اعتراضك على الحديث الثاني فقط؛ لكان أحسن وأقرب للإنصاف.

قال الدكتور الغامدي: لا شك بأن محبة أهل البيت من الدين وما من مسلم يكره أهل البيت، ولكنهم بشر مكلفون، محاسبون، معاقبون.

والقول بأنهم يتولون حساب البشر، هذا عندنا من الخرافات، فالله يحاسب الناس حتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو مثلنا بشر؛ لأن الله تعالى يقول: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} (1).

قلت: عندنا أدلة متعددة بأن الله تعالى يفوض حساب الناس إلى الأئمة عليهم السلام يوم القيامة، كما أنه يفوض توفي

(2)

الأنفس للملائكة، يقول تعالى: **{اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}** . ثم يقول في آية أخرى: **{قُلْ يَتُوفَاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}** (3) .

ولا منافاة بينهما؛ إذ ملك الموت إنما يتوفى الأنفس بإذن الله تعالى لا مستقلاً عن رادة الله. وهكذا بالنسبة لحساب الناس، فإن الله تبارك وتعالى قال: **{إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}** وَمَعَ ذَلِكَ يُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنَ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَفْوِضُ حِسَابَ النَّاسِ إِلَى رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنَ الَّذِينَ جَعَلَ مَوَدَّتَهُمْ مِنَ الدِّينِ، وَهَذَا لَيْسَ غَوِيًّا وَمُسْتَحِيلًا وَخَوَافِيًّا .
فنحن نعتقد بأن حساب الناس على الله تبارك وتعالى، ولكن قد ثبت عندنا بالأدلة الصحيحة الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام بأن الله

(1) الغاشية: 25 / 26 .

(2) الزمر: 39/42 .

(3) السجدة: 11/32 .

الصفحة 428

يفوض حساب الناس إلى الأئمة، فلا إشكال فيه، إذ عملهم هذا كان بإذن الله. ومن تلك الأدلة التي تثبت هذا المعنى ما ورد عن الصادق (عليه السلام)، قال: <إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا>، وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): <إذا حشر الله الناس في صعيد واحد أجل الله أشياعنا أن يناقشهم في الحساب، فنقول: إلهنا هؤلاء شيعتنا، فيقول الله تعالى: قد جعلت أمهم إليكم وقد شفعتكم فيهم.. (1) .
وما دام الأمر ليس مستحيلًا فلهم أن تسألونا عن أدلتنا على مدعانا، وإذا أقمنا الدليل عليه، فلكم حينئذ المناقشة فيه، وغاية ما يمكن أن يقال لنا: إنكم اجتهدتم فأخطأتم.

قال الدكتور الغامدي: هذا اجتهاد كبير جداً، كيف اجتهدتم بأن البشر يحاسب الناس، لا فوح ولا موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا محمد (صلى الله عليه وآله) يحاسبون الناس، مع أن الأئمة يعترفون بأنهم مخطئون، والسجاد يسأل عن ذنبه كثواً، كيف يحاسب هؤلاء البشر، فهذا غلو.

قلت: يا دكتور، لك أن تناقش في الأدلة بأسلوب صحيح فلك أن تطعن في الأدلة لإثبات تلك العقيدة، لكن لا يحق لك أن تقول بعجلة بأن هذا من الخرافات، فلو قلت لك: بأن تسعين بالمائة من عقائد أهل السنة خرافات، فهل تقبل مني ذلك أم تقول بأن هذا قول بلا دليل وتطلب مني الدليل على دعوي؟

قال الدكتور الغامدي: إن القوان الكريمة واضح الدلالة، يقول إن البشر كلهم

محاسبون.

فهل الأئمة جزء من الله، فيقول الله: أنا والأئمة الاثنا عشر، كلانا نحاسب الخلق؟!

قال الشيخ المبلغي: هذا كفر، من يقول هذا؟

قلت: يا دكتور! أنا أقول: إن الأئمة يتولون حساب الناس بإذن من الله، ماذا تقول؟

قال الدكتور: هل الأئمة يحاسبون؟ ومن يحاسبهم؟

قلت: لا شك بأن الأئمة (عليهم السلام) والأنبياء (عليهم السلام) يحاسبون من قبل الله، بمعنى أن الله تعالى يحاسب الأئمة،

والأئمة يحاسبون الناس بإذن الله، كما أن توفي الأنفس بيد الله تبارك وتعالى، ثم ملك الموت يتوفى الأنفس بإذن الله لوفي

الرواية أن توفي ملك الموت في آخر الأمر بيد الله تعالى].

وكما أن إحياء الأموات مرتبط بالله تعالى أصالة، فهو الذي يحيي وهو الحي القيوم، لكن مع ذلك يقول عيسى (عليه السلام)

والذي هو بشر: **لَوْ أَحْيَيْتُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ** (1).

قال الشيخ المبلغي: يمكن أن يقال في تفسير الحساب بأن للأئمة (عليهم السلام) مكانة سامية عند الله وشفاعة مقبولة، بحيث

يصح نسبة حساب الناس لهم بسبب تلك المقبولية وتلك الشفاعة التي لها دخل في الحساب.

قال الدكتور زماني: ويمكن أن يقال: بأنهم يحاسبون الناس، أي أنهم موزان ومعيار لحساب الناس.

ويمكن أن يقال أيضاً: كما قال الدكتور أبو مهدي بأنهم يحاسبون الناس حساباً

(1) آل عمران: 3/49.

حقيقياً، لكن بإذن وتفويض من الله.

وهاهنا سؤال مهم. والكلام للدكتور زماني. وهو لو اعتقد أحد من الناس بأن غير الله سيحاسب الناس يوم القيامة، فهل هذا

ينسجم مع التوحيد أم لا؟

طبعاً من الشوك بلا شك فيما لو اعتقد إنسان بأن واحداً من البشر بنفسه ومن دون إذن الله هو من سيحاسب الناس.

وأما لو اعتقد بأن هذه المحاسبة تكون بإذن من الله وتفويض منه، سواء كانت هذه العقيدة صواباً أم خطأ، فهذا لا يعد

شوكاً.

قال الدكتور الغامدي: لا نقول شوك، بل نقول: بأن الأئمة يحاسبون الناس بدل رب العالمين هذا شوك.

قلت: يا دكتور، لم ندع أن الأئمة يحاسبون الناس بدل رب العالمين، فمن قال هذا؟ بل كل من قال ذلك قصد بأنهم كانوا في

فعل المحاسبة مأنونين من رب العالمين.

قال الدكتور الغامدي: هذه خرافات، تحتاج إلى الدليل.

قال الدكتور زماني: كلامك هذا جيّد: هذا يحتاج إلى دليل.

فهل سألت إلى الآن من عالم شيعي، ما هو دليلكم على هذه العقيدة؟

قال الدكتور الغامدي: نتكلم عن النصوص ما نتكلم عن عقيدة الشيعة.

علي (عليه السلام) قسيم الجنة والنار

وهذا البحث لم يكن من ضمن الحوار لكن نضيفه هنا للفائدة فنقول: ويمكن أن يستدلّ على إمكان صحة تلك العقيدة بما ورد

بأنّ علياً قسيم

الصفحة 431

النار والجنة.

كما قال القاضي عياض، في فصل إخبره (صلى الله عليه وآله) عن المغيبات: كوأخبر بملك بني أمية، ... وقتل علي، وأنّ أشقاها الذي يخضب هذه من هذه، أي لحيته من رأسه، وأنّه قسيم النار؛ يدخل أولياؤه الجنة وأعداءه النار" (1).

قال ابن الأثير: كوفي حديث علي رضي الله عنه: أنا قسيم النار والجنة > (2). وقال الؤمخشوي في غريب الحديث قريباً مما ذكره ابن الأثير (3).

وهكذا عن الؤبيدي (4) وابن المنظور (5).

قال ابن حجر المكي: <أخرج الدارقطني: إنّ علياً قال للسته الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله: يا علي، أنت قسيم النار والجنة يوم القيامة، غوي؟ قالوا: اللهم لا. ومعناه ما رواه غوه عن عليّ الرضا، أنّه قال له: أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار: هذا لي وهذا لك" (6).

قال الكنجي الشافعي: <فإن قيل: هذا سند ضعيف، قلت: قال محمد بن منصور الطوسي: كنا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: ما تقول في هذا الحديث الذي يروى: أنّ علياً قال: أنا قسيم النار؟ فقال أحمد: وما تتكرون من هذا الحديث؟ ! أليس روبنا أنّ النبي (ص) قال لعلي: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟ قلنا:

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج1 ص338.

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4 ص54، مادة: "قسم".

(3) جار الله الؤمخشوي، الفائق في غريب الحديث، ج3 ص195 مادة "قسم".

(4) الؤبيدي، تاج العروس، ج17 ص569.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج12 ص479.

بلى، قال: فأين المنافق؟ قلنا: في النار، قال: فعلي قسيم النار!!⁽¹⁾

ورواه أبو يعلى الحنبلي⁽²⁾ وغيره بتعابير مختلفة⁽³⁾.

ويؤيد ذلك ما ورد في هذا المضمون في مصادر أهل السنة، فقد روى الخطيب عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب⁽⁴⁾.

وروى عن ابن عباس، قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، للنار جواز؟ قال: نعم، قلت: وما هو؟ قال: حب

علي بن أبي طالب⁽⁵⁾.

وقال ابن حجر المكي: عن أبي بكر بن أبي قحافة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يجوز أحد الصراط

إلا من كتب له علي الجواز⁽⁶⁾.

وهكذا ما ورد في تفسير قوله تعالى: **{الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}**⁽⁷⁾.

وعن الحافظ الحسكاني، عن أبي سعيد الخوي، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة قال الله

تعالى لمحمد وعلي: أدخلوا الجنة من أحبكما، وأدخلوا النار من أبغضكما، فيجلس علي على شفير جهنم، فيقول لها:

(1) كفاية الطالب: ص 72.

(2) أبو يعلى الحنبلي، طبقات الحنابلة: ج 1 ص 320 ط . القاهرة .

(3) (فلواجع: تزيخ مدينة دمشق: ج 42 ص 298 ص 301 ، كنز العمال، ج 13 ص 151 ح 36475 ، جواهر العقدين،

للمسعودي، ج 2 ق 2 ص 429 ، المناقب، للموفق الخوارزمي، ص 294 ، ينابيع المودة لنوي القوي، القندوزي، ج 1 ص 249،

حلية الأولياء ، ج 1 ص 66 ، وتزيخ بغداد ، ج 12 ص 99 ، زين الفتى بتفسير سورة هل أتى: ج 2 ص 404 ص 527.

(4) تزيخ بغداد: ج 10 ص 357.

(5) تزيخ بغداد: ج 3 ص 161.

(6) (الصواعق المحرقة، ابن حجر: ص 195.

(7) سورة ق: 50/24.

هذا لي وهذا لك! وهو قوله: **{الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}**⁽¹⁾.

ورواه الخوارزمي في جامع مسانيد أبي حنيفة⁽²⁾، كما في هامش مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه⁽³⁾.

وروى الكلابي بإسناده عن أبي سعيد الخوي، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة قال الله

تبرك وتعالى لي ولعلي: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا في الجنة من أحبكما، فذلك قوله تعالى: **{الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}** (4).

وروى قريباً منه القندوزي في ينابيع المودة⁽⁵⁾، الباب الخامس عشر، عن فائد السمطين⁽⁶⁾. وكذا مما يؤيد صحة حديث "علي قسيم النار والجنة" أن مخالفه وضعوا حديثاً كذباً وهو بأن أبا بكر قسيم الجنة والنار، ورأوا أن يقابلوا به حديثاً معروفاً يحتج به الشيعة. وهذا الوضع علامة من علامات صحة الحديث وثبوته، فولا صحته لما اضطر البعض إلى وضع حديث في مقابله.

وكون الحديث المذكور من الموضوعات لا شك فيه:

قال ابن حبان: <أحمد بن الحسن بن القاسم شيخ كوفي: يضع الحديث على

(1) شواهد التترييل: ج2 ص264.

(2) الخوارزمي، جامع مسانيد أبي حنيفة: ج 2 ص 284.

(3) ابن مودويه، مناقب علي بن أبي طالب: ص325.

(4) الكلابي، مناقب علي بن أبي طالب: 3 / 427 ؛ شواهد التترييل: ج2 ص262 / 895 ؛ مناقب أبي حنيفة: ج2 ص287.

(5) القندوزي، ينابيع المودة: ج1 ص251.

(6) فائد السمطين: ج1 ص 106 ح 76.

الصفحة 434

الثقات. . روى عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش: ألا ها أتوا

أصحاب محمد (ص) فيؤتى بأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رض)، قال: فيقال

لأبي بكر: قف على باب الجنة فأدخل من شئت ورحمة الله، واورأ من شئت بعلم الله . . . >

ثم قال ابن حبان: <الحديث موضوع لا أصل له⁽¹⁾.

* * * * *

وبعد هذا نعود إلى إكمال حوزنا مع الدكتور الغامدي حول محاسبة الأئمة للناس يوم القيامة.

قال الدكتور زماني: فثبت بأنك ما سألت أحداً إلى الآن وما قأت كتاباً في خصوص هذا الأمر.

القول بضعف السند أولى من القول بأنه خرافات

بعد أن أثبتنا أن ذلك ليس من الخرافات كما وصفه الدكتور وأنه من الممكن أن يفوض الله تعالى حساب الناس إلى الأئمة.

قلت: يا دكتور، لا أوري، هل أخذت هذه الرواية التي استندت عليها من كتاب الدكتور السالوس أو الدكتور القفوري بلا

تدقيق في صحتها؟ وأني أعتقد بأنك لم توقأ الرواية من كتاب الكافي، لأنه قد جاء في هامش هذه الصفحة من كتاب

الكافي: <في سنده سهل بن زياد، ضعيف في الحديث، غير معتمد عليه، وكان أحمد بن محمد بن عيسى شهد عليه بالغلو

والكذب، وأخرجه من

(1) المجروحين، ج1 ص145.

الصفحة 435

قم إلى الوي، وكان يسكنها، نقله العلامة في القسم الثاني من الخلاصة المعد للضعفاء (1).

مضافاً إلى أن في سند الرواية أيضاً ابن سنان، وهو محمد بن سنان الذي ورد فيه أيضاً تّضعيف في الكتب الرجالية.

قال النجاشي: <هو رجل ضعيف جداً لا يعول عليه، ولا يلتفت إلى ما تفود به... فقال صفوان: إن هذا ابن سنان، لقد هم

أن يطير غير هرة، فقصصناه حتى ثبت معنا. وهذا يدل على اضطراب كان يزال... مات محمد بن سنان سنة عشرين

ومائتين (2).

وقال الشيخ الطوسي: محمد بن سنان: له كتاب، وقد طعن عليه وضعف (3).

وقال في كتاب الرجال في أصحاب الرضا (عليه السلام): محمد بن سنان، ضعيف (4).

وقال في التهذيب: محمد بن سنان: مطعون عليه، ضعيف جداً، وما يستند بروايته ولا يشركه فيه غيره، لا يعمل عليه >

(5)

قال الكشي: وذكر الفضل في بعض كتبه، أن من الكاذبين المشهورين، ابن سنان، وليس بعبد الله (6).

وقال ابن الغضائري: <محمد بن سنان أبو جعفر الهمداني: مولا هم، هذا أصح ما

(1) الشيخ الكليني: الكافي، ج8، هامش ص162، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفلي.

(2) رجال النجاشي: ص 328 رقم 888.

(3) الفهرست: ص 406، رقم 620.

(4) رجال الطوسي: ص 364، رقم 7.

(5) التهذيب: ج7 ص361، ذيل حديث 1464، باب المهور والأجور.

(6) رجال الكشي: ج 1 ص 507، رقم 979.

الصفحة 436

ينسب إليه، ضعيف غال، يضع، لا يلتفت إليه (1).

وقال المفيد: <محمد بن سنان مطعون فيه، لا تختلف العصابة في تهمة وضعفه، وما كان هذا سبيله لا يعمل عليه في

(2)

قال السيد الخوئي: كولا أن ابن عقدة، والنجاشي، والشيخ، والشيخ المفيد، وابن الغضاوي ضعفوه، وأن الفضل بن شاذان عده من الكذابين ، لتعين العمل برواياته، ولكن تضعيف هؤلاء الأعلام يسدنا عن الاعتماد عليه، والعمل برواياته، ولأجل ذلك لا يمكن الاعتماد على توثيق الشيخ المفيد إياه، حيث عدّه ممن روى النص على الرضا (عليه السلام) من أبيه من خاصته وثقاته وأهل الروع، والعلم والفقّه من شيعته . الإرشاد: باب ذكر الإمام القائم بعد أبي الحسن عليه السلام من ولده .⁽³⁾

فالرواية التي عندنا صحيحة، كيف لك أن تستدل بها على الشيعة وترتب عليها الأثر؟ ألا يعتبر هذا خطأ في المنهج الصحيح؟

قال الدكتور الغامدي: الآن ثبت كلامي من أنّ هؤلاء كذبوا على أئمة أهل البيت، فانسوا إليه حديثاً ما قالوه أصلاً . قلت: يا دكتور، ليس الأمر كما ذكرت؛ لأنك قد قلت ظلماً، فقلت شيئاً من دون أن تحقق في سنده، ورفق كبير بين كون الرواية ضعيفة وبين كونها مكذوبة وموضوعة، مع غض النظر عن أن مضمون الرواية ثابت عند الشيعة بغير هذه الرواية.

(1) رجال ابن الغضاوي، ج 1 ص 92.

(2) جوابات أهل الموصل للشيخ المفيد، ص 20 ، الرسالة العددية، ص 9 ، المطوع في مصنفات الشيخ المفيد، ص 9، معجم رجال الحديث، ج 17 ص 168 عن الرسالة العددية.

(3) معجم رجال الحديث، ج 17 ص 160 ص 169.

الصفحة 437

فلو ذكرنا رواية ضعيفة عن مجمع الزوائد للهيثمي أو من معجم الطواني في مضمونها معتقداً معيناً ثمّ تهجم على أهل السنّة، فماذا تقولون؟ أيصح هذا من جهة منهجية؟

مضافاً إلى أنّ هذه الرواية التي استندت عليها هي في المجلد الثامن من الكافي المسمّى بالروضة، وهناك خلاف بين علماء الشيعة في كونه للكليبي أم لا .

ثمّ قلت: يا دكتور، لو ادعى أحد بأنّ إنساناً يحيي الموتى وادعى آخر بأنّ إنساناً يحاسب الناس، أيهما أعظم؟ قال الدكتور الغامدي: الأنبياء قد جعل الله لهم علامات ومعجزات وأما غير الأنبياء فكذب . قلت: ابن تيمية يصدقه ويقول عدة من الأولياء قالوا على إحياء الموتى .

ابن تيمية وإحياء الموتى من غير الأنبياء

وهذا البحث خرج أيضاً عن الحوار، بل ارجه هنا للفائدة؛ لإثبات أن مسألة إحياء الموتى أو التصرف التكويني في الأشياء هي أمور ليست ممتنعة عقلاً ولا يختص بها الأنبياء، وقد اعتقد بها حتى مثل ابن تيمية:

قال ابن تيمية: وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الأنبياء عليهم السلام كما وقع لطائفة من هذه الأمة ومن أتباع عيسى .

فإن هؤلاء يقولون: نحن إنما أحيى الله الموتى على أيدينا لاتباع محمد أو المسيح، فبايماننا بهم وتصديقنا لهم، أحيى الله

الصفحة 438

الموتى على أيدينا⁽¹⁾.

وقال أيضاً: فإنه لا ريب أن الله خص الأنبياء بخصائص لا توجد لغوهم، ولا ريب أن من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء عليهم السلام، بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الأنبياء كالعصا واليد لموسى وفوق البحر، فإن هذا لم يكن لغير موسى، وكانشقاق القمر والقآن وتفجير الماء من بين الأصابع وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد (ص) من الأنبياء عليهم السلام، وكاناقة التي لصالح (عليه السلام) فإن تلك الآية لم يكن مثلها لغوه وهو خروج ناقة من الأرض، بخلاف إحياء الموتى فإنه اشترك فيه كثير من الأنبياء، بل ومن الصالحين⁽²⁾.

وقال أيضاً: فإن أعظم آيات المسيح عليه السلام إحياء الموتى، وهذه الآية قد شركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس وغيره، وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيى الله على يديه الموتى⁽³⁾.

وقال أيضاً: كونحن لا نحس من أنفسنا عجزاً عن إواء الأكمه والأبوص وإحياء الموتى ونحو هذه الأمور⁽⁴⁾.

رجل من النخ أحى حملة

قال ابن تيمية: كرجل من النخ كان له حمار فمات في الطريق، فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال

لهم: أمهلوني هنيئة، ثم توضع فأحسن

(1) كتاب النوات، ص 213.

(2) كتاب النوات، ص 218.

(3) الجواب الصحيح، ج 4 ص 17.

(4) النوات، ص 32.

الصفحة 439

الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، فأحيا حملة فحمل عليه متاعه⁽¹⁾.

صلة بن أشيم أحيا فرسه

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منة، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما

وصل إلى بيته، قال: يا بني، خذ سوج الفوس فإنه علية وأخذ سوجه، فمات الفوس⁽²⁾.

و بعد هذا نعود لحوارنا مع الدكتور الغامدي

قلت: يا أخي العزيز، لو اعتقد أحد بأن هؤلاء يحيون الموتى من دون إذن الله فهذا شرك، ولكن لو اعتقد أنه يحيي الموتى

بإذن من الله كما عن عيسى، فليس هذا شركاً، و هل الله عاجز أن يعطي هذه القوة لواحد من البشر؟

قال الدكتور الغامدي: هذه قضايا غيبية لا يصل إليها من طريق الدليل الصريح.
قلت: هناك عبرات كثيرة عن ابن تيمية أيضاً يصوح بأن أولياء الله يعلمون الغيب.

قول ابن تيمية بأن الصحابة يعلمون الغيب

وهذا أيضاً من البحوث الخرجة عن الحوار أضعه هنا بين يدي القارئ الكريم للفائدة:
قال ابن تيمية في جوابه على العلامة الحلبي: <أما الإخبار ببعض الأمور الغائبة

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 11 ص 281 ، أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص 123.

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 11 ص 281 ، أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص 123.

الصفحة 440

فمن هو دون عليّ يخبر بمثل ذلك، فعليّ أجلّ قرواً من ذلك، وفي أتباع أبي بكر وعمر وعثمان من يخبر بأضعاف ذلك، وليسوا ممن يصلح للإمامة ولا هم أفضل أهل زمانهم، ومثل هذا موجود في زماننا وغير زماننا. وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة وغيرهما من الصحابة كانوا يحدثون الناس بأضعاف ذلك.

وأبو هريرة يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحذيفة تارة يسنده وتارة لا يسنده وإن كان في حكم المسند.
وما أخبر به هو وغيره قد يكون مما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون مما كشف هو به، وعمر رضي الله عنه قد أخبر بأشياء من ذلك.

والكتب المصنفة في كرامات الأولياء وأخبارهم مثل ما في كتاب الزهد للإمام أحمد وحلية الأولياء وصفوة الصفوة وكوامات الأولياء لأبي محمد الخلال وابن أبي الدنيا واللالكائي، فيها من الكرامات عن بعض أتباع أبي بكر وعمر، كالعلاء بن الحضرمي نائب أبي بكر وأبي مسلم الخولاني بعض أتباعهما وأبي الصهباء وعامر بن عبد قيس وغير هؤلاء⁽¹⁾.

الكهان يعلمون الغيب بإخبار الشياطين

وقال أيضاً: كما أن إخبار الكهان ببعض الأمور الغائبة لإخبار الشياطين لهم بذلك وسحر السحرة، بحيث يموت الإنسان من السحر أو يموض أو يمنع النكاح ونحو ذلك، مما هو بإعانة الشياطين، فهذا أمر موجود في العالم كثير معتاد يعرفه الناس، وليس هذا خرق للعادة، بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس...⁽²⁾.

(1) منهاج السنة: ج 8 ص 135.

(2) كتاب النوات، 219، عن المكتبة الشاملة، ص 309، ط، دار القلم . بيروت.

الصفحة 441

وما دام الكهان يعلمون الغيب بإخبار الشياطين، فهذا يعني أن للشياطين قوة على معرفة الغيب، ومن هنا يقال: لماذا لا

يكون للملائكة هذه القدرة وهم يدورهم يخبرون الأئمة أو غوهم من الأولياء؟

المدعون للنبوّة يطلعون على المغيبات

وقال ابن تيمية: قد ادعى جماعة من الكذابين النبوّة وأتوا بخورق من جنس خورق الكهان والسحرة... وهذا الأسود العنسي الذي ادعى النبوّة باليمن في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) واستولى على اليمن وكان معه شيطان سحيق ومحيق، وكان يخوه بأشياء غائبة. >

إلى أن قال: وكذلك الحرث الدمشقي ومكحول الحلبي وبابا الرومي لعنة الله عليهم، وغير هؤلاء كانت معهم شياطين كما هي مع السحرة والكهان (1).

وقال أيضاً: وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخوه بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور، وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحرث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوّة، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء، ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنّاً ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله (2).

وقال أيضاً: ومن استمتع الإنس بالجن استخدامهم في الإخبار بالأمور الغائبة (3).

(1) كتاب النوات، ص 114، عن المكتبة الشاملة، ص 155 ص 156، ط، دار القلم - بيروت.

(2) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص 129.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 13 ص 82.

الصفحة 442

اطلاع ابن تيمية على المغيبات

إخبار ابن تيمية عن هزيمة جيش التتار

قال ابن القيم الجوزية، تلميذ ابن تيمية: كوالقد شاهدت من فاسة شيخ الإسلام ابن تيمية أمورا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فاسته تستدعي سفاً ضخماً، أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال: وهذا قبل أن يهجم التتار بالحركة، ثم أخبر الناس والأهواء سنة اثنتين وسبع مائة لما تحرك التتار وقصنوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقا (1).

اطلاع ابن تيمية على الوجود المحفوظ

وسمعه يقول ذلك، قال: كلما أكثروا عليّ قلت: لا تكثرُوا، كتب الله تعالى في الوح المحفوظ: إنهم مهزومون في هذه

الكرة، وأنّ النصر لجيوش الإسلام.

قال: أطعمت بعض الأواء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو، وكانت فاسته الجزئية في خلال هاتين

(2)

الواقعتين مثل المطر .

ابن تيمية يعرف بواطن أصحابه

قال ابن القيم الجزية أيضاً: كَوَقَالَ [ابن تيمية] مرة: يدخل علي أصحابي

(1) مدراج السالكين، ج 2 ص 489.

(2) مدراج السالكين، ج 2 ص 489.

الصفحة 443

وغوهم فلرى في وجوههم وأعينهم أموراً لا أذكرها لهم، فقلت له: أو غوي لو أخبرتهم!؟

فقال: أتريدون أن أكون معروفاً كمعروف الولاة، وقلت له يوماً: لو عاملتكم بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح! فقال: لا

(1)

تبصرون معي على ذلك جمعه أو قال: شهراً! .

إخبار ابن تيمية بأمر باطنة عن ابن القيم

قال ابن القيم الجزية بعد ذلك: كَوَأخبرني غير مرة بأمر باطنة تختص بي ممّا عومت عليه، ولم ينطق به لساني،

وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها وقدر أيت بعضها، وأنا أنتظر بقيتها وما شاهده كبار

(2)

أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم > .

آخر الحوار مع الدكتور الغامدي

وفي آخر الجلسة أعطيت الدكتور نسخة كتاب قصة الحوار الهادئ، وهي النسخة التي لم تطبع، وقلت له: لو كانت عندك

أي ملاحظات أرسلها إليّ حتى ندخلها في الكتاب قبل طباعته، ولكن إلى الآن. وقد مضى أكثر من نصف سنة- لم تصلني أي

ملاحظة منه، وأنا على وشك طبع الكتاب.

(1) مدراج السالكين، ج 2 ص 490.

(2) مدراج السالكين، ج 2، ص 490.

الصفحة 444

الصفحة 445

هذه خاتمة الجزء الأول من تعقيبنا المختصر على كتاب

الحوار الهادئ وسيليه الجزء الثاني الذي سنتناول

فيه ما تبقى من ملاحظات وردود على

الكتاب المذكور بمشيئة الله وتوفيقه

وآخر دعوانا أن الحمد

لله ربّ العالمين